
الموسوعة التاريخية الحديثة

التاريخ الدبلوماسي

الجزء الثاني

من ١٩٥٧ - إلى ١٩٧٨ م

تأليف
ج . ب . دروزيل

ترجمة
نور الدين حاطوم



دار الفكر
دمشق - سورية

بسم الله الرحمن الرحيم

التاريخ الدبلوماسي

التاريخ الدبلوماسي

الجزء الثاني

من ١٩٥٧ - إلى ١٩٧٨م

تأليف
ج . ب . دروزيل

ترجمة
نور الدين حاطوم

دار الفكر
دمشق - سورية



الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م

سـوريـة ـ **دمشـق** ـ شـارع سعـد الله الجـابري ـ ص.ب (٩٦٢) ـ س.ت ٢٧٥٤
هـاتف ٢١١٠٤١ ، ٢١١١٦٦ ـ برقيـاً : فكر ـ تلكس Tx FKR 411745 Sy

الصف التصـويري : دار الفكر بـدمشـق
الإفشاء (أوفست) : المطبعة العلمية بدمشق

إهداء

إلى العزيزة مارية

كلمة شـــكر

الشكر الجزيل لمن أسهم في إخراج هذا الكتاب لحيز الوجود

الفصل الأول

عصر الأزمات

١٩٥٧ ـ ١٩٦٢

بينما كانت الولايات المتحدة ، التي يحكمها الرئيس آيزنهاور مع جون فوستر دلس رئيساً لوزارة الخارجية ، مستمرة في تطبيق سياسة (الاحتواء) ، كان الاتحاد السوفياتي يوجهه خروتشوف ، بعد أن تخلص عملياً من منافسيه ، منطلقاً في سياسة جريئة ، هدفها ، على ما يبدو ، اختبار كفاءة ردّ الخصم . وقد أسهمت ظروف مختلفة في إيضاح مبادهات خروتشوف . أولاً ، لا جدال في أن الاتحاد السوفياتي حقق في هونغاريا نجاحاً حاسماً ، ولكن هذا النجاح كان على حساب سياسة التحرر النسبي التي دشنها خروتشوف في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي .

وفي الخلافات التي تساء معرفتها وتحدث في داخل اللجنة المركزية لبريزيديوم الحزب ، من المحتمل أن يكون خروتشوف قد أعطى تنازلات لأنصار ستالين ، مثل مولوتوف . ولذا من الممكن أن يكون قد انساق إلى تشديد موقفه . أما من جهة الرئيس آيزنهاور ، فقد أراد أكثر فأكثر أن يبدو للعالم بأنه رجل السلام ، ولذا خفض الموازنة العسكرية الأمريكية ، فنزلت من ٤٩ مليار دولار في ١٩٥٤ ، إلى ٤٠,٦ مليار في ١٩٥٦ . وفي الحقيقة ، نما سلاح الجو ، ولكن الجيش البري انتقل من ١,٤٨٠٠٠٠ رجل إلى مليون . وكان المذهب الستراتيجي الأمريكي مؤسساً على مبدأ (أعمال الثأر الكثيفة مقابلة بالمثل = الانتقام الكثيف

معاملة بالمثل) ، الذي يقوم على التوكيد بأن أي عدوان شيوعي حيث يحدث ، سيثير رداً ذرياً من قبل الولايات المتحدة . ولكن ، في الوقت الذي خفضت فيه الولايات المتحدة موازنتها العسكرية ، برهن الاتحاد السوفياتي بأنه حقق على صعيد الصواريخ الطويلة المدى ، تفوقاً موقتاً على خصمه . وفي صيف ١٩٥٧ ، قام في المحيط الهادئ بمحاولات ناجحة للصواريخ عابرة القارات . وفي ٤ تشرين الأول ، علم بأن الفنيين السوفياتيين نجحوا لأول مرة في إطلاق قمر اصطناعي (سبوتنيك)[١] حول الأرض . وبدا كل شيء يدل على أن الولايات المتحدة ، انطلاقاً من سنوات ١٩٦٠ ، ستجد نفسها في موقف أقل سلامة بالنسبة لموسكو . وفي الواقع ، تملك حول الأرض السوفياتية قواعد للصواريخ المتوسطة المدى ، ولكن أرضها الخاصة ، التي يمكن أن تعتبر حتى الآن معصومة ولا يمكن أن تصاب بأذى ، ستجد نفسها منذ الآن في متناول الصواريخ السوفياتية حال قيامها بالعمل . وبدا أن الأمريكيين متخلفون جداً في مجال التنافس . وما أسموه (هوة الصاروخ)[٢] كان مصدراً عميقاً لقلق موجهيهم .

لقد كان خروتشوف شيوعياً مؤمناً ومتفائلاً بمزاجه ، وما فتئ يعلن بأن الاتحاد السوفياتي آخذ بلحاق الولايات المتحدة ، على الصعيد الاقتصادي . وفي عام ١٩٧٠ سيتجاوزها في الإنتاج ، وسيبلغ على الأقل مستوى حياة الأوربيين الغربيين ، منتظراً تحقيق مرحلة (الشيوعية) نحو العام ١٩٨٠ ، أي المرحلة التي تساعد فيها وفرة الإنتاج على تحقيق المثل أو الحكمة القائلة (لكل حسب حاجته) . وهكذا اندفع في موقف متشدد واثقاً بالمستقبل ، ومقتنعاً بالتفوق السوفياتي في التسلح ، ولم يتردد في تشجيع أو إثارة خلافات جزئية . وخارج عن الشك ، أنه ينفي الحرب الشاملة من منظوراته ، وأفضل دليل على ذلك ،

---

(١) سبوتنيك Spoutnik .

(٢) هوة الصاروخ Missile Gap .

أنه في خطبه ، وخلال مرات عديدة ، كان يذكر بأن (الخير الأسمى للبشرية) يمنع المعسكرين ولو كانا جدلاً متعاديين ، من استعمال الحرب الذرية لحل خلافاتها .

١ ـ الأزمات في آسيا من ١٩٥٨ إلى ١٩٦٢

القضية العراقية

لعلنا نذكر أن الرئيس آيزنهاور ، بعد قضية العدوان الثلاثي على مصر ، وقضية السويس ، حاول في كانون الثاني ١٩٥٧ ، توطيد النظام في الشرق ـ الأوسط ، واقترح على مختلف البلاد مساعدة هامة . وأخفق هذا المذهب (مذهب آيزنهاور) بشكل واسع . فقد كان الرأي العام العربي ، على العموم ، ملائماً ومشجعاً للرئيس جمال عبد الناصر ، ودفع الحكومات إلى رفض المساعدة الأمريكية . وكان العراق ، عضو ميثاق بغداد ، والأردن ، وعلى رأسه الملك حسين ، ولبنان بسكانه المسيحيين والمسلمين ، هذه الدول العربية في الشرق ـ الأوسط تسلك سياسة ملائمة للولايات المتحدة ، وكانت المملكة العربية السعودية قريبة نسبياً من الأميركيين بسبب أهمية شركة البترول (آرامكو) . أما مصر كما رأينا سابقاً ، فقد أخذت ، انطلاقاً من ١٩٥٦ م ، الأسلحة الآتية من بلاد الشرق . وقبل الاتحاد السوفياتي ، لمدّ نفوذه ، أن يمول الجزء الأول ثم الثاني من العمل العظيم الذي يؤلفه سد أسوان . وأقامت سورية أيضاً مع الاتحاد السوفياتي علاقات وثيقة أكثر فأكثر ، وتلقت أسلحة ، وأرسلت ضباطاً للتدريب في الاتحاد السوفياتي وفي الديموقراطيات الشعبية .

وللرد على هذه الاتجاهات ، حاول فوستر دالس ، تحت تأثير الدبلوماسي لوي هندرسون ، أن يؤلف مجموعة تضم تركيا عضو منظمة معاهدة شمالي الأطلسي ، والأردن ، والعراق ، واتفق ملكا هذين البلدين ، في أنقرة ، مع الوزير التركي الأول ، وتفاهما في بيروت مع الرئيس اللبناني كميل شمعون . وبدا

أن سورية مطوقة بفريق من الدول تحت النفوذ الأميركي . وفي الواقع ، لقد ضعف نفوذ الشيوعية في سورية . وكانت القوة المسيطرة قوة الحزب الاشتراكي ، حزب البعث ، الذي كان يفضل وحدة العالم العربي ، بدءاً بالاتحاد بين سورية ومصر . وفي كانون الثاني ١٩٥٨ ، اقترح الضباط السوريون على الرئيس جمال عبد الناصر اتحاد البلدين . وفي الفاتح من شهر شباط ١٩٥٨ ، أعلنت في اجتماع مشترك للبرلمانين المصري والسوري (الجمهورية العربية المتحدة) . ولم تدم هذه إلا حتى صيف ١٩٦١ . ففي هذا التاريخ حدث انقلاب في سورية ذهب بها إلى الانفصال ، واحتفظت مصر لنفسها باسم (الجمهورية العربية المتحدة) .

ولكن هذا المشروع لعام ١٩٥٨ كانت له نتائج مباشرة . ففي لبنان وجد أنصار للجمهورية العربية المتحدة ، وكان الاضطراب فيها شديداً . وفي العراق ، قامت في ١٤ تموز ١٩٥٨ ، ثورة ضد الملك وضد وزيره الأول ، نصير الغرب ، نوري السعيد . وفي هذه الثورة قتل نوري السعيد والملك وأسرته وتشكلت حكومة جديدة تحت أوامر القائد عبد الكريم قاسم . وأطلق سراح الشيوعيين . وتقلد بعضهم مناصب هامة . ونسخ حلف بغداد ، وهو حلف غير مباشر مع الغربيين ، وأعلن العراق حياده . وكان هذا العمل ضربة قاسية موجهة لسياسة آيزنهاور ، وفوستر دلس .

وقام هذان برد الفعل عندما رأيا الاضطراب يتسع في لبنان . وعندما استغاث بهما الرئيس اللبناني كميل شمعون ، نزل ١٠,٠٠٠ جندي أمريكي في منطقة بيروت . وزعم الأميركيون أنهم بعملهم هذا يتخذون إجراءً أمنياً عاجلاً ، واقترحوا بأن يستعاض عنهم بقوة تجريدة للأمم المتحدة . إن وصول ١٠.٠٠٠ جندي أمريكي إلى لبنان ، ووصول ٢٥٠٠ مظلي بريطاني ، (الشياطين الحمر) ، إلى عمان ، عاصمة الأردن ، قد استقبلا في العالم كله بدهشة وشده . والتقى الرئيس جمال عبد الناصر بخروتشوف في موسكو ومن ثم شخص إلى دمشق ،

وصرح فيها في ١٧ تموز : « سيرتفع علم الحرية قريباً في الجزائر كما في بيروت وعمان » . واحتج الاتحاد السوفياتي ، وطلب من الولايات المتحدة الجلاء عن لبنان ، ومن البريطانيين الجلاء عن الأردن ، وشبه هذه التدخلات في الشؤون الداخلية للبلاد الأجنبية بالعدوان النازي والعدوان الثلاثي على مصر . وأعلن المحايدون أنفسهم ، وبخاصة الوزير الهندي الأول نهرو ، عن عدم موافقتهم .

وفي الواقع ، كانت الأزمة قصيرة الأمد . وأراد الأنغلو ـ ساكسون أن تسوى في مجلس الأمن في الأمم المتحدة . أما الجنرال دوغول ، الذي وصل إلى السلطة ، وسبق أن احتج على إرسال جنود أميركية إلى بلد كان في السابق تحت النفوذ الفرنسي ، فقد اقترح قمة خمس دول عظمى . وأوحى خروتشوف باجتماع تشارك فيه جميع الدول العربية المعنية . وفي الواقع ، إن ما يخشاه خروتشوف ، هو غزو سورية والعراق من قبل الجنود الأميركيين . ولم يقع هذا الغزو وطمن خروتشوف بصورة كافية ، حتى إنه قام ، في ٣١ تموز ، برحلة إلى بكين . وحل الخلاف ، عندما اقترحت جميع بلاد جامعة الدول العربية ، في ٢١ آب ، في الأمم المتحدة ، حلاً يكون بموجبه الشرق الأوسط في منأى عن المنازعات بين الكبار . وقبل هذا القرار بالإجماع ، ويدخل في ذلك صوت إسرائيل . وأجلت الولايات المتحدة جنودها عن لبنان ، وأمكنها أن ترى في السنوات التالية أن النفوذ الشيوعي ، في العراق ، كان أقل قوة بكثير مما كانت تخشاه . وبعد بضعة أشهر ، سجنت الحكومة العراقية عدة أعضاء من الحزب الشيوعي . وبالإجمال ، يمكن القول بأن هذه الأزمة برهنت على الإرادة الأميركية بألا ترى أي بلد عربي تحت النفوذ الشيوعي المباشر ، وفي الوقت نفسه ، عن إرادة العرب ، عند مقتضى الحال ، في انفراج علاقاتهم مع الغرب . لقد كانت فكرة الحياد وفكرة الوحدة العربية عندهم أكثر شعبية للغاية من كل عصبة ضد الشيوعية . وكان الرئيس جمال عبد الناصر بطل (الحياد الإيجابي) ، الذي يقضي بألا تعزز وتنفذ مساواة

جميع الدول ، في الحق فحسب ، بل وفي الواقع أيضاً ، والمطالبة بنفوذ متزايد للجمعية العامة للأمم المتحدة التي تمثل فيها البلاد الصغرى ولها الأغلبية بالنسبة لأغلبية مجلس الأمن الذي تسيطر فيه الدول العظمى التي تتمتع بحق النقض (الفيتو) .

أزمة فورموزا

كان على الصين أن تضمد جراح الحرب الأهلية التي انتهت عام ١٩٤٩ ، وكذلك الجراح التي نجمت عن تدخلها في كوريا . ولذلك لم تلعب دوراً متفوقاً في العلاقات الدولية ، باستثناء أزمة ١٩٥٤ ـ ١٩٥٥ التي ذكرناها في أعلاه[1] . وفي حزيران ١٩٥٧ ، حصلت من روسيا السوفياتية على وعد بمساعدة تقنية لصنع ترسانة ذرية . وهذه المساعدة ، كما سنرى ، سحبت منها فجأة ، في عام ١٩٥٩ . ولكن الصين ، في ١٩٥٨ ، ظنت أن من الممكن الذهاب والسير قدماً . ففي الليل من ٢٢ إلى ٢٣ آب ١٩٥٨ ، استأنفت المدفعية الشيوعية الصينية قصفها للجزيرتين الشاطئيتين الوطنيتين : كيموي وماتسو . وربما كان هذا القرار نتيجة اتفاق أبرم ، بين تشانغ كاي شيك والحكومة الأميركية ، في ٧ أيار ١٩٥٧ ، لنصب صواريخ ذرية في فورموزا تستطيع بلوغ الصين . ومن المحتمل بقوة أن خروتشوف ، في رحلته إلى بكين ، في تموز ١٩٥٨ ، قد انتقد بشدة المبادهات الداخلية الصينية ، في ذلك الحين ، والمعروفة تحت اسم (الكومونات الشعبية) و (القفزة الكبرى إلى الأمام) . كانت الأولى (تجميع)[2] فج للزراعة ، والثانية محاولة كان يعتبرها اللينينيون الأقحاح (مغامرة) للانتقال مباشرة من مرحلة الديموقراطية الشعبية إلى مرحلة (الشيوعية) دون انتقال النظام (الاشتراكي)

---

(١) راجع (التاريخ الدبلوماسي) الجزء الاول ، الفصل الثالث ، المادة ٣ ، العلاقات بين الكتلتين من ١٩٥٣ إلى ١٩٥٧ ، ص ٣٣٤

(٢) التجميع : collectivation .

حيث التفاوت أو عدم المساواة ما زال موجوداً حسب الصيغة : (لكل حسب غلته) . ولما كانت روسيا السوفياتية ماتزال بعد في المرحلة الاشتراكية ، فقد قدرت أن المبادهة الصينية غير قابلة للتحقيق . ولذا فإن استئناف قصف كيموي وماتسو يحتمل كثيراً أن يكون مبادهة صينية مخصصة للدلالة على الاستقلال حيال الاتحاد السوفياتي ، أكثر مما هو قرار اتخذ بالاشتراك أثناء رحلة خروتشوف إلى بكين . ومع ذلك ، فإن السوفياتيين ، بعد بضعة أيام من التردد ، دعموا المبادرة الصينية بدبلوماسيتهم وشجعوا الصين الشيوعية على المطالبة ، لا بالجزر الساحلية فحسب ، ولكن أيضاً بجزيرة فورموزا وجزر البسكادور . وفي ١٩ أيلول ، صرح خروتشوف بأن الجمهورية الشعبية الصينية إذا كانت هدفاً لهجوم ذري ، فالمعتدي يتحمل حالاً رداً انتقامياً بالوسائل نفسها .

وكما في الشرق الأوسط ، مالبثت الأزمة أن هدأت . فقد أوقف الصينيون قصفهم ، وفي تشرين الأول ١٩٥٨ ، قرروا تعليقه في الأيام الزوجية واستئنافه في الأيام الفردية . فهل المجازفة بحرب شاملة كانت قريبة ؟ لقد زعم فوستر دلس ذلك . وصرح بأنه ذهب حتى شفا الحرب[1] . ويلاحظ أيضاً في هذه القضية بعض مؤشرات مازالت غامضة في الخلافات ، إن لم تكن المنازعات ، بين موسكو وبكين . ويرى فيها بخاصة ظهور مابقي طويلاً قاعدة السياسة الصينية أي الإرادة المصممة على ألا يسلك مع (الامبرياليين) سياسة تهدئة ومصالحة وانفراج .

٢ ـ أزمة برلين (١٩٥٨ ـ ١٩٦١)

تحريك الأزمة

إن نظام برلين الذي يرجع تاريخه إلى ١٩٤٥ ، وبخاصة إلى اتفاقات بوتسدام ، كان يتوقع وجود ثلاث مناطق احتلال غربية ومنطقة احتلال

---

(١) سياسة شفا الحرب brinkmanship .

سوفياتية في العاصمة الألمانيـة القـديـة . وتؤلف المنـاطق الثلاث الغربيـة في قلب الجمهورية الديموقراطية الألمانية الشيوعية منطقة مغلقة غربية من شـأنها التـدليل بشكل ثابت على التباين الموجود بين مستوى الحياة الأعلى ، الـذي أمكن التوصل إليه في بلاد الاقتصاد الحر ، والبؤس النسبي للبلاد الشيوعية . وهـذه الإمكانيـة في المقـارنـة لم تكن نظريـة فحسب : لقـد كانت تحض العـديـد من سكان جمهوريـة ألمانيا الديموقراطية على الإفادة من الثغرة المفتوحة في حدود البلد في برلين نفسهـا للمجيء واللجـوء في برلين الغربيـة . ومن هنـا ، يمكنهم بـالطـائرة الـذهـاب إلى الغرب وبخاصة إلى أراضي الجمهورية الاتحادية الألمانية . فمن ١٩٥٢ إلى ١٩٦١ غادر ٢٢٤٥٠٠٠ لاجئ من جمهورية ألمانيا الـديموقراطيـة إلى الغرب . وكان سكان هـذا البلـد ١٨,٢٩٢٠٠٠ نسمـة في ١٩٤٩ ، فهبـط إلى ١٧٢٩٨٠٠٠ في ١٩٥٩ . والكثير من هـؤلاء المهـاجرين كانـوا رجـالاً ونسـاءً في سن العمـل ونـافعين لصنـاعـة ألمـانيـا الشرقية ، وغادروها مشدودين بأمل الحرية السياسية وبمستوى حيـاة أعلى . ومن الواضح أن هذا الظرف كان لأعلى درجـة مثيراً لـ فـالتر أولبريخت الزعيم الرئيسي لجمهورية ألمانيا الديموقراطية .

وفي ٢٧ تشرين الأول ١٩٥٨ ، صرح أولبريخت بأن الغربيين انتهكوا اتفاقات بوتسدام بتسليح الجمهورية الاتحادية الألمانية ، وبهـذا الواقع ، ليس لهم أي حق في البقاء في برلين متى توحدت وأصبحت عاصمة ألمانيـا الشيوعيـة . ولم يكن هـذا إلا مقدمة الأزمة . فقد انفجرت ، في ١٠ تشرين الثاني ، عندمـا اتخـذ خروتشوف في موسكو موقفاً لصالح نظرية ألمـانيـا الشرقيـة . فقـد صرح بـأن الوقت قـد حـان لإنهاء نظام الاحتلال في برلين : « سينقل الاتحاد السوفيـاتي إلى سيـادة الجمهوريـة الديموقراطيـة الألمـانيـة ، الوظـائف التي مـازالت تمـارسهـا ، في برلين ، الهيئـات السوفياتية » . وكذلـك على الولايـات المتحـدة وبريطـانيـا العظمى وفرنسـا أن تتفاوض مباشرة مع جمهورية ألمانيا الديموقراطيـة ، مع أنهـا لم تعترف بعـد بوجود

هذه الدولة . وإذا رفضت التفاوض مع عملاء الشرق الألمان ، واستخدمت القوة للدخول إلى برلين الشرقية ، فإننا نعتبر بأن القصد هجوم على الاتحاد السوفياتي وعلى أعضاء ميثاق وارسو (فارصوفيا) . ووضحت مذكرة سوفياتية ، بتاريخ ٢٧ تشرين الثاني ، موقف موسكو الجديد . وأعلن الاتحاد السوفياتي القيام بمفاوضات مع جمهورية ألمانيا الديموقراطية لينقل إليها سلطاته في برلين . ويرى أن عودة برلين الغربية إلى جمهورية ألمانيا الديموقراطية سيكون الحل الأفضل . ولكن ، لما كان من المحتمل ألا يقبل الغربيون ، فقد أوحى الاتحاد السوفياتي تحويل برلين الغربية إلى (وحدة سياسية مستقلة ، إلى مدينة حرة « لا تتدخل في حياتها أي دولة ولا أي من الدولتين الألمانيتين الموجودتين » ، وعلى أن توضع هذه المدينة المنزوعة السلاح ، والمحيدة ، تحت إشراف منظمة الأمم المتحدة ؛ وأن يبرم اتفاق ، مع جمهورية ألمانيا الديموقراطية ، يسمح بحرية اتصال الخارج مع جمهورية ألمانيا الديموقراطية . وأضافت المذكرة ـ وهنا تأخذ الأزمة دوراً خطيراً ـ وفي مهلة ستة أشهر ، إذا لم يتوصل إلى خلق المدينة الحرة لبرلين الغربية ، فسيوقع الاتحاد السوفياتي صلحاً منفصلاً مع ألمانيا الشرقية . وكان خروتشوف يتكلم عن (الورم السرطاني) الذي تؤلفه برلين الغربية ، ويصرح بأنه يجب إجراء (عملية جراحية) .

دور الإنذار (أوليتماتوم)

اعتبر الغربيون حالاً ، وبخاصة الولايات المتحدة وبريطانيا ـ العظمى وفرنسا وألمانيا الغربية ، أن هذه الأزمة جادة جداً . ففي غاية ستة أشهر ، إذا وقع الاتحاد السوفياتي معاهدة صلح منفصل مع جمهورية ألمانيا الديموقراطية ، وعهد إلى هذه بالإشراف على طرق الوصول إلى برلين الغربية ، فسيجد الغربيون أنفسهم مضطرين إما إلى المفاوضة بوصولهم إلى برلين مع جمهورية ألمانيا الديموقراطية ، وهذا يعادل ، في الواقع ، الاعتراف بها ؛ وإما إلى استعمال القوة

لتأمين المرور . ولكن ، في هذه الحالة ، وعد الاتحاد السوفياتي بمساعدته العسكرية لجمهورية ألمانيا الديموقراطية . وهذا يعني المجازفة بحرب ذرية . وأصبح الاعتراف بجمهورية ألمانيا الديموقراطية مستحيلاً بموقف ألمانيا الغربية ، الحليفة الأساسية في ميثاق الأطلسي ، والتي تعتبر نفسها الوارثة الشرعية لألمانيا كافةً ، ومن الممكن تصور أنها ستترك حلف الأطلسي إذا قدم حلفاؤها للسوفياتيين التنازل الذي يريدونه .

ولكن كيف يكون الرد ؟ لقد وجد في الواقع موقفان : فكر البريطانيون أن بالإمكان إجراء تنازلات كثيرة ربما تذهب بخروتشوف إلى تخفيف شدة إنذاره . وعلى العكس ، رأى الجنرال دوغول والمستشار آديناور أنه يجب المقاومة جيداً والرفض بقوة لكل تسوية بشأن برلين الغربية . وتقول مذكرة فرنسية : « يجب ألا يفاوض تحت تهديد إنذار » . والولايات المتحدة التي كان دورها حاسماً بشكل واضح ، ترددت بين طريقة التوفيق عند البريطانيين أو طريقة الحزم عند الفرنسيين والألمان . وكانت القضية المحسوسة الموضوعة معرفة ما إذا كان الأميركان يقبلون بالمجازفة بحرب نووية ، وبالتالي ، خسارة مئة مليون نسمة للدفاع عن أرض برلين الغربية الصغيرة البعيدة . وفي الحقيقة كان القصد رمزاً . لقد كانت برلين الغربية تضم ٢٥٠٠٠٠٠ نسمة يريدون الحفاظ على وضعهم . وفي الانتخابات البلدية ، في ٥ كانون الأول ، لم يحصل الحزب الوحيد المفضل لأفكار خروتشوف ، وهو الحزب الاشتراكي الموحد[١] المناصر ـ الشيوعي ، إلا على ١,٩ من الأصوات .

زوال الإنذار

إذا وضعت مشكلة الحرب الذرية للغربيين ، فإن الحال نفسها تكون

---

(١) الحزب الاشتراكي الموحد SED .

بالنسبة للاتحاد السوفياتي . وإذا ظل الغربيون حازمين ، فالاتحاد السوفياتي إما أن يُفحم أمام التهديد بالحرب أو أن يتراجع . وفي بداية ١٩٥٩ ، في ٤ كانون الثاني ، شخص أحد أعضاء المكتب السياسي آناستاز ميكويان إلى الولايات المتحدة والتقى بفوستر دلس ، وصرح إليه بأن مهلة الستة أشهر التي تصورها خروتشوف لم تكن إنذاراً ، وليس لها صفة دلالة معبرة عن النوايا . وشخص الوزير البريطاني الأول ماكميلان ، بدوره ، إلى موسكو للاطمئنان سلفاً عن الحالة . أما الجنرال دوغول ، فقد احتفظ بموقفه المتشدد . وعندما صرح إليه السفير السوفياتي ، بشأن قضية برلين ، بأن فرنسا تجازف بحرب ذرية ، أجابه الرئيس دوغول : « أجل ! أيها السيد السفير . سنموت معاً » . أما فوستر دلس فقد أصيب بالسرطان ، واضطر أن ينقل منصبه موقتاً ، ثم بصفة قطعية ، إلى مساعد وزير الخارجية كريستيان هرتر . واتفق هذا مع السوفيات وحلفائه الغربيين على التفاوض بالقضية في اجتماع وزراء الشؤون الخارجية الأربعة ، الذي سينعقد في جونيف (غروميكو عن الاتحاد السوفياتي ، كوف دومرڤيل عن فرنسا ، هرتر عن الولايات المتحدة ، وسلوين لويد عن المملكة المتحدة) . وسيحضر الاجتماع مراقبون عن الجمهورية الاتحادية الألمانية والجمهورية الديموقراطية الألمانية . وتوفي فوستر دلس ، في ٢٤ أيار ١٩٥٩ ، أثناء انعقاد هذا المؤتمر . وانقطع هذا المؤتمر ليتمكن الوزراء الأربعة من حضور جنّازه في واشنطون . ولم يعط المؤتمر أي نتيجة ، لأن أطروحات المعسكرين تناقضت فيه مرة أخرى . اقترح الغربيون إعادة توحيد ألمانيا بانتخابات حرة ، وأراد السوفياتيون بأن يتحقق هذا التوحيد بمفاوضات دولة لدولة بين الألمانيتين . ولكن إذا لم يحصل على أي نتيجة ، على الجوهر ، فقد وجدت نتيجة ذات أهمية أولى على الشكل . فقد بدا أن السوفياتيين نسوا مهلة الستة أشهر ؛ وفي إعلان ٩ حزيران ، حذفوا الكلام عن صلح منفصل مع ألمانيا الشرقية . واستأنف المؤتمر

أعماله في ١٣ تموز ، دون نجاح دوماً ، ولكن أدخل عنصر جديد في النقاش إثر مبادرة الحكومة الأميركية . فقد دعت هذه الأخيرة خروتشوف إلى الولايات المتحدة ، وقبل الزعيم السوفياتي الدعوة .

رحلة خروتشوف إلى الولايات المتحدة

ذهب خروتشوف إلى الولايات المتحدة ، في أيلول ١٩٥٩ . وكان اختيار الوقت موفقاً . فقبل يومين من وصوله ، أطلق صاروخ سوفياتي فبلغ القمر لأول مرة ، ونصب عليه علم الاتحاد السوفياتي وشعاراته . وحين شرب النخب بعد مأدبة نظمت في البيت الأبيض ، صرح خروتشوف : « نعتبر أن نظامنا هو الأفضل ، وتفكرون أن نظامكم هو الأفضل ، ولكن ، من المؤكد جيداً ، أنه لا ينبغي علينا أن نحول هذا الخصام إلى نزاع مكشوف ... وإذا ماتنازعنا فلن تتجشم بلادنا وحدها خسائر جسيمة ، بل إن البلاد الأخرى ستجر أيضاً في فناء العالم » .

ونظمت رحلة لخروتشوف عبر الولايات المتحدة . وفيها أظهر طبعه المندفع والمنتقل من المزاح إلى التهديد ، مهاجماً الموجهين النقابيين ، وشاجباً مشهد (رقص الفتيات الفرنسي) الذي نظم له في هوليود ، ومراقباً زراعة الذرة التي كان يريد تنميتها في الاتحاد السوفياتي ، ومصرحاً في بتسبورغ ، بعد زيارته معامل الفولاذ : « أتيت لأرى كيف يعيش عبيد الرأسمالية . أجل ! أقول بأنهم لا يعيشون عيشاً سيئاً » . والحادث الأساسي كان لقاؤه يومين مع آيزنهاور في منتجع كامب ديفيد . ولم يفطن آيزنهاور عندما أسمعه بأن نظام برلين الغربية لم يكن كاملاً . ومن المحتمل أن خروتشوف أخذ هذا الكلام بصفة شيء صحيح أكيد ، واستنتج منه الأمل بأن تؤدي مفاوضة جديدة إلى تحقيق جزء على الأقل من الأهداف السوفياتية . وعندما عاد إلى موسكو صرح ، في ٢٨ أيلول ، بأن

الرئيس آيزنهاور رئيس عظيم وصرخ : « لتحيا الصداقة السوفياتية - الأميركية » .

مؤتمر باريس وإخفاقه

من جملة القرارات التي اتخذها خروتشوف وآيزنهاور ، كان قرار اجتماع مؤتمر قمة جديد في بداية ١٩٦٠ يدعوان إليه ماكميلان البريطاني والجنرال دوغول . وتردد هذا الأخير بادئ بدء مقدراً أن مثل هذا المؤتمر صالح قليلاً لإعطاء نتائج ، ولكنه قبل أخيراً عندما انتخبت باريس مقراً للاجتماع . في البدء ، كان على خروتشوف أن يقوم بزيارة الرئيس الفرنسي في باريس . وهذه الرحلة جرت في منتصف آذار ، ودعي مؤتمر القمة للاجتماع في ١٦ أيار ١٩٦٠ . وكان مؤتمر باريس إخفاقاً كاملاً . حط خروتشوف في مطار أورلي ، في ١٤ أيار ، وصرح : « إن الحكومة السوفياتية ستعمل كل شيء ليحقق المؤتمر نتائجه » . ولكنه في الغداة ، في ١٥ أيار ، أسرّ إلى الجنرال دوغول ، بأنه يطلب بادئ بدء ، لنجاح المؤتمر ، أن تعتذر الحكومة الأميركية عن قضية تجسس . وفي الواقع كان الطيران الأميركي يرسل من حين لآخر طائرات جاسوسة تسمى أو ٢ (U2) تطير على ارتفاع عالٍ جداً فوق الأراضي السوفياتية . وفي الفاتح من أيار ، أخطأت طائرتان من هذه الطائرات الهدف ، وأصاب الطيران السوفياتي إحداهما . وأخذ الروس الطيار فرانسيس غاري باورز أسيراً ، واستطاعوا دراسة الطائرة التي كان من الواضح أنها صممت للتجسس . وفي ١٦ أيار ، اجتمع الأربعة الكبار في قصر الاليزه ، وجدد خروتشوف طلب الاعتذار ، ومعاقبة المجرمين ، والوعد بأن مثل هذه الطلعات (الطيرانات) لن تحدث ، وتوجه إلى آيزنهاور بعبارات شاتمة . واقترح تأجيل المؤتمر لأجل ستة إلى ثمانية أشهر . واكتفى آيزنهاور بالوعد بتعليق الطيران خلال مدة رئاسته التي انتهت في كانون الثاني ١٩٦١ ، ولكنه لم يشأ الذهاب إلى أبعد من ذلك . وبالرغم من جهود الجنرال دوغول في المصالحة ، قطع المؤتمر قبل أن يبدأ عملياً ، وافترق الأربعة الكبار .

ويتساءل لِمَ فعل خروتشوف هكذا . من المحتمل أن قضية الـ (U2) لم تكن بالنسبة له غير عذر لإخفاء السبب . لقد اعتقد ، بعد لقاء كامب ديفيد ، أن الأميركيين قد يقومون بتنازلات ، وأدرك بالتدريج بأن لاشيء من هذا . وفي هذه الظروف لم يكن للمؤتمر ، في نظره ، أي معنى . ومن الأفضل قطعه قبل أن يبدأ واختيار حجة صالحة لهذا الغرض . وقدمت الـ (L'U2) هذه الحجة الصالحة .

جدار برلين

انطلاقاً من إخفاق مؤتمر باريس ، في أيار ١٩٦٠ ، توترت الحالة من جديد . وكان خروتشوف يتكلم من حين لآخر عن احتمال معاهدة منفصلة للاتحاد السوفياتي مع الجمهورية الديموقراطية الألمانية . ثم ذهب إلى نيويورك ، في أيلول ١٩٦٠ ، لحضور جلسات الجمعية العامة للأمم المتحدة . وتفوه فيها باتهامات عنيفة للغاية ضد الولايات المتحدة التي ، في رأيه ، تحل اللصوصية والخيانة محل الحق الدولي . وفي ١٢ تشرين الأول ، تكلم المندوب الأميركي والمندوب الفيليبيني عن ضرورة تحرير جميع الشعوب ، ومن ضمنها الشعوب التي تعيش في داخل الستار الحديدي ، فاحتج خروتشوف بشكل فريد ؛ وخلع حذاءه وضرب به المنصة على مرأى من شده المشاركين العظيم في الجمعية العامة . بيد أنه صرح بأنه لا يريد الحرب . لقد كان القصد ، بالنسبة إليه ، التنافس الاقتصادي ، التنافس الذي يخرج منه الاتحاد السوفياتي منتصراً . وقال ، في ٢٢ تشرين الأول : « حسب حساباتنا ، سنتجاوز الولايات المتحدة في معركة الإنتاج الأساسية لكل نسمة في ١٩٧٠ ، أي في عشرة أعوام . وبموجب حسابات اقتصاديينا ، في ١٩٨٠ ، سننتج بالنسمة أكثر بكثير من الولايات المتحدة الأميركية . وفي ١٩٦٥ ، سننتج بالنسمة كذلك بل وأكثر بكثير من المواد الاستهلاكية من البلاد الأوربية » . ولم يتوقع التوسع الاقتصادي العظيم الذي ظهر في الولايات المتحدة وفي أوربة الغربية في السنوات الستين . ومع ذلك بدا أن الجو يتثاقل .

وعندئذ وجد حل لقضية برلين ، وعلى وجه الاحتمال تحت ضغط زعيم ألمانيا الشرقية فالتر أولبريخت . ففي الليل من ١٢ إلى ١٣ آب ١٩٦١ سد الحد بين القطاع السوفياتي والقطاعات الغربية الثلاثة وبدأت سلطات ألمانيا الشرقية ببناء جدار جهز بالأسلاك الشائكة . وأريد هنا محاولة مسرحية تماماً . وفي الحقيقة ، لقد وجد للدعاية الشيوعية خطر واضح للعمل على هذا النحو . وهذا الاعتداء على الحرية الفردية الذي يؤدي إلى فصل عائلات عديدة ، أقلق جزءاً كبيراً من الرأي العام العالمي . وصار الكلام عن (جدار العار) . ولكن ، على ا لصعيد العملي ، يقتضي جدار برلين استحالة كاملة على سكان برلين الشرقية الذهاب إلى الغرب ، ويوقف **جذب** السكان الذين تكلمنا عنهم آنفاً ، ويضر بخاصة اقتصاد ألمانيا الشرقية . وفي الحقيقة ، حاول العديد من الأفراد بجميع الوسائل اجتياز الجدار ، ونجح بعض ، وفقد آخرون فيه حياتهم . وفي الواقع ، أوقفت الهجرة . وفي ١٣ آب ، صرحت البلاد الأعضاء في ميثاق وارسو بأنها توافق على قرار الجمهورية الديموقراطية الألمانية . ومنذ هذا التاريخ ، خفف السوفياتيون الصخب الذي افتعلوه في ١٩٥٨ لتغيير نظام برلين الغربية ، ولم يتكلموا إلا عرضاً عن معاهدة صلح منفصل مع الجمهورية الديموقراطية الألمانية . وبالرغم من الصعوبات العارضة أحياناً من سلطات ألمانيا الشرقية للمواصلات على طرق الوصول إلى برلين الشرقية ، والتهديدات التي تثقل على المواصلات الجوية أثناء المناورات الكبرى التي تقوم بها جيوش ألمانيا الشرقية ، يمكن القول إن أزمة برلين انتهت في آب ١٩٦١ .

٣ ـ أزمتا ١٩٦١ و ١٩٦٢ الكوبيتان ونهاية الحرب الباردة

إن الأزمات التي أثرت على العلاقات بين الدولتين الكبريين ، جرت في آخر سنوات ١٩٥٠ بالقرب من منطقة النفوذ السوفياتية . ودلت قضية كوبا على أن هذا الظرف الجغرافي لم يكن شغلاً شاغلاً كما في الماضي . إن الثورة الكوبية ، التي

قامت بصورة مستقلة عن كل عمل واسع للسياسة السوفياتية ، ستؤلف تدريجياً في منطقة النفوذ الأمريكي (دولة اشتراكية) ستقيم معها الولايات المتحدة علاقات سيئة أكثر فأكثر . وستفيد الحكومة السوفياتية من الظروف السياسية التي لم تخلقها ، وستصبح كوبا في كل بداية سنوات الـ ٦٠ ، بؤرة من بؤر نزاع عظيم .

الثورة الكوبية :

جزيرة كوبا مستعمرة إسبانية قديمة ، مستقلة منذ ١٨٩٨ ، تحملت في سياق تاريخها آثار نفوذ الأمريكان السياسي والاقتصادي . فقد احتفظوا فيها بقاعدة في غوانتانامو . ومارسوا بين ١٩٠٣ و ١٩٣٤ على الجزيرة الكبرى حماية حقيقية . وبصورة خاصة ، كانت التبعية الاقتصادية لكوبا وثيقة إزاء الولايات المتحدة . لقد كانت كوبا أحد البلاد الأدنى فقراً في أمريكا اللاتينية ، على الأقل ، إذا أخذنا بعين الاعتبار الدخل الوسطي للفرد . وفي الواقع ، إن القطاع الزراعي ، يضم ٤٣ ٪ من السكان ، ودخله الوسطي منخفض للغاية ، والبطالة فيه منتشرة . وفي ١٩٥٩ ، وظف فيه مليار دولار من رؤوس الأموال الأميركية ، وكان الأمريكيون يسيطرون على ٤٠ ٪ من إنتاج السكر الذي يمثل ٨٠ ٪ من صادرات كوبا . ويملكون أكثر من نصف أسهم الخط الحديدي ، والكهرباء والهاتف . وإن تفوق السكر في الصادرات الكوبية وضع هذا البلد تحت رحمة الولايات المتحدة . فإذا أوقفت هذه الدولة وارداتها من السكر الكوبي ، فهذا يعني الدمار . ولم يتردد دبلوماسي أميركي في القول في ١٩٦٠ ، بأن سفير الولايات المتحدة في كوبا أقوى من الرئيس الكوبي نفسه .

من ١٩٣٤ إلى ١٩٥٨ ، كانت شخصية الكولونيل باتيستا تسيطر على الحياة السياسية الكوبية . كان باتيستا محافظاً ، ورئيساً من ١٩٤٠ إلى ١٩٤٤ ، وعاد إلى السلطة في ١٩٥٢ بانقلاب ، وأقام دكتاتورية حقيقية مارست سلطتها بالقوة حتى

١٩٥٨ ، وضحـايـاهـا بـالألوف . وبلغ الاستيـاء من شطر واسع من السكان ضـد باتيستا حده الأقصى ، وامتد هذا الاستياء من باتيستا إلى حكومـة واشنطون التي اتهمت بحمايته .

في ١٩٥٢ ، ومباشرة بعد انقلاب باتيستا ، بدأ محام شاب ، الـدكتور فيـديل كاسترو ، بنزاع مسلح ضد النظام القائم على السلطة . وفي ٢٦ تموز ١٩٥٣ ، انطلق مع مئة من الأنصار ، ومعظمهم طلاب ، في مهـاجمـة ثكنـة مونكادا . أخفق هـذا الهجـوم . وكان القمـع عنيفـاً وعفي عن كاسترو ، في أيـــار ١٩٥٥ ، ولجـــأ إلى المكسيك ، وساق فيها أنصاراً جدداً كان بينهم شي غيفـارا . وأطلق على مشروعـه اسم (حركة ٢٦ تموز) ، تاريخ الهجوم الخامس على ثكنـة مونكادا . وفي ٢ كانون الأول ١٩٥٦ ، و بـ ٨٠ نصيراً تـدربـوا على حرب العصـابـات ، نـزل كاسترو في كوبا ، وأخفق تماماً تقريباً ، وفر مع ١١ منهم باقين على قيد الحياة ، واعتصموا في جبـال السيرّا مـايسترا . وفي السنتين التـاليتين ، وسع انطلاقـاً من هـذه المنطقـة حركة أنصار . وفي بداية ١٩٥٨ ، كفت إدارة الدولة الأميركية عن إرسـال أسلحـة إلى باتيستا ، على اعتبار أنه من الأفضل للولايات المتحدة ألا تتورط مع الأنظمـة الـدكتـاتـوريـة في أمريكا الـلاتينيـة . ولكن السفير الأميركي في الهـافـانـا ، آرل سميث ، ظل يفضل دعم باتيستا وحصل على بقاء المـدربين العسكريين للولايات المتحـدة في جيشـه . ووافـق كثير من الصنـاعيين الأميركيين على سيـاسـة آرل سميث . وفي الأشهر الأخيرة لعام ١٩٥٨ ، قام كاسترو وأنصاره انطلاقـاً من جبلهم بهجوم مالبث أن انتصر . وتفتت جيش بـاتيستـا . وفي الليل من ٣١ كانون الأول ١٩٥٨ إلى الأول من كانون الثاني ١٩٥٩ فر باتيستـا من الهـافـانـا ، ونـادى كاسترو بالقاضي السـابق ، مـانويل أورّتيـا ، رئيسـاً ، وقرر الإضراب العـام والاستمرار في الكفاح المسلح . ودخل الهافانـا ، بعـد أسبوع ، على رأس فيلق آليـات . اعترفت الولايات المتحدة مباشرة بالنظام الجديـد . وفي ١٠ كانون الثـاني ١٩٥٩ ، استقـال

آرل سميث ، وناب مكانه سفيراً دبلوماسي ممتهن ، فيليب بونسال . وفي بدايات النظام الكاستري ، ظهر الرأي العام والحكومة الأميركية في صالح كاسترو .

القطيعة بين كوبا والولايات المتحدة

لم يشأ كاسترو القطيعة مع جاره الشمالي القوي ، ولكن إحدى نقاط برنامجه كانت التخلص من السيطرة الاقتصادية الأميركية . ومهما يكن ماقيل فيا بعد ، فلا يبدو أن كاسترو كان في البدء ماركسياً . لقد كانت عواطفه قومية بحرارة ، وظلت عقيدته الاجتماعية مترددة . وتحول الرأي العام الأميركي عنه عندما رخص للحزب الشيوعي الكوبي ، وعندما ردّ بفظاظة ضد أنصار باتيستا . والدكتاتورية اليسارية التي أقامها ، ظهرت في أعين الأميركيين أقبح أيضاً من دكتاتورية سلفه الرجعية . ونزعت الولايات المتحدة إلى اعتبار كل من يعادون المشروع الحر شيوعيين ، ولما وجدت رؤوس الأموال الأميركية الهامة نفسها مهددة بالنظام الجديد ، مارست ضغوطاً شديدة لدى الرئيس آيزنهاور ، ليتخذ بالمقابل إجراءات عقوبة ، ضد كاسترو . وفي نيسان ١٩٥٩ ، قام هذا برحلة إلى واشنطون ، ولكن الرئيس آيزنهاور لم يستقبله . وكانت العلاقات ماتزال مقبولة بعد . وصرح كاسترو بأن الحريات محترمة بما فيها حرية الصحافة ، وأن الاستثمارات الأميركية ستكون مضمونة . ولكنه بالعكس ، أعلن بأن لن يكون انتخاب قبل تنفيذ البرنامج الثوري . وربما كان كاسترو يأمل في ذلك الحين بمساعدة مالية أميركية ؛ وربما خاب أمله لعدم الحصول عليها . وكان عليه أن يحكم بين المعتدلين والثوريين ، ولفترة ، يبدو أنه مال إلى المعتدلين . ولكنه تطور بسرعة نحو موقف جذري أكثر . وفي ١٧ أيار أعلن إصلاحاً زراعياً يرمي إلى تقسيم الأراضي ، بما فيها أراضي بعض الشركات الأميركية الكبرى ، مثل (**شركة الفاكهة المتحدة**) التي تملك نحو ١٣٦٠٠٠ هكتار . وفي تموز ١٩٥٩ ، اكتشفت الشرطة مؤامرة نظمها الميجر (دياز لانز) ، قائد الجيش الكوبي . لقد فر إلى الولايات المتحدة بمساعدة

الـ (F. B. I)[1] ، وشهر بتسلل شيوعي في القوات . وصرح ديـاز لانـز في مجلس الشيوخ الأميركي أن كوبا أصبحت تابعاً سوفياتياً .

في صيف ١٩٥٩ ، بلغ التوتر أقصاه بين واشنطون والهافانا . ونظم اللاجئون الكوبيون وبخاصة دياز لانز غارات جوية انطلاقاً من مطارات فلوريدا . وفي ٣١ تشرين الأول أحدثت هذه الغارات عدة وفيات في الهافانا . واتهم كاسترو الولايات المتحدة بتشجيع هذه الهجمات . وتقرب من الاتحاد السوفياتي ووقع مع هذا البلد أول اتفاق تجاري . ومن جهة أخرى ، شجع نمو الحركات الثورية المماثلة لثورته في كثير من بلاد أمريكا الوسطى . وظهر اتجاه فيديل كاسترو نحو الماركسية انطلاقاً من تشرين الأول ١٩٥٩ . حذف المعتدلين القائمين على المراكز الهامة ، وزاد سلطات أخيه (رؤول) ، والاختصاصي في حرب العصابات (شي غيفارا) . وهاجم الولايات المتحدة بعنف في خطبه . ووقع ، في ١٣ شباط ١٩٦٠ ، اتفاقاً تجارياً هاماً ، مع السوفياتي (ميكويان) ، ينص على أن يشتري الاتحاد السوفياتي ٥ ملايين طون من السكر الكوبي في السنوات الخمس القادمة وتخويل اعتماد بمبلغ ١٠٠ مليون دولار . ثم صادر المشاريع الأميركية انطلاقاً من آذار ١٩٦٠ . واتخذت الولايات المتحدة بالمقابل إجراءات مقابلة بالمثل . وجمدت دخول السكر الكوبي ، وفي ١٧ آذار ١٩٦٠ ، سمح آيزنهاور بتدريب المنفيين الكوبيين الذين يعدون بقلب حكومة (فيديل كاسترو) . ودعم هذه السياسة نائب الرئيس (ريشارد نيكسون) وزعيم الـ (F. B. I. ، ج ، إد . هوفر) وكذلك السفير السابق (آرل سميث) . وأوقفت حكومة الولايات المتحدة كل عون مالي إلى كوبا . وفي ٨ أيار ١٩٦٠ ، وطدت كوبا علاقاتها الدبلوماسية مع الاتحاد السوفياتي . وفي ٣ تموز من السنة نفسها ، ألغى الكونغرس الأميركي

(١) F. B. I. مختصر Federal Bureau of Investigation ، أي (مكتب التحقيق الاتحادي ، أو بتعبير آخر : الضابطة القضائية الاتحادية) .

واردات السكر الكوبي . وباختصار ، من جانب وآخر ، ماانفكت الإجراءات الاقتصادية والسياسية في زيادة التوتر . فبالنسبة للأميركيين وجد الأمل بأن تؤدي الضغوط الاقتصادية إلى سقوط كاسترو . ولكن لا شيء من هذا . بل بالعكس كان من نتيجتها إثارة المرارة وتنمية حركة تأميم المشاريع الأميركية . وأعرب الاتحاد السوفياتي عن صداقته حيال كوبا ، وأعلن بأغمض العبارات ، بأن كوبا إذا هددت ، فإن موسكو تتصور لحمايتها استخدام صواريخ ذرية . وفي ٣ تموز ١٩٦٠ ، أعلن (شي غيفارا) بأن كوبا تؤلف منذ الآن جزءاً من (المعسكر الاشتراكي) إلى جانب الاتحاد السوفياتي والصين الشيوعية التي وقع معها اتفاقاً قبل قليل .

وكانت النقطة النهائية لهذا التطور ملحوظة بقرار كاسترو باعتبار نفسه شيوعياً . أنمى حركات حرب العصابات في أمريكا اللاتينية . وقال : « نعد بأن نعمل من بلدنا المثال الذي يحول سلسلة جبال الآند إلى سييرا مايسترا القارة الأميركية » . وفي ١٨ أيلول ١٩٦٠ ، أعلن (شي غيفارا) عن وصول أسلحة تشيكوسلوفاكية . وفي ١٩ تشرين الأول ، أثناء الحملة الانتخابية الأميركية ، أعلنت حكومة واشنطون الحظر الكلي على التجارة الأميركية مع كوبا . وقطعت كل الصادرات باستثناء المنتجات الغذائية والأدوية . وحاول الأميركيون الحصول من حلفائهم على إجراءات مماثلة . وفي ١١ كانون الأول ١٩٦٠ ، وافق (شي غيفارا) على التصريح الذي أعلنه آنذاك في موسكو ٨١ حزباً شيوعياً ، وأخيراً ، في بداية ١٩٦١ ، قطعت الولايات المتحدة العلاقات الدبلوماسية والقنصلية مع كوبا .

الإعداد للتدخل في كوبا

لقد رأينا أن الرئيس آيزنهاور سمح للمنفيين الكوبيين بتدريب أنفسهم على غزو محتمل للجزيرة الكبرى . وكانت هذه سياسة الـ (F. B. I.) . وفي ٢١ كانون

الثاني ١٩٦١ ، عندما استلم السلطة الرئيس الجديد الديموقراطي ، (جون ف . كينيدي) ، لم يكن موقفه تجاه كوبا مؤمناً . ففي حملته الانتخابية . لكسب الأصوات المعادية للشيوعيين ، كان يصرح بأنه غير معاد لفكرة غزو كوبا . وترك جهود الـ (F. B. I.) ، والـ (C. I. A.)[1] تتلاحق لتفضي إلى مساعدة المنفيين الكوبيين لتهيئة حملة عسكرية . وشكلت (جبهة ثورية ديموقراطية) تحت إدارة منفيين بورجوازيين ، أحرار بخاصة . ولم تتردد الـ (C. I. A.) في أن تضم إلى هؤلاء الأحرار أنصار باتيستا . ويبدو أن المال ، الذي خصص لهؤلاء المحاربين العصابيين في المستقبل ، قد جهزته بعض الشركات الأميركية الكبرى . وأخبر (آلن دلس) ، مدير الـ (C. I. A.) الرئيس كينيدي بهذه المشاريع . كان كينيدي ليبرالياً ، ولكن كانت تخامره الفكرة في أن التخلي عن المشروع قد يؤول في أمريكا اللاتينية كمؤشر لإذعان أميركي لرؤية بلد أميركي ـ لاتيني يصبح تحت السيطرة الشيوعية . وما فتئ خبراء الـ (C. I. A.) يؤكدون له أن جماهير السكان الريفيين الكوبيين معادية بعنف لكاسترو ، وترحب بحماسة بغزو المنفيين . وشارك البانتاغون[2] بهذا الرأي . وبدا أن غزو الكوبيين له فائدة في ترك الولايات المتحدة رسمياً خارج القضية . ولكن من البديهي أن لا شيء كان ممكناً لولا الأسلحة الأميركية ، والمدربين الأميركيين ، والمشاركات من كل نوع للحكومة الأميركية . وبين الأشخاص العالمين بهذا المشروع ، كان يوجد بعض المعارضين الليبراليين مثل الشيخ (فولبرايت) . ولكن في ٥ نيسان ١٩٦١ ، أعطى الرئيس كينيدي موافقته النهائية لمشروع الـ (C. I. A.) . وحاول أن يحذف أنصار باتيستا فقط . وتشكل (مجلس ثوري كوبي) تحت رئاسة (خوسه

---

(١) C. I. A. مختصر (Central Intelligence Agency) ، أي (وكالة الاستخبارات المركزية) .

(٢) البنتاغون (Le Pentagone) عمارة في واشنطون تؤوي وزارة الدفاع والأركان الأميركية ؛ وقد أخذ هذا الاسم من شكل العمارة الخماسي .

ميرو كاردونا). وكان الهدف ، عند نجاح الغزو ، إقامة نظام ليبرالي ومعتدل معاد للشيوعية . وأعلم كينيدي هذا المجلس الثوري بأن القوات الأميركية لن تتدخل بحال من الأحوال ؛ ولكن المجلس لم يصدق حقيقة كلام كينيدي ، وكان مقتنعاً بأن الأميركيين سيضطرون للتدخل . وعلى الصعيد النهائي ، عوضاً عن الإنزال على مقربة من منطقة (ألا يسكا مبريه) ، حيث توجد بعض العصابات المعادية لكاسترو ، تقرر تثبيت الإنزال في جون الخنازير الذي ينفصل عن ألا يسكا مبريه بـ ٨٠ ك م من المستنقعات .

قضية جون الخنازير

بدأت العملية في ١٥ نيسان ١٩٦١ بقذف بالقنابل قامت به الطائرات B 26 التابعة للجيش الأميركي والمغطاة بطائرات كوبية بقيادة منفيين . كان الهدف تدمير الطيران الكاستري . ولكن هذا الطيران أصيب قليلاً . وبعد يومين ، في ١٧ نيسان ، جرى الإنزال في جون الخنازير . وكان نكبة حقيقية . ففي يومين ، تم الإخفاق . أوقف المنفيون الكوبيون على الشاطئ . وعلى نقيض تأكيدات الـ (.C. I. A) كان السكان الريفيون معادين لهم . وفي ١٩ نيسان ، طلب الموجهون المنفيون الكوبيون تدخلاً مباشراً من الولايات المتحدة . رفض كينيدي . وحمت بعض طائرات البحرية الأميركية وحدها المغيرين على طيران كاسترو ، وحاولت سفن حربية أميركية التقاط الأحياء ، ولكن جميع المغيرين تقريباً أخذتهم القوى الكاسترية أسرى : وفي الحقيقة لم يكن هنالك تدخل أميركي مباشر ؛ ولكن ، مسؤولية الأميركيين ، ولاسيا الرئيس كينيدي ، كانت في أعين العالم كله واضحة كل الوضوح . وكانت بالنسبة له إخفاقاً ذريعاً . كان المسؤول الأساسي زعيم الـ (.C. I. A) آلن دلس ، واستعاض عنه مباشرة . وكانت الضربة قاسية لجاه الولايات المتحدة . والدليل على ذلك أن كاسترو كان يتمتع بمساندة شعبية قوية . وبالنسبة لدول أمريكا اللاتينية المعادية لتدخل الولايات المتحدة

في شؤونها ، كانت العملية غير مقبولة . وبالنسبة لكاسترو ، كانت فرصة لتصلب موقفه . وفي أول أيار أعلن بأن كوبا ستتبنى بعد قليل دستوراً اشتراكياً . وفي ٢٦ تموز ، شكل حزباً وحيداً ناجماً من المزج بين الشيوعيين ، وحركة ٢٦ تموز ، وبعض الفئات الثورية الأخرى . وفي ٢ كانون الأول ١٩٦١ أعلن في خطاب عظيم بأنه انضم نهائياً للماركسية ـ اللينينية .

حلف التقدم

انطلاقاً من قضية جون الخنازير ، قرر كينيدي تطبيق سياسة أكثر حذراً وفطنة . وكان الهدف الأساسي في نظره ، منع تهديم شيوعي من النموذج الكاستري من النمو في نصف الكرة الغربي . ولهذا الغرض كان يجب بادئ بدء عزل كوبا ، وتعزيز الأنظمة المعادية للشيوعية في البلاد الأخرى الأميركية ـ اللاتينية . وكان هذا هدف مؤتمرين بين الدول الأميركية اجتمعا في بونتادل إيست في أورغواي . وفي مؤتمر بونتا دل إيست الأول ، في آب ١٩٦١ ، وعدت الولايات المتحدة أن تقدم للأميركيين ـ اللاتينيين عوناً كثيفاً : في كل سنة ، مليار دولار من الصندوق العام على أمل أن يضاف لها مليار دولار آخر من الاستثمارات الخاصة . وسمي هذا النظام الجماعي للمساعدة : (حلف التقدم) . وقد اصطدم هذا الحلف منذ البدء ، بصعوبات واسعة : بخاصة تردد رؤوس الأموال الخاصة في التوظيف في أمريكا اللاتينية ، وفي مؤتمر بونتا دل إيست الثاني ، في كانون الثاني ١٩٦٢ ، طلب وزير خارجية الولايات المتحدة الأميركية ، دين رسْكُ ، طرد كوبا من (منظمة الدول الأميركية) لأن النظام الكوبي ، كما قال ، جمعي ، شمولي ، ولا يتلاءم مع المبادئ الديموقراطية للمنظمة . وتبني اقتراح دين رسك بـ ١٤ صوتاً فقط على ٢١ . لقد طردت الأكثرية (حكومة كوبا الحالية الماركسية ـ اللينينية) . وصوتت الدول الهامة في أمريكا اللاتينية : الأرجنتين ، البرازيل ، شيلي والمكسيك ، ضد الاقتراح الأميركي . ورد كاسترو بدعوة أمريكا اللاتينية

قاطبة للنضال ضد التسلط (الامبريالية) الأميركية ، في شباط ١٩٦٢ . ومع ذلك ، وبالرغم من تزايد المشتريات والتجهيزات السوفياتية ، وجدت كوبا منعزلة عن باقي العالم .

بدايات التدخل السوفياتي

بعد قضية جون الخنازير تساءل كثير من الأميركيين ما إذا كان من الضروري القضاء على النظام الكاستري . ولا يمكن ذلك إلا بغزو عسكري . وقد أصبح هذا الغزو خطراً بوعد مساعدة الحكومة السوفياتية . ولذا يبدو أن الرئيس كينيدي لا يرغب بإعداد غزو إلا في حالة ، ومع ذلك غير محتملة ، وهي قيام ثورة شعبية ضد كاسترو يساعد فيها السوفياتيون هذا الأخير على سحقها . وفي سبر للرأي أجري في سياق صيف ١٩٦٢ ، رأى ٦١ ٪ من الأميركيين الذين سئلوا : أن عملية ضد كوبا قد تثير حرباً مع الاتحاد السوفياتي ، و ٦٩ ٪ صرحوا بأنهم معادون لهذا التدخل . حتى إن كينيدي رفض تطبيق حصار على كوبا . وفي الحقيقة ، يوجد حظر أمريكي ، أي ألا تصدر المنتجات الأميركية نحو كوبا ، ولكن الحصار يعني أن تمنع السفن الحربية **تموين** كوبا من البلاد الأخرى . والحصار عمل حربي والمخاطرات بتدخل سوفياتي ستكون أيضاً عظيمة كما تكون في حالة غزو .

أما كاسترو فيعتقد بالغزو المهدد . وزادت بعض الإجراءات الأميركية في قلقه : مراقبة كوبا بطائرات التجسس U 2 ، واستنفار ١٥٠٠٠٠ احتياطي ، والسماح للمنفيين الكوبيين بالتطوع في الجيش الأميركي ، والمناورات الأميركية الكبرى في البحر الكاريبي . وأخيراً ، في ٣ تشرين الأول ، صدر قرار واحد عن مجلسي كونغرس واشنطون يذكر بأن الولايات المتحدة بقيت وفية لمذهب مونرو الذي يقضي بمنع كل تدخل لبلد غير أميركي في الشؤون الأميركية . وتصور الكونغرس استخدام القوة ، عند الحاجة ، لمنع عمل تهديمي أو عدواني في نصف

الكرة الغربي . وكانت الصحافة الأميركية تنشر يومياً عن كوبا المقالات المعادية بعنف . ولذا ، طالب كاسترو بحماية سوفياتية ناجعة وأكثر نفاذاً . وفي صيف ١٩٦٢ ذهب رؤول كاسترو وشي غيڤارا إلى موسكو . وطلبا من الاتحاد السوفياتي اتخاذ تدابير تضع كوبا في معصم من (العدوان الأميركي) . وقبل خروتشوف . وكان قصده اختبار كفاءة مقاومة الأميركيين . فهل يجرؤون على مقاومة عمل واقعي ؟ والعمل الواقعي الذي تصوره الروس كان في أن تقام في كوبا منظومة صواريخ متوسطة المدى تهدد قسماً واسعاً من الأراضي الأميركية . ووصل تقنيون سوفياتيون وعتاد إلى كوبا ، وبوشِر سراً بأشغال لإنشاء قواعد للصواريخ .

قرار الرئيس كينيدي

في ١٦ تشرين الأول ١٩٦٢ ، وعلى أثر استطلاع أجري في ١٤ تشرين الأول قامت به طائرة U 2 ، أعلم كينيدي بالمشروع السوفياتي . ودلت صور فوتوغرافية بوضوح بأنه كان على الأرض الكوبية مزاحف لإطلاق صواريخ في حيز البناء . وأعلن بلاغ سوفياتي ـ كوبي ، في ٢ أيلول ١٩٦٢ ، أن الاتحاد السوفياتي سيجهز كوبا بالأسلحة والمدربين العسكريين ، ولكن كان يُؤمل بألا يكون القصد أسلحة هجومية . أما من جهة خروتشوف ، فقد صرح في ٦ أيلول ١٩٦٢ : « لن يباشر بشيء ، قبل الانتخابات الأميركية ، يمكن أن يعقد الحالة الدولية ويفاقم التوتر بين بلدينا » . وظهر هذا كوعد واضح كثيراً أو قليلاً بعدم القيام بعمل معاد .

ووجد الرئيس كينيدي نفسه أمام قرار من أكثر القرارات خطورة في حياته السياسية . وهذا القرار ، اتخذه بين ١٦ و ٢٢ تشرين الأول ، وأعلن عن هذا التاريخ جهاراً على الملأ ، وكان محاطاً بعدد صغير جداً من المستشارين والخبراء الذين كانت اجتماعاتهم خفية بعناية على الصحافيين ، وأظهر ، بالرغم من قلقه ، وجهاً باسماً ، وكان عليه أن يحل عدداً من القضايا يتعلق بها سلام وربما بقاء

العالم . وما هو هدف السوفياتيين ؟ هل كان إجبار الأميركيين على التدخل ضد كوبا بنصب فخ لهم ، وعلى هذا النحو إثارة الرأي العالمي ضدهم ؟ إجبار الولايات المتحدة على الدخول في (مساومة عالمية) يضطر فيها الأميركيون ، مقابل سحب الصواريخ من كوبا ، إلى القيام بتنازلات عظيمة في برلين ، أو سحب صواريخهم من تركيا ؟ أو أخيراً ، كما قلنا ، محاولة اختبار إرادة رد الأميركيين عليهم ؟ ومهما يكن فإن الرئيس كينيدي كان عازماً على تطبيق سياسة الحزم . لقد أخفق في جون الخنازير ، ولا يمكن أن يقبل بتراجع جديد . ولكن قرار الحزم يقتضي المجازفة بإثارة حرب ذرية . ولأول مرة في تاريخ عالم ما بعد الحرب كان مضطراً لاتخاذ رأي والإجابة . فلا الأميركيون ، ولا السوفياتيون لم يتركوا ، حتى ذلك الحين ، الأمور تصل لنقطة يقتضي فيها قرار الحزم تصعيداً ممكناً .

بقي أن نعلم ماذا تقتضي سياسة الحزم هذه . من الممكن اجتياح كوبا بقوات مسلحة ، وهذا يسمح بحذف الصواريخ والتقنيين السوفياتيين بل وحتى الحكومة الكاسترية مما يعتبره الكثير من الأميركيين كتهديد مباشر . ولكن ألا يقتضي التدخل على وجه التأكيد اعمال الثأر أي المقابلة بالمثل والمقابلة الذرية السوفياتية التي أعلن عنها خروتشوف ؟ والحل الثاني لا يكون باجتياح كوبا ، ولكن بتدمير مزاحف إطلاق الصواريخ بقصف جوي . وكانت الصعوبة في أن هذا القصف لن يكون له نفاذ كلي ، وأن المخاطرات بتدخل سوفياتي ستكون أيضاً شبه عظيمة لأن التدخل يكون تدخلاً عسكرياً . إن فكرة القصف التي قبلتها في البدء أكثرية مستشاري كينيدي رفضها أخوه روبرت كينيدي ومساعد وزير الخارجية جورج بول . فقد أدخل هذا حجة إضافية : وهي أن القصف المفاجئ يذكر كثيراً ، وبشؤم ، الهجوم الياباني على بيرل هاربر ، وأن الانطباع الذي سيحدثه على أمريكا اللاتينية سيكون بغيضاً . والحل الثالث كان في إقامة حصار جزئي حول

كوبا هدفه منع وصول التسلح الذري السوفياتي إلى كوبا . وفي الوقت نفسه ، أطلق إنذار يتطلب من السوفياتيين بأن يتخلوا عن بناء مزاحف إطلاق الصواريخ . ودلت الأخبار التي تلقتها واشنطون على سفن شحن سوفياتية ، ربما تحرسها غواصات في طريقها نحو كوبا . وعلى الصعيد المحلي ، كانت البحرية الأميركية تتمتع بالبحر الكريبي بتفوق غير منازع ، وكانت فائدة هذا الحل أن المبادرة بإثارة أو عدم إثارة الشر تتعلق بالسوفياتيين . والسفن الأميركية توجد على طريق الشاحنات ، والقصد معرفة ماإذا كان السوفياتيون يأمرون هذه الشاحنات بمتابعة طريقها ، وبالتالي المخاطرة بالتدمير ، أو حتى يهاجمون السفن الأميركية بغواصاتهم . ومن المحتمل كثيراً أن السوفياتيين عندما يجابهون بقرار درامي ، يقبلون بتفتيش سفنهم أو بل يعدلون عن طريقهم صوب كوبا . وهكذا يكون الموقف الأميركي دفاعياً . وسيكون طلب الأميركيين الوحيد سحب الأسلحة الهجومية السوفياتية . وأخيراً انضم أعضاء (مجلس الأمن القومي) ، الذين يحيطون بالرئيس : (وزير الخارجية دين رسك ، ومساعد الوزير جورج بول ، ووزير الدفاع ماك نامارا ، ومساعد وزير الدفاع بول نيتز ، ورئيس (زعماء الأركان المشاركين) الجنرال ماكسويل تيلر ، ووزير العدل روبرت كينيدي ووزير المالية (الخزينة) دوغلاس ديلون ، ومستشاري البيت الأبيض تيؤدور سورنسن وماك جورج بندي وشخصيات مثل دين آتشيسون وآدلاي ستيفنسون ، إلى هذا الحل الثالث . وفي يوم الاثنين ، في ٢٢ تشرين الأول شاور كينيدي بعض الشخصيات الأخرى ولا سيا الرؤساء السابقين : هوفر ، ترومان ، آيزنهاور .

إعلان القرار

في ٢٢ تشرين الأول ، في الساعة ٧ مساءً ، ألقى كينيدي خطاباً متلفزاً عظيم الأهمية ، يقول فيه : « الحكومة ، كما وعدت ، حافظت على أوثق رقابة

على الإنجـازات العسكريـة السوفيـاتيـة في جزيرة كوبـا . وفي الأسبوع الأخير ، أقـامت دلائل لا يمكن دحضهـا الواقع في أن مجموعـة صواريخ هجـوميـة في سيـاق الإنشاء في هـذه الجزيرة الحبيسـة . وهـدف هـذه القـاعـدة لا يمكن أن يكون غير تجهيز قوة عسكرية ضد نصف الكرة الغربي .. إن تحويل كوبا السريع إلى قاعـدة سراتيجية هامة بوجود هذه الأسلحة العظيمة البعيدة المدى ومن البديهي الهجوميـة للتدمير الكثيف تؤلف تهديداً واضحاً ضـد السلام وأمن الأمريكات كلهـا ... هـذا القرار المبـاغت والسري ، في إقـامـة أسلحـة ستراتيجيـة لأول مرة خـارج الأراضي السوفياتية ، هو تغيير للوضع الراهن بعمـد محرض ولا مبرر لـه ، وبلـدنـا لا يمكن أن يقبل إذا أردنا أنه يمكن لشجاعتنا والتزامـاتنـا في المستقبل أن تعتبر أهلاً لثقـة أصدقائنا أو أعدائنا ... ولن نخـاطر قبل الأوان دون ضرورة بحرب عـالميـة تكون فيها ثمار النصر رمـاداً في فمنـا ، ولكننـا لن نتراجع أمـام هـذه المخـاطرة في كل آن حيث يستلزم تصورها » .

وأبلغ الرئيس كينيدي بتفـاصيل قراره المتعلق بـالحصـار وبـإنـذاره أولاً إلى حلفـائـه الأسـاسيين ، ثم إلى الحكومـة السـوفيـاتيـة . وتلقى مسـانـدة كاملـة من مـاكميـلان عن المملكـة المتحـدة ؛ ومن الجنرال دوغـول عن فرنسـا ؛ وأخبر أيضـاً منظمة الدول الأميركية والأمم المتحدة . ونشرت الصور التي أخذتها طائرات U 2 في العالم كله . ودل سبر على أن ٨٤ ٪ من الأميركيين صرحوا بأنهم لصالح سيـاسـة الحصار ويوافقون على قرار كينيدي . و ٤ ٪ فقط أنكروه .

قرار خروتشوف

سبـق للصينيين أنْ صرحـوا بـأن (النمر الأميركي نمر من ورق) . أمـا خروتشوف ، الـذي يعرف بشكل أفضل خصـومـه ، فقـد ردّ بـأن (هـذا النمر من ورق له أسنان ذرية) . وتمّ البرهان على ذلك . لقد كان خروتشوف واعياً تمـامـاً للأخطار المريعة لحرب ذرية ، ويبدو أنه تأثر بالقرار الأميركي . وقامت بـالحـال

مبادلة مراسلة مباشرة بين كينيدي وخروتشوف . وتلقت الشاحنات السوفياتية الأمر بأن تدور نصف دورة في الأطلسي . ولم يجر أي تماس بينها وبين الأسطول الأميركي . وفي ٢٦ تشرين الأول ، اقترح خروتشوف ، بوسيط شبه رسمي ، تسوية الخلاف حسب الشروط التالية : أن يسحب الاتحاد السوفياتي صواريخه تحت إشراف مراقبين من الأمم المتحدة ويتعهد بألا يدخلها من جديد إلى الأراضي الكوبية . وبالمقابل ، يأخذ الأميركيون على أنفسهم عهداً بألا يحاولوا اجتياح كوبا . وعلى هذا النحو لم يفقد الاتحاد السوفياتي الظاهر ، على الأقل رسمياً ، لأن بناء مزاحف القواعد الصاروخية في كوبا لم يكن له هدف آخر غير حماية هذا البلد الصغير ضد غزو محتمل من قبل جاره الأميركي القوي . وفي هذا اليوم نفسه ، المؤرخ في ٢٦ تشرين الأول ، كتب خروتشوف إلى كينيدي رسالة مؤثرة صرح فيها بأن الهدف الوحيد للصواريخ السوفياتية ، كان لتأمين حماية كوبا ، ووافق كينيدي جملةً على تسوية الأزمة على أساس الاقتراحات السوفياتية ، وبالحال أعلن خروتشوف بأنه قبل اقتراحات كينيدي المقابلة .

تسوية الخلاف

وعندئذ أنقذ السلام . وفي ٢٨ تشرين الأول ، صرح خروتشوف : « بما أن التعهد الأميركي يقضي بعدم اجتياح كوبا ، فإن البواعث التي دفعتنا لتخويل هذا العون زالت » . وستأتي الصعوبة كلها منذ الآن من كاسترو . وأمام الخطر الجسيم الذي يتهدد العالم ، فإن الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي قد تنازلا لمحاولة النقاش في الشؤون التي بينهما ، ولم يحاولا مشاورة كاسترو . احتج هذا بشدة ، وقال ، وهذه مرة جديدة أبرمت فيها الدول الكبرى اتفاقاً يتعلق ببلد صغير دون أخذه بعين الاعتبار . وقدر أن خروتشوف شتمه . ورفض إطلاقاً أن يتوغل مراقبو الأمم المتحدة في الأراضي الكوبية ؛ لأن مثل هذا العمل يكون إذلالاً . ووضع لتعاونه خمسة شروط أولية :

١ ـ الكف عن الحصار الاقتصادي .

٢ ـ الكف عن النشاطات الهدامة للهبوط بالمظلات ، وإنزال الأسلحة ، وتسلل الجواسيس والمحبطين .

٣ ـ الكف عن هجومات القرصنة التي تقوم بها الطائرات انطلاقاً من القواعد الأميركية .

٤ ـ الكف عن خرق المجال الجوي الكوبي بطائرات أميركية .

٥ ـ انسحاب الأميركيين من قاعدة غوانتانامو البحرية .

رفضت الولايات المتحدة الأخذ بعين الاعتبار هذه الشروط التي وضعها كاسترو ، ووجد خروتشوف نفسه مرتبكاً بمقاومة حليفه العنيفة . وبدت القضية في طريق مسدود ، إلا أنه في ١٩ تشرين الثاني فقط ، بعد أحد عشر يوماً من المفاوضة مع الزعيم السوفياتي ميكويان الذي أرسل إلى كوبا ، اقتنع كاسترو بقبول تدمير ٤٢ مزحف إطلاق سوفياتي وانطلاق الطائرات (اليوشين Ilioucнine ٢٨) . ولكنه رفض دوماً مجيء مراقبي الأمم المتحدة . وفي هذه الظروف ، صرحت الحكومة الأميركية بأنها ستستمر برقابتها الجدية وسحبت وعدها بعدم الغزو . وفي آخر الأمر ، يوم مغادرة ميكويان ، قبل كاسترو مبادئ التفتيش الميداني من قبل مراقبي منظمة الأمم المتحدة . حتى إن الأميركيين ، وإن سحبوا وعدهم بعدم التدخل ، كانوا يرون في الواقع التمسك به ، ووجد أخيراً أن نظام كاسترو قد تعزز بذلك . ومع هذا ، فقد نما توتر عنيف أحياناً ، بين الاتحاد السوفياتي وكوبا . ووعدت روسيا السوفياتية بالاستمرار في دعم نظام كاسترو . ولم يكن ذلك إلا للحيلولة دون إخفاق ثورة شيوعية ، ولكن كاسترو أخذ منذ الآن يبتعد عن الشيوعية السوفياتية . وتقرب بالمناسبة من الصينيين . وصرح بأن نظامه يؤلف نظاماً أصيلاً في داخل الشيوعية العالمية .

وبالإجمال ، كسبت الولايات المتحدة القضية على الوجه الأساسي ، وتعزز

جـاههـا بصورة عظيمـة ، ولا سيما في أمريكا الـلاتينيـة . ولم يكن هـذا غير مظهر ثـانوي للقضيـة . إن أزمـة صواريخ كوبـا هي على وجـه الاحتمال أهم تـأريـخ في التـاريخ الـدبلومـاسي العـالمي منـذ ١٩٤٥ . لقـد برهن كينيـدي على قـوة طبعـه ومهارته ، وفي الوقت نفسه على إرادته السلميـة . لقـد كان رجل الـدولـة الوحيـد منذ آخر الحرب العالمية الثانية الذي قبل المخاطرة الفائقة باسم التهديد الذي يثقل على بلده . وإن الشعبية الفائقة للعادة التي سيتمتع بها في العالم كله ، والتي ستظهر حين وفـاتـه المفجعـة ، في ٢٦ تشرين الثـاني ١٩٦٣ ، حتى في البـلاد والأوسـاط الشيوعية ، أتت بصورة أساسية من هذا الموقف القوي والمرن معاً في قضية كوبا . ومن جهة أخرى ، إن نظريـة الردع ظلت حتى ذلـك الحين في صعيـد المـذهب . وهـا هي ذي الآن مجربـة في الـوقـائـع . فمنـذ ٢٢ تشرين الأول ١٩٦٢ ، لم يعرف العالم أي أزمة أخرى تقتضي احتمال تصعيد نووي .

لقـد نزعت قضيـة صواريخ كوبـا إلى إقنـاع المـوجهين الأميركيين بصحـة أو بصلاحية استراتيجيتهم النوويـة الجـديـدة ، فقـد أعـد هـذه الستراتيجيـة ، منـذ ١٩٦١ ، وزير الدفاع روبرت ماك نامـارا ، وأخـذت اسم (الردع التـدريجي) . فعوضاً عن أعمال ثأر مقابلة بـالمثل كثيفـة مفضلـة في العهـد الجمهوري ، تؤدي إلى هذه النتيجة العقيمة وغير المعقولة وهي أن عدوانـاً ولو كان صغيراً لا يثير إلا شكلاً وحيداً من أعمال الثأر ، وهو الهجوم الذري ، كانت فكرة ماك نامارا ومستشـاريـه أن من الممكن تـدريـج التصعيـد . وهـذا يعني ، في حـال هجـوم بـالأسلحـة التقليدية ، أنه يمكن الرد بأسلحة تقليـديـة ؛ وإذا استخـدم الخصم أسلحـة ذريـة تاكتيكية (تعبوية) ، يمكن الرد بأسلحة مماثلـة ، ويجـاب انفجـار قنـابل ذريـة ستراتيجيـة بتفجير من نفس الطبيعـة . ويحـاول في كل درجـة من درجـات هـذا التصعيد الحصول على توقف الخصم . وحينمـا يبـدو من غير المعقول مخـاطرة الخصم بحياة مئة مليون نسمة في حالة غزو حي في برلين الغربية ، فـإن رداً قليل السعـة

يصبح منذ الآن ممكناً . إن كل القضية كانت معرفة ما إذا كان إيقاف التصعيد ممكناً ، ويبدو أن السوفياتيين شكوا طويلاً بهذه الإمكانية ، ومع ذلك فإن إيجاد وسيلة اتصال مباشر بين واشنطون وموسكو ، (الخط الأحمر)[1] بدا يدل بأنه غير مستبعد . لقد كان له تأثير عظيم على الموازنة العسكرية الأميركية . ورأينا ، في رئاسة آيزنهاور ، أن هذه الموازنة خفضت . وفي الواقع ، كانت الأسلحة النووية ، في هذه المرحلة ، أقل كلفة من الأسلحة التقليدية ، والرد الوحيد المتوقع كان نووياً . وعلى العكس ، يقتضي مذهب ماك نامارا وجود قوات عظيمة في جميع الدرجات بدءاً من الأسلحة التقليدية حتى الأسلحة الحرارية ـ النووية الستراتيجية . وهذا يفترض نفقات مرتفعة أكثر بكثير ، والموازنات العسكرية الأميركية التي انحدرت حتى حوالي ٤٠ ملياراً في ١٩٥٦ ، ستتزايد بصورة عظيمة في عهد الرئيس كينيدي ولا سيا في عهد خلفه جونسون لتبلغ ، وأخيراً تتجاوز ٧٥ مليار دولار سنوياً .

٤ ـ بدايات التوتر السوفياتي ـ الصيني

عصر العلاقات الطيبة الظاهرية ١٩٤٩ ـ ١٩٥٧

لقد كان استيلاء الشيوعيين ، في الصين عام ١٩٤٩ على السلطة ، حادثاً عظيماً في تاريخ العلاقات بين بلاد رأسمالية وشيوعية . وفجأة ، تنتقل دولة مما يقرب ٦٠٠ مليون نسمة من معسكر لآخر . وإذا وثقنا بالمذهب الماركسي ـ اللينيني الذي لا يمكن أن يكون فيه تناقض بين البلاد الاشتراكية ، فسيكون في ذلك تعزيز عظيم للشيوعية في العالم . وفي الواقع ، كما رأينا ، إن رحلة ماوتسه تونغ إلى موسكو في ١٩٥٠ ، والاتفاق الصيني ـ السوفياتي ، في ١٤ شباط ١٩٥٠ ،

---

(١) الخط الأحمر (LE TÉLÉTYPE ROUGE) .

يمكن أن يظهر كمؤشر للتبعية الصينية للمعسكر السوفياتي . وإن الحذر الذي كان يبديه ستالين دوماً إزاء الشيوعية الصينية ، يبدو أنه زال . وحتى بعد وفاة ستالين ، إن رحلة خروتشوف الأولى إلى الصين ، في تشرين الأول ١٩٥٤ ، واتفاقات تشرين الأول من نفس السنة التي تتوقع عودة الشركات المشتركة الصينية ـ السوفياتية التي أنشئت في ١٩٥٠ و ١٩٥١ ، يبدو أنها تؤكد العلاقات الممتازة بين البلدين الاشتراكيين الكبيرين . وفي ١٩٥٦ ، قدر الصينيون قليلاً جداً شجب خروتشوف لستالين في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي . فقد حصل هذا الشجب دون مشاورة (الأحزاب الشقيقة) . وأعلم ماوتسه تونغ السوفياتيين أن (مناقب ستالين تفوق أخطاءه) ، ولكن كل هذا لم يكن جهاراً . وببساطة ، في ٥ نيسان ١٩٥٦ ، بعد ختام المؤتمر العشرين بقليل ، نشرت (صحيفة الشعب اليومية) مقالاً هدفه حكم ملائم لستالين أكثر من حكم خروتشوف . ولم يبد النزاع جاداً جداً . وفي تشرين الأول وتشرين الثاني ١٩٥٦ ، وافق الحزب الصيني على موقف الاتحاد السوفياتي أمام (الثورة الهونغارية المضادة) . وفي رحلة ماوتسه تونغ إلى موسكو صرح إلى الطلاب الصينيين في ١٧ تشرين الثاني ١٩٥٧ : « أن القوى الامبريالية لها رأس ، وهو أمريكا ؛ وعلى معسكرنا الاشتراكي أن يكون له رأس ، وهذا الرأس هو الاتحاد السوفياتي ... والواقع أن مجيء ممثلي الأحزاب الشيوعية والعمالية هذه المرة إلى موسكو للمشاركة بالاحتفال بالذكرى الأربعين لثورة تشرين الأول الكبرى ، حادث عظيم الأهمية يظهر وحدة الدول الاشتراكية ، والاتحاد السوفياتي على رأسها ووحدة الأحزاب الشيوعية في العالم كله مع الحزب الشيوعي للاتحاد السوفياتي باعتباره المركز » .

الأزمة الخفية

في كل خلاف بين الدول الاشتراكية ، يوجد دوماً صعيدان : صعيد المذهب

وصعيد الوقائع . فبعد دور التوقف ، من ١٩٥٣ إلى بداية ١٩٥٨ ، أطلق ماوتسه تونغ الصين في تجربة واسعة ، تجربة (الثورة الدائمة) التي ظهرت بإنشاء (الكومونات الشعبية) و بـ (القفزة الكبرى إلى الأمام) التي تكلمنا عنها سابقاً . وقد أخفقت هذه التجربة بشكل ذريع . وجعلت أقل صخباً وظهوراً وأخفيت انطلاقاً من ١٩٦٠ ، إثر المحاصيل الرديئة في سنتي ١٩٥٩ و ١٩٦٠ . ومع ذلك ، فإن السوفياتيين راقبوا هذه التجارب بشكل انتقادي جداً . وجرأت الصين في انطلاقها بتشييد الاشتراكية بطريق يختلف تماماً عن الطريق الذي تابعه الاتحاد السوفياتي . أفلا يدل هذا على أن الحزب الشيوعي الصيني قد طرح أكثر فأكثر وصاية الحزب الشيوعي السوفياتي ؟!

انطلاقاً من ١٩٥٨ ، بدأ خروتشوف والموجهون السوفياتيون يشجبون بشكل مستتر نظام (الكومونات الشعبية) الصيني و (القفزة الكبرى إلى الأمام) . وبغية اقتحام المراحل ، انطلقت الصين في الواقع في طرق رجعية . ففي تشرين الثاني ١٩٥٧ ، في مؤتمر الأحزاب الشيوعية المجتمعة في موسكو ، بعد الظفر الفضائي للقمر الاصطناعي (سبوتنيك) بقليل ، أوضح الإعلان العام (أن الامبريالية الأميركية عدو شعوب العالم أجمع) . ولكن بعد أزمة ١٩٥٨ في لبنان وفي مضيق فورموزا ، يبدو أن خروتشوف تطور نحو فكرة إمكان التفاهم مع واشنطون . وبالعكس ، شددت الصين إرادتها في تطبيق سياسة غير متسامحة حيال البلاد الرأسمالية . وتخلى ماوتسه تونغ ، في كانون الأول ١٩٥٨ ، عن إدارة الدولة واحتفظ بإدارة الحزب فقط . وفي نيسان ١٩٥٩ ، أصبح ليوشاوشي رئيساً للجمهورية ، وحذف أنصار الحلف السوفياتي قليلاً قليلاً . وهكذا حل محل وزير الدفاع (بنغ تيه هو اي PENG TEH HOUAI) (الجنرال لن بياؤ Lin PIAO) استراتيجي حرب الأنصار ، والمعادي لـ (التعايش السلمي) ، مع الامبريالية الأميركية .

وفي صيف ١٩٥٩ ، ازداد التوتر فجأة . ولقد رأينا في تشرين الأول ١٩٥٧ ، أن السوفياتيين قاموا بمساعدة الصين في تأسيس التسلح النووي. وفي ٢٠ حزيران ١٩٥٩ ، أعلم السوفياتيون الصينيين ، بأنهم لن يقدموا نموذجاً للقنبلة الذرية . وفي ٩ أيلول ١٩٥٩ ، نشرت وكالة (تاس TASS) بلاغاً عن الحوادث المسلحة التي حدثت على الحدود بين الصين والهند . فقد أعادت الصين ضم واحتلال التيبت في ١٩٥٠ ، وقبلت الهند هذا الحل . وأقيم النظام الشيوعي في التيبت ، وهذا ما أثار مقاومات متزايدة في الشعب البوذي ، ولا سيا بين الرهبان ، وترأس الدالاي لاما ، زعيم التيبت الديني ، هذه المقاومة ، فيما كان منافسه التقليدي (البانتشن لابا) ، زعيم (تاشيلمبو) الديني ، يدعم الحزب الصيني . وفي ١٧ آذار ١٩٥٩ ، تفجرت ثورة مسلحة في التيبت . واستطاع الصينيون إخمادها . وهرب الدالاي لاما والتجأ في الهند . واتهم نهرو الصينيين بخرق الاتفاقات الصينية ـ الهندية . وجرت حوادث عديدة على الحدود بين الهند والصين أثناء الصيف . وبالرغم من استياء الصينيين العظيم ، تحزب الاتحاد السوفياتي بصراحة للهند ، وفي ١٢ أيلول ، وقع مع هذا البلد اتفاقاً يقضي باعتماد ١,٥ مليار روبل لإنجاز الخطة الخامسة الخمسية الهندية . ومن جهة أخرى ، استطاعت الصين أن تتظلم بأنها لم تتلق ، وهي الدولة الاشتراكية ، مساعدة عظيمة بهذا القدر من الاتحاد السوفياتي .

ومن جهة أخرى ، بدا دعم الهند عملاً عدائياً . ولم تهدىء الخلاف رحلة خروتشوف إلى بكين في خريف ١٩٥٩ ، للاحتفال بالذكرى العاشرة للجمهورية الشعبية الصينية ، وفي تموز ١٩٦٠ . وسع قرار جديد من موسكو الأزمة . وقرر الاتحاد السوفياتي استدعاء الألوف من الخبراء التي أرسلها إلى الصين لمساعدة هذا البلد في إنشاء صناعة حديثة في إطار الخطة الثانية الخمسية (١٩٥٨ ـ ١٩٦٢) . فهل لهذه الإجراءات هدف في ممارسة ضغط على الصين ، والذهاب بالحزب الشيوعي الصيني إلى الكثير من اللين إزاء الحزب السوفياتي ؟ أو أنها اتخذت لأن

السوفياتيين يخشون أكثر فأكثر نمو القدرة العسكرية الصينية ؟ من الصعب الجواب على ذلك ؟ ومع أن هذه المناقشات كانت لاتزال سرية ، فقد جرت محاولة ، في تشرين الثاني ١٩٦٠ ، لاختبار توكيد الروابط بين الأحزاب الشيوعية في العالم . فقد عقد مؤتمر ضم ٨١ حزباً شيوعياً في موسكو وظل يعمل شهراً . وكانت المناقشات حادة جداً بالتأكيد . وكان المندوبون الصينيون فيه أقلية ، ومع ذلك ، فقد انتهى المؤتمر بنص تبني بالإجماع . ولا يمكن الحصول على الإجماع إلا بشجب عظيم علني لـ (الامبريالية الأميركية الحصن الأساسي للرجعية العالمية .. عدوة شعوب العالم أجمع) . ودعم تصريح الـ ٨١ حزباً بأنه يوجد خطران أساسيان على الحركة الشيوعية الدولية : خطر (إعادة النظر)[١] الذي يتهم به الشيوعيون اليوغوسلافيون ، وخطر (العقائدية)[٢] التي تقضي بتضحية الواقع بتفسير خاطئ للمذهب .

ولكن اقتراح التسوية هذا لم يؤد إلا إلى نتيجة واحدة . وشيئاً فشيئاً أخذ الصينيون يعتبرون السوفياتيين مشككين معدلين ، والسوفياتيون يعتبرون الصينيين (عقائديين) جازمين . ومن جهة أخرى ، ماهو الموقف الذي تحسن ملاحظته إزاء الامبريالية الأميركية ؟ لقد رأينا أن خروتشوف تخلى عن الحرب الشاملة ليقود إلى انتصار (المعسكر الاشتراكي) على (المعسكر الامبريالي) . وعلى العكس ، فإن الصينيين لا يرغبون بهذه الحرب ويعتبرون أنها ممكنة على وجه الاحتمال . وذهب بعض الموجهين الصينيين حتى القول بأن الصين ، بشعبها القريب ، منذ الآن ، من ٧٠٠ مليون نسمة ، هي البلد الوحيد في العالم الذي يستطيع تحمل حرب ذرية مع الحفاظ على قوى كافية للقيام في وقت لاحق بفتح العالم المدمر .

---

(١) (إعادة النظر REVISIONNISME) .

(٢) (العقائدية DOGMATISME) .

قضية ألبانيا

وبمناسبة أصغر البلاد الشيوعية الأوربية ، انفجرت الأزمة في وضح النهار بعد أن ظلت حتى ذلك الحين سرية . لقد كان الزعيم الشيوعي الألباني أنور خوجا يخشى من أن تبتلع يوغوسلافيا الجارة قسماً من بلاده ، فوافق بحماسة على قطيعة حزيران ١٩٤٨ بين ستالين وتيتو . وعلى العكس ، إن التقارب بين الاتحاد السوفياتي ويوغوسلافيا ، في أيار ١٩٥٥ ، بدا له مخرباً . وذهبت عبثاً الجهود التي قام بها خروتشوف للوصول إلى تقارب بين ألبانيا ويوغوسلافيا . وما فتئ أنور خوجا يتهم اليوغوسلافيين بالمواقف (المتعصبة) و (المعادية للماركسية) . وفي أيار ١٩٥٨ ، وصف اليوغوسلافيين بأنهم (خونة الماركسية ـ اللينينية) و (خدم الامبريالية) .

وذهب خروتشوف إلى ألبانيا في أيار ١٩٥٩ ، وبقي فيها أحد عشر يوماً ، ولكنه لم ينجح في توطيد العلاقات الطيبة .

وعندئذ ظهر حذر الاتحاد السوفياتي إزاء ألبانيا بشكل حاسم . وفي ١٩٦٠ ، غادرت الـ ٨ غواصات السوفياتية ، وسفنها المرافقة المرابطة في قاعدة في ميناء فالونا ، في ألبانيا ، وعادت إلى الاتحاد السوفياتي بطريق مضيق جبل طارق والبحر البالطيك . وفي كانون الثاني ١٩٦١ ، انقطعت إرسالات العتاد السوفياتي المخصص لتجهيز ألبانيا . وبعد بضعة أيام ، أعلنت السفارة السوفياتية عن سحب خبراء البترول الروس . وكانت القطيعة . وشعرت ألبانيا بأنها معزولة ؛ وكان من الطبيعي أن تبحث عن دعم ، ووجدت هذا الدعم لدى الصين .

القطيعة المعلنة في المؤتمر الثاني والعشرين

انعقد المؤتمر الثاني والعشرون للحزب الشيوعي للاتحاد السوفياتي في موسكو ، في تشرين الأول ١٩٦١ . وكانت أهميته عظيمة لاعلى صعيد السياسة

الداخلية السوفييتية فحسب ، وإنما أيضاً على صعيد السياسة الخارجية . ولم ير في أي وقت مضى مثل هذا العدد للأحزاب الشيوعية الأجنبية الممثلة . ففي القائمة الرسمية ، وجدت أولاً الأحزاب العشرة الشيوعية ، المعسكر الاشتراكي ، والحزب الصيني على رأسها ، ولم تدع ألبانيا . ثم يأتي ٤٥ حزباً مع الحزب الشيوعي الفرنسي أولاً ، ثم الحزب الشيوعي الإيطالي ، وفي المقام الثالث الحزب الشيوعي الكوبي ، ثم الحزب الشيوعي الأندونيسي ، ويأتي أخيراً ٢٢ حزباً آخر عددها خروتشوف ببساطة . ويبدو أن هذا يعبر إما عن نظام أدنى ، وإما عن ضيق البلد الذي تعمل فيه ، وإما عن الصفة المحدودة لأعداد رجالها . ويمكن أن نلاحظ أيضاً تقدماً عظيماً في عدد وفود (العالم الثالث) . فقد قدم ٢٤ وفداً من أمريكا اللاتينية مقابل ١١ في ١٩٥٦ ؛ ٧ من آسيا مقابل ٣ في ١٩٥٦ ؛ ٨ عن البلاد العربية مقابل ٢ في ١٩٥٦ . وأفريقية السوداء الغائبة في المؤتمر العشرين مثلت بجزبين (اتحاد جنوب إفريقية وجزيرة ريئونيون) .

وبالرغم من أن الحزب الشيوعي الصيني كان في الرأس . فإن مظهرين لتصريح خروتشوف كانا خاصين لإثارة استيائه : أولاً التجديد ، العلني هذه المرة في الهجوم على ستالين . لقد اتهم الدكتاتور السابق لا لأنه نمّى إلى الحد الأقصى عبادة الشخصية ، وإنما أيضاً لتخليه عن مبادئ الليلينية ، لاسيا أنه ، عند التطهيرات الشهيرة التي نظمها ارتكب جرائم فظيعة . وقرر المؤتمر أن يسحب من مدفن الساحة الحمراء جسد ستالين المحنط ، وإبقاء جسد لينين فيه فقط . وفي الوقت نفسه اتهم خروتشوف (جماعة معادية للحزب) كان زعماؤها مولوتوف ، كاغانوفيش ، مالينكوف وفوروشيلوف . وهذا الفريق المعادي للحزب كان فريق الستالين المحبذين لسياسة قاسية حيال الولايات المتحدة . وكان موقفهم على وجه الدقة نفس موقف الشيوعيين الصينيين ، الذين ، كما رأينا ، لم يقبلوا مطلقاً وأبداً شجب ستالين .

والموقف الثاني لخروتشوف ، ومن شأنه استياء الصينيين ، كان شجب ألبانيا . ففي تقريره المؤرخ ، في ١٧ تشرين الأول ، اتهم الشيوعيين الألبان بـ (نظرات خاطئة) وطلب إليهم (العود إلى طريق الوحدة والتعاون الوثيق في الأسرة الأخوية للوفاق الاشتراكي) . وبمهاجمة ألبانيا ، كان خروتشوف يرمي أيضاً إلى الصين . ولذا فمنذ ١٩ تشرين الأول ، أجاب المندوب الصيني الأساسي شو إن لاي بشجب الطريقة التي استخدمها خروتشوف ، فعوضاً عن التشهير علناً بالموجهين الألبانيين ، كان من الواجب محاولة القيام بمفاوضات تؤدي إلى وفاق . وفي ٢٧ تشرين الأول ، أجاب خروتشوف ، وذكر بكلمات مغطاة التواطؤ بين الصين وألبانيا . « إذا أراد الرفقاء الصينيون القيام بجهود لتطبيع علاقات حزب العمل الألباني مع الأحزاب الشقيقة ، فمن المحتمل قليلاً أن يكون بالإمكان وجود أحد يستطيع بشكل أفضل الإسهام في حل هذا الواجب » . ولكن في ٣١ تشرين الأول ١٩٦١ نشرت (صحيفة الشعب اليومية) الصينية بشكل كامل افتتاحية الجريدة الشيوعية الألبانية المسماة : (سياسة خارجية مرتبطة دوماً بالماركسية ـ الليلينية ، سياسة حزب العمل الألباني) . وهكذا رأى الصينيون أنه ، في حال خلاف بين الشيوعيين السوفياتيين ، والشيوعيين الألبانيين ، أن الألبانيين هم الذين حافظوا على نقاوة المذهب الماركسي ـ الليليني . وبتعبير آخر ، هاجموا مذهب الشيوعيين السوفياتيين . ومن جهة أخرى ، في ١٣ كانون الثاني ١٩٦٢ ، وقع اتفاق في بكين بين الصين وألبانيا يسمح لهذا البلد بعون اقتصادي عظيم : تجهيز بالحنطة ، ومنح اعتمادات ، وإرسال خبراء تقنيين .

توسع الأزمة

في نيسان وفي أيار ١٩٦٢ ، وقعت حوادث حدود بين الاتحاد السوفياتي والصين . والحدود الصينية ـ السوفياتية تمتد في آسيا الوسطى والشرقية على أكثر

من ٧٠٠٠ ك م ؛ وهي أطول حدود في العالم بين دولتين . وإذا كانت هاتان الدولتان عدوتين ، شكلت هذه الحدود منطقة يحلم بها للحوادث . وفي تشرين الأول ١٩٦٢ ، أثناء قضية الصواريخ السوفياتية في كوبا ، لم توافق الصين على التراجع السوفياتي . وفي الوقت نفسه ، استؤنفت العمليات العسكرية بين الصين والهند ، وكانت الحدود بين البلدين قد حددت على طول خط قمم هيمالايا في عصر السيطرة البريطانية على الهند . وكان هذا الخط (خط ماك ماهون) . إلا أن الصين لم تقبل بخط ماك ماهون ؛ ورأت بأن لها حقوقاً على قسم من سكان السفح الجنوبي لهيمالايا ، وهؤلاء السكان ، على خلاف سكان السهول ، كانوا من عرق أصفر وعلى العموم بوذيين . واستطاع الصينيون اجتياز الهيمالايا بجيوش هامة وأحرزوا نجاحاً عسكرياً واضحاً . وقبلوا مع ذلك بسرعة جداً أن يوقعوا هدنة مؤقتة . وكان هدفهم ، على ما يبدو ، إجبار الهنود على البدء بمفاوضات على الحدود المشتركة . وفي هذا المشروع ، دعم الاتحاد السوفياتي الهند وجهزها بعتاد الحرب . وبالجواب على الاتهامات الصينية ضد التراجع السوفياتي المزعوم في كوبا ، صرح خروتشوف ، في كانون الأول ١٩٦٢ ، أمام المجلس السوفياتي الأعلى ، بحضور تيتو ، بأن (النمر الورقي الأميركي ، له أسنان ذرية) . واتهم الصينيين بالسماح بأن يبقى بعض أراضيها محتلاً من قبل الأجنبي (هونغ كونغ) . وصرح : « لقد دلت أزمة كوبا على أن العقائدية تؤلف الآن الخطر الأساسي » . وفي اللغة الشيوعية ، هذا يعني أن الخطر لا يأتي مطلقاً من التشكيكية اليوغوسلافية ، وإنما من الموقف المتشدد للموجهين الصينيين .

أصبحت الأزمة الآن علنية ، وستأخذ شكلاً شديداً للغاية . ففي آخر شباط وبداية آذار ١٩٦٣ ، نشرت (صحيفة الشعب اليومية) في بكين أربعة مقالات معادية لخروتشوف بعنف . وفي ١٥ حزيران ، قدم سفير الصين في موسكو للموجهين السوفياتيين رسالة بـ ٢٥ نقطة تعدد كل المسائل التي يرفض

بموجبها الحزب الشيوعي الصيني كل تنازل للحزب الشيوعي السوفياتي . وتقول الرسالة ، لا يوجد حزب أعلى ، وأمة عليا في المعسكر الاشتراكي . إن السوفياتيين يمارسون سياسة خيانة الثورة العالمية . وتخلوا عن العديد من المبادئ الماركسية اللينينية ، وأقبح من ذلك ، عن الثورة العالمية . وبما أن معظم الأحزاب الشيوعية في الغرب ، والعالم الثالث ، بقيت موالية لموسكو ، فقد أطلق الصينيون نداء حقيقياً للثورة في داخل هذه الأحزاب الشيوعية . وهكذا ، كان يوجد في العالم جنباً إلى جنب مع الأحزاب الشيوعية المناصرة للسوفياتيين ، أحزاب شيوعية مناصرة للصينيين وستكون المتمسكة بالماركسية ـ اللينينية النقية . وفي نص نشر ، في ١٤ تموز ١٩٦٤ ، في بكين ، تحت العنوان (شيوعية خروتشوف المزعومة والدروس التاريخية التي تعطيها للعالم) ، اتهم الشيوعيون الصينيون خروتشوف بأنه ذلك المشكك ، وأنه شجع العناصر البورجوازية القديمة على رفع رأسها ، وخلق بورجوازية جديدة بين الإطارات الموجهة للحزب والحكومة السوفياتية ، وبين المسؤولين عن مشاريع الدولة والكولخوزات ، وبين المفكرين المحتلين للمراكز العليا في الثقافة ، والفن ، والعلم ، والتقنية . لقد خان الاتحاد السوفياتي ، لأنه عهد إلى بورجوازية جديدة بإدارة الدولة . « هذه الطبقة الممتازة هي العنصر الأساسي للبورجوازية في الاتحاد السوفياتي في أيامنا ، والقاعدة الاجتماعية لطغمة خروتشوف المشككة » ... « إن شيوعية خروتشوف في جوهرها متغيرة للاشتراكية البورجوازية » .

وهكذا حدث حادث جديد في تاريخ العالم ، وهو القطيعة بين الدولتين الكبريين في الدول الاشتراكية . وتملك إحداهما ، دولة الاتحاد السوفياتي ، قدرة عسكرية هائلة ، وما زالت الصين بعيدة عنها . ومع ذلك ، ففي تشرين الثاني ١٩٦٤ ، تفجرت لها أول قنبلة ذرية تجريبية ، وفي ١٩٦٧ ، جرى لها أول تفجير حروري ـ نووي . وفي الخلاف السوفياتي ـ الصيني ، يرى بادئ بدء ظهور

اختلافات عميقة على الصعيد العقائدي (الإيديولوجي) ، وعلى تفسير الماركسية ـ الليلينية من حيث الطرق التي يجب أن تستخدمها الشيوعية لتنمية عملها . وانتقل الخصام العقائدي أيضاً إلى إمكانية تعايش سلمي مع الغرب قبله الاتحاد السوفياتي واطرحته الصين ، وإلى فكرة الثورة العالمية التي يرجو الاتحاد السوفياتي أن تكون سلمية ، وتأخذ شكل تنافس اقتصادي ، وتريدها الصين عنيفة ، حتى إنها قبلت في آخر الأمر حرباً شاملة .

وعلى التنافس المذهبي ، توضع خلاف دول ، في داخل المعسكر الاشتراكي . فمن يسيطر على الشيوعية العالمية ؟ لقد قبل ماوتسه تونغ بأن تكون الشيوعية السوفياتية في عهد ستالين . وبعد وفاة ستالين ، رأى أنه أصبح أكبر مفكر ماركسي ـ ليليني ، ولا يوجد أي سبب ليحتفظ السوفياتيون بامتياز في توجيه الحركة . وأخيراً ظهر خلاف دولة لدولة وأخذ أعظم شكل درامي ممكن ، شكل خصام يهم الحدود ، وأحداث مسلحة وسنرى ، في الآجل ، مطالب أرضية صينية .

٥ ـ تحرير إفريقية من الاستعمار ونهاية حرب الجزائر

قبل ١٩٥٧ ، وجد القليل جداً من البلاد المستقلة في إفريقية . ففيما عدا أثيوبيا وليبريا اللتين تكلمنا عنهما وجنوبي إفريقية ، الدومينون البريطاني الذي غادر بعد قليل رابطة الشعوب البريطانية (الكومنولث) بسبب نظام التفرقة العنصرية(١) (العزل) الذي يمارس فيها ، نرى أن البلاد التي استقلت حديثاً توجد في إفريقية الشمالية : مصر ، ليبيا ، مراكش ، وتونس . ومع ذلك ، فمن ١٩٥٧ إلى ١٩٦٢ ، وفي فترة خمسة أعوام خرجت كل إفريقية تقريباً من النظام الاستعماري ، ومن المؤكد أن هذا الحادث مرتبط بإرادة جميع الدول الجديدة في

---

(١) التفرقة العنصرية أو العزل : Apartheid .

تعجيل استقلال أراضيها التي مازالت خاضعة للسيطرة الاستعمارية ، وكان رمز هذه الحركة مؤتمر باندونغ في ١٩٥٥ الذي درسناه[١] . ومن جهة أخرى ، في ١٩٥٥ ، قررت الدولتان العالميتان الأعظم ، لأسباب مختلفة ، تكثيف عملهما لصالح التحرر من الاستعمار . ولفهم هذه الحركة التي هي حادث من أهم الحوادث في العلاقات الدولية ، بعد الحرب العالمية الثانية ، يجب علينا أن نميز تحرر إفريقية السوداء الإنكليزية ، وإفريقية السوداء الفرنسية ، والكونغو البلجيكية والجزائر .

تحرير إفريقية السوداء الإنكليزية

لم يمارس الإنكليز أبداً سياسة التمثيل[٢] ، ولذلك باشروا بالتحرير من الاستعمار بلداً بلداً ، ولكن باتباع نفس الطريقة بالإجمال . فقد انتقلت المستعمرات من نظام (مستعمرات التاج) التي تدار مباشرة ، إلى نظام مستعمرات ذات حكومة مسؤولة مجهزة بتشريع وتدير مالياتها الخاصة ؛ ثم ، أصبحت مستعمرات ذات (حكم ذاتي) أكثر استقلالاً . وهكذا نهج البريطانيون مرحلة مرحلة باستخدام المفاوضة إلى الحد الأقصى تحت إشراف (وزارة المستعمرات) في لندن وبوساطة لجان تحقيق ملكية مكلفة بمعرفة أماني السكان .

إن أول مستعمرة بريطانية إفريقية أصبحت مستقلة ، كانت (**ساحل الذهب**) حيث نشأت فيها حركة وطنية شديدة جداً في ١٩٤٧ تسمى (مؤتمر ساحل الذهب المتحد) وكان أمينها العام معلم مدرسة كاثوليكي (كوامي ن . كروما) . أوقف . وقد زاد هذا التوقيف بعملية معروفة جيداً من هيبته وجاهه بصورة عظيمة . وما أن تحرر إلا وأسس ، في حزيران ١٩٤٩ (مؤتمر حزب الشعب) الذي نظم دعاية نافذة وناجعة في سبيل الاستقلال . وفي ١٩٥٠ ، أعلن

(١) راجع التاريخ الدبلوماسي الجزء الأول ، الفصل الثالث ، مؤتمر باندونغ .

(٢) التمثيل Assimilation .

دستور جديد يعطي عملياً لساحل الذهب (حكماً ذاتياً) . وفي الانتخابات العامة لعام ١٩٥١ ، تغلب حزب (ن ، كروما) وأصبح هذا أول رئيس للحكومة ، وبالرغم من مقاومة مختلف التجمعات الإقليمية ، لحزب إسلامي تقليدي ، والكثير من القبائل ، وبعض أعضاء البورجوازية العليا المعادية للاتجاهات الماركسية لمؤتمر حزب الشعب[١] ، خولت (وزارة المستعمرات) الاستقلال في ٦ آذار ١٩٥٧ لساحل الذهب وأخذ اسم (**غانا**)[٢] وضم إليه الجزء البريطاني من (توغو)[٣] مباشرة .

نيجيريا ، أوسع المستعمرات الإفريقية ، بعد الكونغو ، كانت أكثر انقساماً على صعيد الأعراف ، واللغات (فيها ٢٤٨ لهجة) والأديان . في ١٩٤٤ ، أنشئ حزب وطني وكان زعيمه (ناندي آزيكيوي) . وفي ١٩٥١ ، منحت نظام (الحكم الذاتي) ، ثم في ١٩٥٤ ، دستوراً من نموذج اتحادي . وأصبحت نيجيريا مستقلة ، في الأول من تشرين الأول ١٩٦٠ ، في داخل رابطة الشعوب البريطانية ، وأصبح آزيكيوي أول حاكم عام باسم انكلترا .

سيراليون ؛ المستعمرة البريطانية في غربي إفريقية ، نالت استقلالها في ٢٧ نيسان ١٩٦١ .

في **إفريقية الشرقية** ، كانت المستعمرات البريطانية مقسمة إلى أربعة بلاد أقل تطوراً من مستعمرات إفريقية الغربية : تانغانيكا ، كينيا ، أوغاندا ، زنجبار . كانت الأكثرية سوداء ، ولكن كان يوجد أيضاً معمرون أوربيون وتجار عرب أو هنود ، ولا سيما على شواطئ المحيط الهندي .

---

(١) مؤتمر حزب الشعب : (C. P. P.) .

(٢) غانا : Ghana .

(٣) توغو : Togo .

كانت **تانغانيكا** مستعمرة ألمانية سابقة ، ثم خضعت للانتداب ، ثم للوصاية البريطانية ، وشهدت أيضاً في ١٩٤٤ ظهور حزب وطني شعبي : حزب (**اتحاد تانغانيكا الوطني الإفريقي** .T. A. N. U) الذي يوجهه (**يوليوس نيريري**) . **أقيمت فيها حكومة مسؤولة في ١٩٦٠ ، وفي السنة نفسها ، جرت انتخابات عامة بفضل حزب (التانو .T.A.N.U)** ، استفتاء شعبي حقيقي لصالح التحرير الشامل ، وأعلن الاستقلال في ٢٨ كانون الأول ١٩٦١ في نطاق الكومنولث ، وأصبح نيريري الوزير الأول .

في **كينيا** ؛ كان التحرر من الاستعمار صعباً . إن $\frac{٥}{٦}$ البلاد صحراوية . والقسم المستعمل متنازع بين ٦ ملايين إفريقي ، و ١٥٠٠٠٠ هندي ، و ٥٠٠٠٠ عربي ، وعدة عشرات الألوف من المعمرين البريطانيين ، وكان هؤلاء يملكون أفضل الأراضي . وكان زعيم القومية في كينيا (**جوموكينياتا**) مستخدماً سابقاً ، ثم طالباً في مدرسة العلوم الاقتصادية في لندن ، وفي جامعة موسكو . أسس في ١٩٤٧ (**اتحاد كينيا الإفريقي**) ، وهو حزب شعبي ضم بعد قليل الكثير من المشتركين . وبصورة موازية لهذا الحزب ، وأحياناً بمشاركته ، نمت الحركة (ماو ـ ماو) ، وهي جمعية سرية ، سياسية ، ودينية تريد الحصول على الاستقلال ، واستعادة الأراضي من البيض ، وإلغاء المسيحية . وكانت طريقتها طريقة الاغتيالات الإرهابية . وفي تشرين الأول ١٩٥٢ ، قررت الحكومة البريطانية توقيف كبار زعماء الماو ـ ماو ، وأيضاً كينياتا وأعضاء (اتحاد كينيا الإفريقي) . ودامت الثورة حتى ١٩٥٥ . وفي ١٩٥٨ ، منح الإنكليز دستوراً جديداً . وفي ١٩٦٠ أنشئ حزب جديد ووضع تحت رئاسة كينياتا وهو حزب (**اتحاد كينيا الوطني الإفريقي** .K. A. N. U) وفي انتخابات شباط ١٩٦١ ، انتصر حزب (اتحاد كينيا الوطني الإفريقي .K. A. N. U) على الأحزاب التي يساندها الإنكليز . وفي كانون الثاني ١٩٦٢ ، أطلق سراح كينياتا . وعقد مؤتمر

دستوري في لندن . وفي انتخابات أيـار ١٩٦٣ أحرز (حزب اتحـاد كينيـا الوطني الإفريقي K. A. N. U.) ٧٥ ٪ من المقاعـد ، وخول الاستقلال في ١٢ كانون الأول من السنة نفسها .

أوغاندا : كانت تتألف من مستعمرة ومن ممالك صغيرة أهمها (**بوغـانـدا**) . وأعلن الاستقلال بعد أن أقنع الإنكليز بعناء العواهل الصغار في الاندماج في دولـة المستقبل . ودخلت أوغاندا في ٩ كانون الأول ١٩٦٢ في الكومنولث بلداً مستقلاً .

جـزيرة زنجبـار : لهـا وضـع خـاص . يـوجـد فيهـا أكثر من ٧٥ ٪ بقليـل أفـارقـة ، ولكن أيضـاً عرب ، وهنـود ، وقمريـون (من سكان جـزر القمر) ، وبرتغـاليـون من **غـوا**(١) ، وأوربيـون ، وصـومـاليـون . وفي ١٩٦٠ ، وفي جـو الاضطراب ، خول الإنكليز زنجبار حكومة مسؤولة . وفي انتخابـات كانون الثـاني ١٩٦١ ، قسمت المقاعد أيضاً بين (**حزب زنجبـار الوطني**) ، الـذي يسيطر عليـه العرب بصورة أسـاسيـة وتـدعمـه مصر ، واليسـار البريطـاني ، واليسـار الشيوعي وغانا ، وبين (**الحزب الإفريقي ـ الشيرازي**) الذي يسيطر عليـه الأفـارقـة وهو معتـدل كثيراً ، وتـدعمـه تـانغـانيكا ووزيرهـا الأول نيريري . وبـالرغم من هـذا الانقسـام ، أثنـاء المؤتمر الـدستـوري ، تقرر أن تحصـل زنجبـار على الحكم الـذاتي الـداخلي في منتصف ١٩٦٣ ، والاستقـلال في آخر السنـة نفسهـا . وبعـد شهر على الاستقلال ، في ١٢ كانـون الثـاني ١٩٦٤ ، قـامت ثـورة بتـدبير عنـاصر يسـاريـة متطرفة ، تثقفت في كوبـا ، وقلبت الحكومـة العربيـة ، التي يسـانـدهـا الهنود ، لصـالح الأفـارقـة . وقتل العـديـد من الألوف من العرب . وأقـام زعيم الثـورة ، **جون أوكيلو** الأوغـانـدي مجلس الثـورة يـدعمـه المنـاصرون للصينيين . واعترفت بالنظام الجـديـد في الحـال بلاد الشرق وأرسلت أسـاتـذة ، وأطبـاء ، وأنشـأت في البـلاد محطـة راديـو وميـنـاء ، ومستشفيـات . وفي ٢٢ نيسـان ١٩٦٤ ، تشكلت

(١) غوا : Goa .

جمهورية تانغانيكا وزنجبار وأخذت في ٢٩ أيلول التالي اسم (**جمهورية تانزانيا المتحدة**) . وكان يرأسها يوليوس نيريري ولها نائبا رئيس ، أحدهما في تانغانيكا ، والآخر في زنجبار . وهي نوع من دولة مزدوجة ، والعلاقات بين القسمين ليست ممتازة دوماً . وزنجبار هي إحدى نقاط إفريقية التي أصبح النفوذ الشيوعي فيها هاماً جداً ، وهي ممزقة مع ذلك بين الشيوعية الصينية ، والشيوعية السوفياتية والشيوعية الكوبية . والقضية الباقية هي قضية العرب والهنود الذين يقبضون على مفاتيح التجارة ويعتبرهم أفارقة اليسار المتطرف عقبات أساسية في وجه التقدم .

وفي **جنوب ـ شرق إفريقية** ، بين اتحاد جنوب ـ إفريقية ، المستقل في إطار رابطة الشعوب البريطانية منذ ١٩١٠ والذي ترك هذه الرابطة في ١٩٦١ ، تضم الممتلكات البريطانية ثلاثة بلاد : روديزيا الجنوبية ، وروديزيا الشمالية ونياسلاند . كانت نفوس روديزيا الجنوبية ، في العام ١٩٥٢ ، تضم : ١,٧٢٠٠٠٠ إفريقي و ١٥٧٠٠٠ أوربي ، أي قرابة ١٠ ٪ ، وهذه الحالة شبيهة جداً بحالة الجزائر . وكانت روديزيا الشمالية ونياسالاند محميتين حيث كان السكان البيض أقل بكثير . وحاول البريطانيون الحفاظ على الاتحاد بين هذه البلاد الثلاثة وألفوا في العام ١٩٥٣ (**اتحاد إفريقية الوسطى**) . وكان هدف (وزارة المستعمرات) الإقلال من نفوذ أنصار سلطة البيض والتفرقة العنصرية الذين يخضعون لنفوذ اتحاد جنوبي إفريقية . ولكن لم يكن للسود في الاتحاد إلا ٦ ممثلين على ٣٥ نائباً في المجلس الاتحادي . وكان الوطنيون يفكرون بأنه يجب زيادة النفوذ الإفريقي على السياسة ، وفي ١٩٥٧ ، باشروا النضال لا ضد البيض فحسب ، وإنما أيضاً ضد الاتحاد ، ووقعت حوادث دامية . وبدأت الحكومة البريطانية تشك في قابلية الحياة للاتحاد الذي يطالب الأفارقة بحله ولكن وزيره الأول السير (**روي ويلينسكي**) كان يحاول الإبقاء على روابطه .

كانت **نياسالاند** الأولى التي غادرت الاتحاد ، تحت إدارة حزب وطني على رأسه (**هاستنغ باندا**) . فقد شكل هذا حكومة زنجية صرفاً ، وأصبحت نياسالاند في شباط ١٩٦٣ مستقلة .

وأخطر من ذلك انفصال **روديزيا الشمالية** الغنية بمناجم النحاس . فقد أثار حزب (**كاوندا**) الوطني ثورة شديدة على الاتحاد . وفي أيلول ١٩٦٢ ، قبلت وزارة المستعمرات تسوية ، وأمنت انتخابات أكثرية للأحزاب الإفريقية . وبالحال حصل كاوندا من المجلس التشريعي على تصويت لصالح سحب روديزيا الشمالية من الاتحاد .

وكانت **روديزيا الجنوبية** تحت نفوذ البيض الواسع . وسمح دستور ١٩٠١ للزنوج بدخول المجلس ، ولكن بأقلية . ونظم استفتاء شعبي قبل بموجبه البيض وحدهم تقريباً للتصويت . وتبني دستور يعطي البيض سلطة مسيطرة . وفي انتخابات كانون الأول ١٩٦٢ ، ضربت (**الجبهة الروديزية**) ، لليمين المتطرف ، المعتدلين . وطلبت الحكومة الجديدة التصويت على قوانين القمع ، وفرضت على كبار الزعماء الأفارقة الإقامة الجبرية . ومنذ نيسان ١٩٦٤ . أصبحت حكومة روديزيا الجنوبية في يدي **إيان سميث** الذي انتهى بفعل جانبي ، ودون موافقة بريطانيا ـ العظمى ، يقرر استقلال البلاد . وقام خلاف خطير بين روديزيا الجنوبية من جهة ، والمملكة ـ المتحدة وجميع الأعضاء الآخرين في الكومنولث من جهة أخرى ، تدعمهم معظم البلاد الإفريقية . وهكذا انفجر اتحاد إفريقية الوسطى ، وانحازت روديزيا الجنوبية إلى نظام حكم البيض وعزل اتحاد جنوبي ـ إفريقية . وأصبحت نياسالاند مستقلة تماماً في الأول من تموز ١٩٦٤ تحت اسم **مالاوي** . وأصبحت روديزيا الشمالية (**جمهورية زامبيا**) . ولم يؤثر الحصار الذي أقامه البريطانيون والعديد من البلاد الإفريقية على إرادة روديزيا الجنوبية في الحفاظ على سيطرة البيض ، وأعلنت الجمهورية في بداية ١٩٧٠ .

تحرير إفريقية السوداء الفرنسية حتى ١٩٥٨

لقد تم هذا التحرير بعملية مختلفة تماماً عن العملية التي تبناها البريطانيون . فعوضاً عن العمل حالةً حالةً وبصورة عملية ، أمن الفرنسيون ، بكثير أو قليل من الإرادة الطيبة ، تطور البلاد الإفريقية نحو الاستقلال ، متبعين مبادئ عامة .

وبموجب دستور تشرين الأول ١٩٤٦ ، أصبحت جميع المستعمرات القديمة في إفريقية السوداء ومدغسكر **بلاد ما وراء البحار** . أما الانتدابان على الكمرون وتوغو فقد أصبحا (نظامي وصاية) ، تابعين للأمم المتحدة ، وعهد بهما إلى فرنسا ، ويتعلقان بشكل واسع بمجلس وصاية الأمم المتحدة . وفي كل بلاد ما وراء البحار أصبح الأفارقة مواطنين فرنسيين ، وينتخبون ممثلين عنهم للمجلس الوطني الفرنسي ولمجلس الجمهورية . أما في الواقع ، فقد كان عدد هؤلاء الممثلين ، بالنسبة للسكان ، أضعف بكثير مما كان بالنسبة للممثلين الفرنسيين الأقحاح . ونظراً لانقسام الأحزاب الفرنسية ، لم يفكر بتأمين نسبة مساوية يمكن أن تعطي ممثلي الزنوج تحكماً حقيقياً لحكومة فرنسا . وهكذا لم يكن القصد غير تمثيل ناقص جداً .

ومن ١٩٤٦ إلى ١٩٥٨ يجب أن نميز ثلاث مجموعات من البلاد وهي : مدغسكر ؛ بلاد ما وراء البحار في إفريقية الغربية وإفريقية الاستوائية ؛ وأخيراً الانتدابان القديمان على توغو والكمرون .

اضطربت مدغسكر بثورة عنيفة في ١٩٤٧ . وكان القمع شرساً للغاية . وانطلاقاً من هذا التاريخ ، كان النفوذ يمارس على يد المعتدلين ، ولكن هؤلاء كانوا يتطلعون إلى الاستقلال . وفي (إفريقية الغربية الفرنسية A.O.F.) و (إفريقية الشرقية الفرنسية A.E.F.) ، اشترك الموجهون الزنوج أولاً بأحزاب

الوطن الأم (فرنسا) وبنقاباتها . ولكنهم كانوا واعين لأصالتهم ، وتوصلوا بسرعة إلى إنشاء هيئات سياسية خاصة ، وأهمها (**التجمع الديموقراطي الإفريقي** .R.D.A) الذي أنشئ في تشرين الأول ١٩٤٦ وترأسه العاجي (**هوفويه بوانيي**) . بدأ بالانضمام للحزب الشيوعي الذي يحبذ كثيراً الاستقلال الذاتي للمستعمرات أكثر من الأحزاب الأخرى . ثم ، رأى أن هذا التحالف كان ضاراً أكثر منه نافعاً ، وفي تشرين الأول ١٩٥٠ ، قطع علاقاته مع الشيوعيين ، وانتسب إلى حزب الوسط ، (**حزب اتحاد المقاومة الديموقراطي والاشتراكي** .U.D.S.R) الذي يوجهه (**رونيه بليفين**) . غير أن أفارقة آخرين ، أعضاء الحزب الاشتراكي ، مثل (**لامين غي**) و (**ليؤبولد سنغور**) ، كانوا قد انتسبوا إلى الحزب الاشتراكي (**حزب القطاع الفرنسي للأممية العمالية** S.F.I.O) وانفصلوا عنه في ١٩٤٨ ، وانتهى سنغور بالانضمام إلى فريق آخر من النواب الأفارقة أسسه الداهومي (آبيتي) وهو (**حزب المستقلين فيما وراء البحار**) ، وكان لسان حالهم الناطق باسمهم مجلة (الحضور الإفريقي) وفي ١٩٥٣ أطلقوا فكرة جمهورية اتحادية افريقية في نطاق الاتحاد الفرنسي . إذن كان يوجد في إفريقية الفرنسية اتجاهان كبيران : (**اتجاه المستقلين فيما وراء البحار** .I.O.M) المحبذ لنظام اتحادي فدرالي وإلى تجمعات كبرى ؛ واتجاه (**التجمع الديموقراطي الإفريقي** .R.D.A) ، وهو أقل اتحاداً بكثير ومعادياً لسيطرة داكار . ورغم ضغوطها المتفرقة قليلاً ، كان ينزع كل منها إلى كثير من الحكم الذاتي . وبعد انتخابات ١٩٥٦ ، اقترحت الحكومة الفرنسية ، بدافع من وزير فرنسا ما وراء البحار ، الاشتراكي (**غاستون ديفير**) ، على البرلمان (**قانون ـ ملاك**)(١) تبني في ٢٣ حزيران ١٩٥٦ ، على أن تستمر الجمهورية الفرنسية في كونها (واحدة ولا تنقسم) أي أن الاستقلال لن يكون ممكناً ؛ ولكن على أن يباشر بإجراءات

(١) القانون ـ الملاك : (Loi - CADRE) قانون يحدد مبدأ ما ويترك للحكومة أمر توضيح أهميته الحقيقية بمراسيم تطبيقية .

اللامركزية ؛ وعلى أن توسع صلاحية المجالس المحلية المنتخبة في كل بلد ؛ وأن تناقش الموازنة والمشاريع الإدارية ، وتتصرف بسلطة تشريعية حقيقية . وفي ١٩٥٧ تقرر أن ينتخب المجلس المحلي مجلس حكومة ، أعضاؤه وزراء ، ويمسك بالسلطة التنفيذية ، وعلى رأسه حاكم يمثل الجمهورية الفرنسية . وبقيت اتحادات (إفريقية الغربية الفرنسية .A.O.F) و (إفريقية الاستوائية الفرنسية .A.E.F) تحت اسم (جماعات البلاد)[1] وعلى رأسها مفوضون سامون يمثلون الجمهورية ، ويساعدهم (مجلس كبير) يتشكل من مندوبين يختارهم المجلس المحلي في كل بلد ، ويصوت على الموازنة الاتحادية . وبالنسبة للموجهين الأفارقة كان القانون ـ الملاك نقطة انطلاق فحسب . وبالعكس ، إن الفرنسيين الذين خولوا مكرهين الاستقلال لتونس ومراكش ، وكانوا في حرب مع الجزائر ، كانوا أقل استعداداً لتنازلات جديدة ، أما الانتدابان القديمان على توغو والكمرون ، اللذين حصلا ، في كانون الأول ١٩٤٥ ، على نظام (البلد تحت الوصاية) ، فقد انتخبا ، هما أيضاً ، نواباً للمجلس الوطني الفرنسي . وأجبر المثال ، الذي أعطته بريطانيا ـ العظمى لغانا في ١٩٥٧ ، الحكومة الفرنسية على السير قدماً ، واقترحت إنشاء جمهورية مستقلة ذاتياً في توغو في إطار الاتحاد الفرنسي . وهكذا فإن توغو التي لم تؤلف جزءاً من الاتحاد الفرنسي ، لأنها كانت (بلداً تحت الوصاية) قبلت به ؛ ولكن مجلس وصاية الأمم المتحدة رفض هذا المشروع . ومع ذلك فقد طبق هذا المشروع ، وفي الأول من أيلول ١٩٥٦ ، أعلنت جمهورية توغو ، وفي ١٩٥٧ و ١٩٥٨ ، أخذت استقلالاً ذاتياً داخلياً تاماً . وأوصلت الانتخابات التشريعية ، في نيسان ١٩٥٨ ، تحت إشراف منظمة الأمم المتحدة .O.N.U إلى السلطة (**سيلفانوس أولمبيو**) وطالب مباشرة برفع الوصاية الدولية . وأصبحت توغو مستقلة كاملاً في ٢٤ نيسان ١٩٦٠ . ولكن أحد مطالبها

(١) جماعات البلاد : (Groupes de territoires) .

وهو : اتحاد شعوب (**إيويه**) الذين يقيمون في شمال البلاد في الانتدابين القديمين الفرنسي والبريطاني ، لم يتحقق .

وفي الكمرون يوجد حزب متطرف ؛ وهو : (**اتحاد الشعوب الكمرونية**) الذي ارتبط بحزب (**التجمع الديموقراطي الإفريقي** .R.D.A) ، ولكنه ظل مرتبطاً بالحزب الشيوعي بعد أن قطع التجمع الديموقراطي الإفريقي روابطه مع هذا الحزب . وقامت ثورة مكشوفة وأخذت شكل حرب عصابات ، ولكن أفل نجمها عندما قتل زعيمها الأساسي في أيلول ١٩٥٨ . وفي أيار ١٩٥٧ ، أخذت الكمرون نظام جمهورية مستقلة ذاتياً ، وحصلت على رفع وصاية الأمم المتحدة ، وفي الأول من كانون الثاني ١٩٦٠ ، أصبحت مستقلة . وعلى خلاف ما مر في توغو ، قرر قسم من الكمرون البريطانية ، أن ينضم إلى الكمرون الفرنسية قديماً تحت نظام اتحاد فدرالي .

عمل الجنرال دوغول في إفريقية السوداء

عندما عاد الجنرال دوغول إلى السلطة ، في الأول من حزيران ١٩٥٨ ، كان قد تطور كثيراً في مفهومه للروابط مع الإمبراطورية السابقة ، واقترح على الفرنسيين مشروع دستور الجمهورية الخامسة . وتوصل إلى فكرة ، وهي أن استقلال البلاد الإفريقية وقيام تعاون صلب بينها وبين فرنسا أفضل من الحفاظ على السيادة بثمن باهظ التكاليف العسكرية ضد إرادة السكان المحليين . وباختصار ، لقد أفاد درساً من حرب الهند الصينية وحرب الجزائر . ولتحضير الدستور ، طلب رأي كثير من الزعماء الأفارقة : لامين غي ، سنغور ، والمدغسكري (تسيرانانا) . وقام برحلة إلى إفريقية السوداء في آب ١٩٥٨ ، وباستثناء غينة وداكار ، استقبل بحماسة . واستنتج من ذلك بأن يترك الدستور للبلاد الإفريقية حق تقرير المصير الحر . وتم التفاهم على أن الاستفتاء الشعبي الذي سيجري ، في أيلول ١٩٥٨ ، في كل بلد من بلاد ما وراء البحار ، إذا صوت

فيه بـ (نعم) ، فذلك يعني قبول النظـام الجـديـد المسمى نظـام المجموعـة (١) أي الوحدة ، وإذا صوت بـ (لا) ، يعني رفضه وبـالتـالي الاستقلال . وفي ٢٨ أيلول ـ صوت بلـد واحـد ، وهو غينـة ، التي تـأثرت بنقـابي من رأي تقـدمي (سيكـو توريـه) بـ (لا) ، بنسبـة ٩٥ ٪ ، وأصبحت غينـة مستقلـة مبـاشرة ، وقطعت الحكومة الفرنسية علاقاتها معهـا تمـامـاً تقريبـاً ، وسحبت منهـا مبـاشرة جنودهـا والمصالح الإداريـة . وصوتت البلاد الأخرى (نعم) بـأكثريـة عظيمـة وصلت إلى ٧٨ ٪ في النيجر ، وإلى ٩٩,٩ ٪ في سـاحل العـاج . أمـا البلاد الصغيرة البعيـدة ، شاطئ الصومال الفرنسي ، جزر القمر ، كاليدونيا ـ الجـديـدة ، وبولينيزيـا فقـد حـافظت على نظـام بلاد مـا وراء البحـار ، وبـلاد إفريقيـة السـوداء ومـدغسكر أصبحت دولاً أعضـاء في المجمـوعـة : ٤ في إفريقيـة الاستـوائيـة الفرنسيـة ، ٧ في إفريقية الغربية الفرنسية ، وكذلك مدغسكر . وأعطت الوحدة إلى كل دولـة من الـدول الأعضـاء حكمـاً ذاتيـاً داخليـاً موسعـاً ، ولكنهـا احتفظت بـالصلاحيـة أو الاختصاص في السيـاسـة الخـارجيـة ، والـدفـاع الوطني ، والعملـة ، والعلاقـات الاقتصـاديـة المشتركـة ، ومشـاكل المواد الأوليـة الستراتيجيـة ؛ أمـا الصلاحيـات الأخرى فقد نقلت على العموم إلى الدول . وكان رئيس الوحـدة رئيس الجمهوريـة الفرنسية . وأنشئ مجلس شيوخ لهذه الوحدة مؤلف من ١٨٦ مندوبـاً فرنسيـاً و ٩٨ مندوباً عن الدول . واحتفظت مع ذلك كل دولة بحق الانفصال .

ولم تدم هذه (الوحدة الدستورية) إلا قليلاً من الزمن . ومـا لبث كثير من موجهي الدول ـ الأعضـاء أن طـالبوا بـالاستقلال الكامل . فقـد لاحظوا أن زعيم غينة ، سيكوتوريه ، قد استقبل في الولايات المتحدة رئيساً لدولة ، بينمـا رؤسـاء حكومات الـدول الأعضـاء في الوحـدة لم يقبلوا في الأمم المتحـدة إلا مشـاركين في الوفد الفرنسي . وكثير بينهـا ، ولا سيا السنغـال ومـدغسكر اعتبرت (الوحـدة)

(١) المجموعة : Communauté أو الوحدة .

كمنظمة انتقاليـة . وأخيراً ، أنعشت فكرة الاستقلال جميع النخبـات الإفريقيـة . وعقـد مـؤتمر الشعـوب الإفريقيـة في نيسـان ١٩٥٨ في **أكرا** بحضـور ممثلي ٨ دول مستقلة : دول إفريقية الشمالية ، أثيوبيا ، غانا ، ليبريا ، السودان . ثم عقد مؤتمر آخر في أكرا في كانون الأول ١٩٥٨ وضم عنـاصر من اليسـار : نقـابيين ، وطلابـاً ، يفضلون لإفريقيـة استقلالاً غير (ممنوح) من الـوطن الأم (المتروبـول) ، وإنمـا (منتزعاً) بالقوة . وأمام حالة الرأي هـذه ، لم يتردد الجنرال دوغول في الـذهـاب قـدمـاً . غير أن واحـداً من الزعمـاء الأفـارقـة ، (هوفويـه بوانيي) ، كان مفضلاً لتعزيز الوحـدة . وظل معـاديـاً لاتحـادات تضم كثيراً من البلاد التـابعـة لفرنسـا سـابقـاً : إفريقيـة الغربيـة الفرنسيـة A.O.F. ، وإفريقيـة الاستوائيـة الفرنسيـة A.E.F. . وبلده ، ساحل العـاج ، غني ، ولـذا كان يخشى إذا مـا انـدمج في اتحـاد كبير ، أن تستعمـل مـوارده جـزئيـاً لمصلحـة الاتحـاد لا للمصلحـة المحليـة . وكـذا الحـال ، في إفريقيـة الاستوائيـة الفرنسيـة ، بـالنسبـة للغـابون . إلا أن السنغـال والسودان الغربي وحدهمـا استطـاعتـا التجمع في اتحـاد يسمى **اتحـاد مـالي** يوجهـه سنغور والسوداني **موديبو كيتا** . ولكن هـذا الاتحـاد لم يـدم عـامين . وفي أيلول ١٩٥٩ ، طلب موجهـا مـالي من فرنسـا نقل الصلاحيـات المؤديـة في الـواقـع إلى الاستقلال . وقام الجنرال دوغول برحلة إلى داكار وقبل . والاتفاقـات المتفـاوضـة في بداية ١٩٦٠ نقلت إلى جمهورية مالي صلاحيات الوحدة . وظلت هذه موجودة اسميـاً تحت شكل (الوحـدة التعـاقـديـة) ، ولكنهـا لا تتبع الـدستـور الفرنسي . وأصبحت مالي مستقلة تماماً وتعاونهـا فرنسـا على الصعيـد العسكري والاقتصـادي والتقني . وعلى مثال مـالي طلبت عـدة دول نقل الصلاحيـات وخولت لهـا بنفس الشكل . وهكـذا أصبحت مـدغسكر مستقلـة في ٢٦ حـزيران ١٩٦٠ ، ثم دول إفريقية الاستوائية الأربع : (الكونغو ، الغـابون ، وجمهوريـة إفريقيـة الوسطى وتشاد) . أما الفريق ، الذي يوجهه هوفويه بوانيي ، المؤلف من ساحل العـاج ،

وداهوميه ، والفولتا العليا والنيجر ، والمعروف تحت اسم (**بلاد الوفاق**)[1] ، فقد بدأ يحتج على تفتيت الوحدة الدستورية ، ثم قرر قبول الاستقلال لكل من الدول الأربع بخاصة ، ولكنه رفض التبعية للوحدة التعاقدية الجديدة .

وموريتانيا أصبحت مستقلة في ١٩ تشرين ١٩٦٠ دون أن تؤلف جزءاً من الوحدة . وحالتها ، في الحقيقة ، خاصة قليلاً ، لأن زعيم (**حزب الاستقلال**) في المملكة المغربية ، **علال الفاسي** ، كان يفضل مطالب مغربية واسعة على موريتانيا كافة وعلى جزء كبير من الصحراء الجزائرية باسم حجج تاريخية ينازعه فيها خصومه . ولذا ، بينما قبل في الأمم المتحدة جميع الأعضاء الآخرين الداخلين في الاتحاد الفرنسي السابق ، عارض الاتحاد السوفياتي أولاً بقبول موريتانيا . ثم بدل رأيه ، وقبلت موريتانيا بدورها في الأمم المتحدة ، وطمست المطالب المغربية ، دون أن تزول تماماً . وهكذا تمّ تحرير إفريقية السوداء من الاستعمار بفضل الجنرال دوغول بشكل سلمي تماماً . وباستثناء غينة ، بقيت الروابط وثيقة في التعاون مع مجموع بلاد ما وراء البحار المستعمرة سابقاً أو البلاد تحت الوصاية .

استقلال الكونغو البلجيكية

كانت بلجيكا تمتلك ، في إفريقية ، منذ ١٩٠٨ ، الكونغو ، الدولة المستقلة سابقاً والتي أوجدها وحكمها الملك ليؤبولد الثاني وجعل بلجيكا وارثة له . ومنذ ١٩١٩ ، كان لبلجيكا أيضاً انتدابان على **رواندا**[2] **والأورونـدي**[3] ، في منطقة البحيرات الكبرى . وكانت الكونغو البلجيكية أوسع المستعمرات الإفريقية كلها ، وبفضل إقليم (**كاتانغا**) الشاذ ، أكثرها غنىً ، وبخاصة بمناجم النحاس والأورانيوم المستغل من قبل شركة بلجيكية قوية وهي : **الاتحاد المنجمي لكاتانغا العليا** .

---

(١) بلاد الوفاق : (Pays D'entente) .

(٢) رواندا : Ruanda .

(٣) اوروندي : Urundi .

تبلغ مساحة هذه البلاد ٢,٣٤٠,٠٠٠ ك م٢ في ١٩٥٨ ، وسكانها ١٣ مليون نسمة منهم ١٠٠٠٠٠ أبيض ، وبينهم ٨٠٠٠٠ بلجيكي . وكانت الأقوام فيها متعددة ، والقسم الأعظم من السكان كان ريفياً ، ولكن مع ١٥ مدينة سكانها أكثر من ٢٠٠٠٠ نسمة ، والعاصمة **ليؤبولد ڤيل** بلغ سكانها ٣٥٠٠٠٠ نسمة .

كانت سياسة البلجيكيين الاستعمارية في الكونغو اقتصادية بصورة أساسية . فقد كانوا يرون أن الزنوج متخلفون بـ ٢٠٠٠ عام عن الحضارة الأوربية ، وأن سيطرة الوطن الأم ، بلجيكا ، يجب أن تستمر زمناً طويلاً . ويجب ألا تترك الحركات الوطنية تنمو بصورة اصطناعية ، ويعتبر موجهو بروكسل والموظفون المحليون أن الاستقلال أمر غير وارد ولا يفكر به إطلاقاً . ولذا لم يبذل أي جهد لإعداد الأفارقة لأن يستلموا بأيديهم مناصب هامة . وردوا إلى دور ملحق في الجيش ، وفي المزارع وفي الإدارة . فإذن نحن أمام نظام أبوي طبق قبل الحرب العالمية الثانية دون ضعف . ولكن منذ ١٩٤٥ ، أدرك العديد من البلجيكيين أن حلاً من هذا النوع لا يمكن أن يدوم ، وأن الإصلاحات لا يمكن اجتنابها . كانت الحركات الوطنية ضعيفة . وفي ١٩٥٠ أنشئت **الآباكو**(١) أي (رابطة شعوب باكونغو)(٢) : وهدفها تحريك وحدة شعوب باكونغو في الكونغو الفرنسية ، والكونغو البلجيكية وأنغولا البرتغالية . وكان رئيسها المعلم (**كازاڤوبو**) . وشوهد أيضاً ظهور متطرفين يساريين يتزعمهم (**باتريس لومومبا**) الذي شارك في مؤتمر أكرا ، وعند عودته ، طالب بالاستقلال بحرارة . وابتداءً من الحين الذي أصبحت فيه غانا مستقلة ، في ١٩٥٧ ، دفعت أوساط بلجيكية ، وبخاصة كاثوليكية واشتراكية الحكومة إلى التخلي عن نظام الأبوة . وفي حزيران ١٩٥٧ قامت مشادة في ملعب ليؤبولدڤيل . وأذعن البلجيكيون لأول تنازل وهو :

---

(١) الآباكو : L'Abako .

(٢) باكونغو : Bakongo .

السماح بانتخابات بلدية في ثلاث مـدن : ليؤبولـدڤيل ، أليزابثڤيل وجـادوتڤيل . وفي ليؤبولدڤيل حصلت الآباكو على أكثريـة عظيمـة ، وطـالب رئيسهـا كازاڤوبو بانتخابات عامة . وعجل الحركة فجأةً استقلال غينـة في ١٩٥٨ وكونغو - برازاڤيل في ١٩٦٠ . وفي كانون الثـاني ١٩٥٩ ، اثر منع اجتماع الآبـاكـو ، انفجرت ثـورة في ليـؤبـولـدڤيـل . تـدخلت الشرطـة ، ووجـد عـدة قتلى وجرحى من الجـانب الكونغولي . واعتقل كازاڤوبو وحلت الآباكو . وقـامت الحكومـة البلجيكيـة برد فعل سريع جداً . ومنذ ١٣ كانون الثاني ١٩٥٩ ، وبعد أن شاور الملـك (**بودون**) لجنة برلمانية ، صرح : « بأنه من الضروري منذ الآن ، دون مماطلة مشؤومة ودون عجلة عشوائية ، توجيه الشعب الكونغولي إلى الاستقلال » . وهذا التصريح وضع لوموبا على الصعيـد الأول ، فـأنشـأ حـزبـاً جـديـداً وهـو (**الحركـة الـوطنيـة الكونغوليـة** .M.N.C) مستفيـداً من الانمحـاء الموقت لرابطـة الآبـاكـو . وأنشئت أحزاب أخرى . وفي بـدايـة ١٩٦٠ ، عقـدت مـائـدة مستـديرة في بروكسل ضمت ممثلين بلجيكيين ، وممثلين عن الأحزاب الكونغوليـة ، وزعمـاء معروفين . طـالب الكونغوليون بـالاستقلال المبـاشر . وفضل البلجيكيون أن يعطـوا ، بـادئ بـدء ، الكونغو قـانونـاً أسـاسيـاً . وبموجبـه يكون للكـونغـو برلمـان بمجلسين ، أحـدهمـا ينتخب بالتصويت العام . وتوقعت معاهدة تعاون بلجيكية ـ كونغوليـة . وأدت انتخابات البرلمان ، في أيار ١٩٦٠ ، إلى ظفر الأحزاب (القومية = الاثنية) ، وفي بعض منـاطق الحركـة الوطنيـة الكونغوليـة M.N.C إلى ظفر لـومـومبـا . وشكل لوموبا الوزارة ، وانتخب كازاڤوبو رئيساً للـدولـة . وفي ٣٠ حزيران ١٩٦٠ ، في ليؤبـولـد ـ ڤيـل ، وفي حضرة الملـك بـودون ، أعلن الاستقـلال . وهكـذا أعطى البلجيكيون الاستقلال فجـأة بعـد أن أبقوا الكونغـوليين زمنـاً طـويـلاً في حـالـة دنيا .

الأزمة الكونغولية ومنظمة الأمم المتحدة

لقد أسيئت تهيئة الكونغوليين لهذا التغير العظيم ، ولذلك عانوا الكثير لتوضيح الحال . إن صغار الموظفين أو المستخدمين أو صغار التجار أخذوا على عاتقهم إدارة الدولة الكونغولية لعدم وجود خريجين من حملة الشهادات الجامعية ، ولم يكن ليوجد من هؤلاء بعد غير عشرين جامعياً في الكونغو كافة . كانت تنقصهم التجربة السياسية ، وكثرت المنازعات بين الأحزاب والسلالات العنصرية . وفي ٥ تموز ١٩٦٠ ، ثار الجنود في ليؤبولدڤيل ، وطالبوا بطرد الضباط البلجيكيين . وارتكبت أعمال العنف بحق السكان البلجيكيين . ورد الجنود البحارة البلجيكيون وفتحوا النار على الكونغوليين . وفي ١١ تموز ، انفصل إقليم (كاتانغا) ، أغنى الأقاليم كلها ، ونادى باستقلاله تحت رئاسة رجل أعمال زنجي : **مويز تشومبه** . وكان القصد من ذلك مناورة من الشركات البلجيكية وبخاصة الاتحاد المنجمي في كاتانغا العليا . وعندئذ ، في ١٣ تموز ، احتج كازاڤوبو ولومومبا على التدخل البلجيكي وطالبا بمساندة منظمة الأمم المتحدة . وقام لومومبا برحلة إلى نيويورك . وقرت منظمة الأمم المتحدة إرسال قوة الأمم المتحدة إلى الكونغو لتحل محل الجنود البلجيكية . وأنيطت إدارة عملهم إلى موظف سام في الأمم المتحدة من جنسية أميركية وهو (**رالف بنش**) . وفي مجلس الأمن ، في ١٤ تموز ١٩٦٠ ، صوتت الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي لتدخل ، (**العمرات الزرقاء**) . ومع ذلك لم تعين الأمانة العامة أي ممثل سوفياتي ، وهذا ماأثار ضدها استياءً شديداً في موسكو . وامتنعت فرنسا وبريطانيا ـ العظمى . وانضم إلى انفصال كاتانغا ، انفصال إقليم كازاي واتخذ لنفسه (**كالونجي**) ملكاً . وعارض كازاڤوبو ولومومبا الواحد الآخر . وفي ٥ أيلول عزل كازافوبو لومومبا ـ وفي ٧ أيلول عزل لومومبا كازاڤوبو . وفي ١٤ أيلول ، علق الجنرال (**موبوتو**) ، القائد الجديد للقوات الكونغولية ، كازاڤوبو ، ولومومبا والمجلسين . وحاول

الاتحـاد السوفيـاتي أن يوطـد نفوذه في الكونغـو . ودعم لـومـومبـا حتى الأعمـاق . وعندما حذفه الكولونيل موبوتو ، طرد الدبلومـاسيون والفنيون السوفيـاتيون من الكونغو أيضاً . وأفاد الاتحاد السوفياتي من ذلك لإطلاق هجوم شديد ضد الأمين العام للأمم المتحدة **داغ همرشولد** .

وفي آخر أيلول ١٩٦٠ ، اقترح السوفياتيون أن تنوب أمانـة عـامـة من ثلاثـة رؤوس منـاب الأمين العـام للأمم المتحـدة : ممثل عن البلاد الغربيـة . وممثـل عن البـلاد الاشتراكيـة ، وثـالث عن الـدول المحـايـدة ؛ ولكن البـلاد الآفرو ـ آسيـة خشيت من أن تنفجر الكونغو إلى عدة دول ، وفضلت دعم همرشولـد ، الـذي ظل في أعماله حتى نيسان ١٩٦٣ ، ورفض أن يستقيل . وفي الواقع مات إثر حـادث في الكونغو في ١٨ أيلول ١٩٦١ ، وهذا ماسـاعـد على التوصل إلى حل وجـده الاتحـاد السوفياتي مرضياً : وهو تسمية آسيوي ، البرمـاني **أو ثـانت** ، وهو مواطن من بلـد محايد ، أميناً عـامـاً . وعيّن أو ثـانت ٨ أمنـاء مسـاعـدين : أميركي ، سوفيـاتي ، هندي ، فرنسي ، برازيلي ، مصري ، تشيكوسلوفاكي ، نيجيري .

وكان لومومبا الضحية الأساسية في الاضطرابات الكونغوليـة ، فقـد أوقف ، وسلم إلى الكاتانغيين ، فقتلوه في شهر كانون الثاني ١٩٦١ . وأصبح رمزاً للاستقلال الإفريقي . وأطلق السوفياتيون الاسم جامعة بـاتريس لومومبـا على مركز التعليم العالي الذي أسسوه لتثقيف الأفـارقـة في الاتحـاد السوفيـاتي . وعـاد كازاڤوبو إلى السلطـة حتى مغـادرتـه النهـائيـة في ١٩٦٥ وهو التـاريخ الـذي حل محلـه الجنرال موبوتـو . ومـات في بـدايـة ١٩٦٩ . واستـولى أنصـار لـومـومبـا الـذين يـوجههم (**جيزنغا**) على الإقليم الشرقي مع (**ستـانليفيل**) . وفي بـدايـة ١٩٦١ ، وجـد في الكونغو خمس عشرة حكومة مستقلة .

عنـدئـذ ، في ٢١ شبـاط ١٩٦١ ، قررت منظمـة الأمم المتحـدة اقتراح خطـة تعمير ، بـاتفـاق مع كازاڤـوبـو . وقلـد المجلسـان السلطـة إلى حكـومـة يـوجههـا

(**آدولا)** . وفي أيلـول ١٩٦١ ، أطلقت منظمـة الأمم المتحـدة أول هجـوم في كاتانغا . وأنهى هجوم ثان ، في كانون الأول ١٩٦٢ ، انفصال كاتانغا . ومن جهة أخرى ، أوقف جيزنغا اليساري ، وكالونجي ، ملك الجنوب كازاي ، وزجا في السجن . وهكذا حوفظ على وحدة الكونغو بتدخلات الأمم المتحدة ؛ ولكن الاضطراب كان كلياً . والحكومة المركزية عاجزة . والتجأ السكان في المدن . وأصبحت (ليؤبولدڤيل كينشاسا) ، وبلغت مليون نسمة . وجلا جنود الأمم المتحدة عن الكونغو في ١٩٦٤ . وكان تشومبه لاجئاً في الخارج . فاستدعاه كازاڤوبو وزيراً أول للحكومة المركزية . وساعده المظليون البلجيكيون ، ونجح في استعادة ستانليفيل . وفي تشرين الأول ١٩٦٥ ، طرد كازاڤوبو تشومبه ، وفي تشرين الثاني ، انتخب الجنرال موبوتو رئيساً للجمهورية . وأوقف تشومبه وأودع في السجن في الجزائر حيث مات في حزيران ١٩٦٩ . وبالإجمال ، إن عملية منظمة الأمم المتحدة في الكونغو يمكن أن تعتبر نجاحاً لأن وحدة البلاد ظلت مصانة .

أما البلدان تحت الوصاية ، (رواندا) و (أورونـدي) فلم تلتحقا بالكونغو . وكانتا مأهولتين بثلاثة أعراق : **الهوتو ، وهم بانتو** مزارعون (٨٥ ٪) ، **والتوتسي** (١٠ إلى ١٥ ٪ ، على العموم رعاة ومن أصل أثيوبي - نيلوتي) ، وأخيراً **التوا** (١ ٪ أقزام في خدمة التوتسي) . ويطبع النزاع بين الهوتو الذين يؤلفون الأكثرية والتوتسي الذين يؤلفون الأقلية ، تطور البلدين . وفي آخر ١٩٥٩ ، ثار الهوتو ، وطردوا وقتلوا العديد من التوتسي الذين أجابوهم بقتل الزعماء الهوتو على يد التوا . وبعد انتخابات أيلول ١٩٦١ ، التي أعطت مليون صوت للجمهورية ، أعلن استقلال الرواندا ، في الأول من تموز ١٩٦٢ تحت إدارة الهوتو .

أما الأوروندي ، التي أصبحت مملكة بوروندي ، فإن معارضات الأعراق

لبعضها قد ظهرت فيها آجلاً في ١٩٧٢ ، وأعلن استقلالها في نفس الوقت الذي استقلت فيه الروندا ، في الأول من تموز ١٩٦٢ .

الأقاليم البرتغالية

البلاد الوحيدة التي بقيت غير مستقلة في إفريقية في ١٩٦٢ هي : الصحراء الإسبانية (ساقية الذهب) ، الحصون (المواقع) الإسبانية، وهي مدن صغيرة شاطئية في البحر المتوسط الغربي على ساحل المملكة المغربية (مراكش) ، والصومال الفرنسية التي أصبحت عيسى وعفار ، وبخاصة الموانئ البرتغالية . وفيما عدا جزر الرأس الأخضر ، وجزر البرنس (الأمير) ، والقديس توماس ، يمتلك البرتغاليون غينة البرتغالية (٣٦٠٠٠ ك م٢ و ٢٥٠٠٠٠ نسمة) في نزاع مع السنغال ؛ **كابيندا والأنغولا** (١,٢٤٦٠٠٠ ك م٢ و ٤,٢٠٠٠٠٠ نسمة وفي الجنوب الشرقي الموزامبيق (٧٨٠٠٠٠ ك م٢ و ٦,٦٠٠,٠٠٠ نسمة) . وكان الاستعمار البرتغالي دوماً عنصرياً جداً . وقد اعتبر الرئيس سالازار دوماً أن المستعمرات البرتغالية ليست مهيأة للحصول على الاستقلال ، وإنما لتصبح أقاليم برتغالية . وكان في صالح سياسة تمثيل كلي . وتمسك بعناد بهذا الموقف فيما كان مجموع إفريقية مأخوذاً بحركة الاستقلال . وفي ١٩٥١ ، أخذت المستعمرات اسم (أقاليم ماوراء البحار) ، وأصبح وزير المستعمرات وزير ماوراء البحار . وكان جميع السكان مواطنين ويشاركون في انتخاب رئيس الجمهورية . فعلى نواب المجلس الوطني البرتغالي ، كان يحسب ٣ ممثلين لأنغولا ، ٣ لموزامبيق ، واحد لغينة ، واحد لجزيرة القديس توماس وجزر الأمير . وميدانياً ، كان يوجد حاكم عام يسميه لمدة ٤ أعوام مجلس الوزراء الذي يتصرف بالسلطة التنفيذية والسلطة التشريعية . ويظهر هذا الوضع مفارقاً زمنياً للبلاد الإفريقية الأخرى التي ساعدت على نمو الثورات ، وكانت هذه الثورات عتيدة كثيراً أو قليلاً في أنغولا منذ ١٩٦١ وفي موزامبيق . وكانت الجنود البرتغالية العديدة ترابط على الدوام في

(أقاليم ماوراء ـ البحار) . وظلت القضية معرفة ماإذا كانت هذه الحالة قابلة للبقاء والدوام أو لا ؟!

الجنرال دوغول يعود للسلطة (في الفاتح من حزيران ١٩٥٨)

كان من أسباب عودة الجنرال دوغول إلى السلطة ، في الأول من حزيران ١٩٥٨ ، اعتقاد الجيش ومعمرو الجزائر بأنه ، وحده ، الكفء والقادر على تحقيق بقاء السيادة الفرنسية على البلاد . ومنذ ١٩٥٧ ، توترت الحالة بشدة . وقد ذكرنا سابقاً توقيف الزعيم الوطني بن بللا وأربعة من رفقائه ، في ٢٢ تشرين الأول ١٩٥٦[١] . وفي ٨ شباط ١٩٥٨ ، حدث حادث جديد ، وهو قصف الطيران الفرنسي لساقية سيدي يوسف المدينة الصغيرة على الحدود التونسية . وكانت هذه العملية مرتبطة بوجود جنود (جيش التحرير الوطني الجزائري) على طول الحدود الجزائرية ـ التونسية . ولم تستطع هذه الجنود النفوذ إلى الجزائر بسبب بناء خط حصين ومكهرب في الجهة الجزائرية من الحدود . وهذا القصف الذي كانت مبرراته على صعيد الحق الدولي رقيقة وواهية جداً ، بلغ السكان المدنيين وأثار في العالم كله وأيضاً في قسم من الرأي الفرنسي ، احتجاجات استنكار . ويبدو أن حكومة **فيلكس غايار** التي سقطت ، في ١٥ نيسان ١٩٥٨ ، كانت متجهة شطر فكرة المساعي الحميدة الأميركية أو البريطانية . وكان المعمرون يرون بأن التهديد كان خطيراً على اعتبار أن واشنطون كانت معادية للروح الاستعمارية . وافتتحت أزمة وزارية طويلة انتهت في الليل من ١٣ إلى ١٤ أيار بتقليد الوزارة عضواً من (**الحركة الجمهورية الشعبية** M.R.P.) ، وهو (**بيير بفليملن**) .

ومنذ ١٩٥٧ وجد ، في الأوساط الأوربية في الجزائر ، جو تمرد . فمن ذلك أن تآمر العديد من المعمرين لتأسيس لجنة السلامة العامة لصالح (الجزائر

(١) راجع الفصل الثالث من التاريخ الدبلوماسي الجزء الأول ، القضية الجزائرية .

الفرنسيـة) . وكان زعمـاؤهـا التـاجر (**جوزيف اورتيز**) ، ورئيس طـلاب الجزائر ، (بيير لاغايارد) ، والـدكتور (**لوفيفر**) وزارع الكروم وصـانع الخمور (روبير مـارتل) . وكان الهـدف إقنـاع الجيش بـوجـوب مقـاومـة كل حكـومـة باريسية تجنح للاستسلام . أما ضباط الجيش ، المعتادون على النظـام ، فترددوا ، ولكن قـائـد جيـوش الجـزائر ، الجنرال سـالان ، ورئيس الأركان ، الجنرال (إيلي Ely) أعلمـا رئيس الجمهوريـة (رونيـه كوتي) بـأن الجيش لن يقبـل استسـلامـاً جديداً . وإلى جـانب المؤامرات الجزائريـة ، انتظمت مؤامرات دوغوليـة . وكان الجنرال دوغول قـد صرح في بـدايـة سنوات الـ ٥٠ بـأن الجزائر ستظل دومـاً تحت السيـادة الفرنسيـة ، وأعلن بعض أنصـاره المتحمسين ، مثـل الشيـخ (ميشيـل دوبره) أو (جاك سوستيل) ، عن إيمـانهم بـالجزائر الفرنسيـة . وفي آخر ١٩٥٧ ، استطلع رأي بعض الزعمـاء الجزائريين من قِبل الـدوغولي ، (ليـون دولـوبيـك) الـذي ضم إليـه الكولـونيـل (تـومـازو) ، و (آلن دوسيريني) ، مـدير جريـدة (صدى الجزائر) إلخ ...

وفي ١٣ أيار ١٩٥٨ في نهاية الأزمة الوزارية الفرنسية الطويلة ، جرى مأتم ٣ جنود فرنسيين قتلتهم جبهـة **التحرير الوطنيـة** (FLN) في الجزائر بحضور جمهـور عـديـد . وفي آخر الاحتفـال تكلم مـارتل ولاغـايـارد ودفعـا الجمهور بـألا يتفرق ويهـاجم الحكومـة العـامـة . ولم يعـارض الجنود المظليون ذلـك ، وفي السـاعـة ٧ مساءً ، استولى المهـاجمون على القصر . وبـاتفـاق مع الجنرال سـالان ، قبل الجنرال ماسّو رئاسة لجنة السلامة العامة التي كان يشارك فيها أيضاً لاغايارد ، ومـارتل ، والدوغولي دولوبيك ، وثلاثة كولونيلات . وحاولت الحكومة الفرنسية الجـديـدة برئـاسـة بفليملن ، المقـاومـة عبثـاً . فقـد كان يخشى من ضربـة قـوة عسكريـة في باريس ، يقوم بهـا المظليون الآتون من الجزائر . حتى إن كورسيكا نفسهـا وقعت في يد أنصار الجزائر الفرنسية . ولذا فـإن العـديـد جـداً من السيـاسيين ، ولا سيما

رئيس الجمهورية رونيه كوتي ورئيس مجلس الوزراء بفليملن ، كانوا يعتبرون بأن الجنرال دوغول وحده يستطيع تجنب الحرب الأهلية ويعيد الوحدة الوطنية . وقد صرح الجنرال علناً بأنه لن يقبل السلطة إلا في الشرعية ، وإذا تقلدها بانتظام ، ولكنه وضع شروطه . وانتهى انضمام رئيس مجلس الوزراء السابق الاشتراكي (غي موليه) بجعل العملية ممكنة . وجرى تقليد الحكم في الأول من حزيران ١٩٥٨ . وخلق هذا التفاقم في الوضع في الجزائر حماسة شديدة . ونمت حركة بدت بأنها كانت عفوية بشكل عريض ، ولكن عطبها كان واضحاً ، تحت شكل التآخي بين المعمرين الأوروبيين والمسلمين . وقامت مظاهرات واسعة لعب فيها قدامى المحاربين الجزائريين ، في الجيش الفرنسي ، دوراً كبيراً . واختلط المسلمون والفرنسيون حول العلم المثلث الألوان وصراخ (الجزائر فرنسية) . وكانت أمنيتهم تحقيق فرنسا الكبرى المؤلفة من مواطنين سواسية (وهذا يسجل تراجعاً محسوساً للمعمرين) « من دنكرك في فرنسا إلى تامانراسيت في الصحراء الجزائرية » .

الجنرال في الجزائر

هل كان الجنرال دوغول مشجعاً لوجهات النظر هذه ؟ عندما جاء إلى الجزائر في ٤ حزيران ، ووقف أمام جمهور كبير ، ألقى ، تحت الهتافات ، خطاباً كاد يثير في الواقع تخوفات شديدة عند أنصار الجزائر الفرنسية . لقد بدأ بهذه الكلمات : (فهمتكم) . إنها صيغة حاذقة ، ولكنها مبهمة ملتبسة . لقد ألح على المساواة بين المسلمين والمعمرين : « انطلاقاً من اليوم، في الجزائر كلها ، لا يوجد إلا فئة واحدة من السكان ، لا يوجد إلا فرنسيون بسواء كامل مع نفس الحقوق ونفس الواجبات » واقترح انتخابات بهيئة انتخابية وحيدة ووجه نداءً إلى المحاربين الشجعان الذين يقومون عن يأس بكفاح يقتل فيه الأخ أخاه . « وأنا ، دوغول ، إلى هؤلاء ، أفتح أبواب المصالحة» . ولم يلفظ أبداً التعبير (الجزائر

فرنسية) إلا في خطاب ٧ حزيران في مستغانم . إذن يوجد احتمال لمعنيين مالبث أن نما . ومن المحتمل جداً وبصورة عالية أن الجنرال دوغول ، منذ ذلك التاريخ، مع تفضيله لحل يمكن أن يجعل من الجزائر جزءاً لا يتجزأ من فرنسا ، كان في الواقع ، قليل الأمل بالوصول إليه . وكان الأساسي ، بالنسبة له ، أن تكون لفرنسا الأيدي الحرة لتطبيق سياسة خارجية كبرى . إن الحروب الاستعمارية كحرب الجزائر تضر هيبة ونفوذ فرنسا في العالم كله . ولذا فمن الأفضل تخويل الاستقلال في الصداقة ، وبشكل يقيم التعاون . ولكنه من جهة أخرى ، يرى أن الإعلان دفعة واحدة باستقلال الجزائر قد يخاطر ويحدث في جيش الجزائر وعند المعمرين صدمة يمكن أن ينجم عنها انفصال وحرب أهلية . ولذا قام بأقصى فطنة وحذر وقرابة أربعة أعوام ضرورية للوصول إلى السلام في الجزائر .

حرب التحرير الجزائرية من ١٩٥٨ إلى ١٩٦٢

في الاستفتاء الشعبي الدستوري في ٢٨ أيلول ١٩٥٨ ، وبالرغم من نداءات جبهة التحرير الوطني لمقاطعة الانتخابات ، صوت ٨٠ ٪ من المسجلين على قوائم الانتخابات في الجزائر و ٩٧ ٪ صوتوا (نعم). وهذه هي المرة الأولى التي تشارك فيها النساء الجزائريات في الاقتراع . ورفضت جبهة التحرير الوطني اقتراحات المصالحة على أساس التمثيل . وفي ١٨ أيلول ، شكلت (الحكومة الموقتة للجمهورية الجزائرية G. P. R. A.) برئاسة فرحات عباس مع مساعدين ، كريم بلقاسم وبن بللا الذي كان دوماً سجيناً في فرنسا . وفي ٣ تشرين الأول ، أطلق الجنرال دوغول مشروعاً اقتصادياً واسعاً ، (خطة قسنطينة) ، وكان هدفها أن يوزع على المسلمين من جديد ٢٥٠٠٠٠ هكتار من الأرض ومحاولة تصنيع الجزائر . وفي ٢٣ تشرين الأول ، اقترح الجنرال دوغول على جبهة التحرير الوطني (سلام الشجعان) . وفي انتخابات ٣٠ تشرين الثاني ١٩٥٨ ، انتخبت الجزائر ٧١ نائباً ـ ٤٨ مسلماً و ٢٣ أوربياً . وتغلب أنصار الجزائر الفرنسية ، ولا سيا من جهة

المسلمين . وأصبح (الباشاغا بوعالم) نائب رئيس المجلس الوطني الفرنسي . وفي آخر ١٩٥٨ وبداية ١٩٥٩ ، ضاعف الجيش الفرنسي جهوده . وقام بتمشيط واسع ، ووجد رجال العصابات في موقف صعب . ومع ذلك كان من المستحيل إخضاعهم كاملاً .

دام الموقف الغامض للجنرال دوغول أكثر من عام بقليل . وفي جولة له في الجزائر ، في صيف ١٩٥٩ ، لدى الضباط (جولة الطاعمين معاً) وعد الجنرال بألا يخفق علم جبهة التحرير أبداً على الجزائر . ولكنه ، في ١٦ أيلول ، عرض برنامجه بكل وضوح . يجب أن يعود السلام أولاً ، ومن ثم يقرر الشعب الجزائري مصيره بحرية . وطرح الجنرال دوغول ثلاثة حلول ممكنة : الاستقلال التام أو الانفصال ؛ التمثيل الكامل بفرنسا ؛ وبين الاثنين نظام يبدو له فضله ، وهو الاستقلال الذاتي والارتباط بالوطن الأم (المتروبول) « حكم الجزائريين بالجزائريين معتمد على مساعدة فرنسا وباتحاد وثيق معها في الاقتصاد والتعليم والدفاع والعلاقات الخارجية » .

انطلاقاً من هذا الحين ، انخفضت شعبية الجنرال دوغول بين المعمرين الجزائريين وبعض أوساط الجيش . والواقع إن تصور الاستقلال كحل من الحلول الممكنة صدمهم بعمق . أما جبهة التحرير الوطني فقد رفضت افتتاح مفاوضات تقتضي أولاً توقيع وقف إطلاق النار . وحجتها الأساسية كانت فعلاً الاستمرار في النضال ؛ وإذا ما وقعت هدنة مؤقتة ، ولم تحقق المفاوضات أهدافها ، فستقاسي الكثير من العناء في متابعة حرب يشكو الشعب منها بفظاعة . ومن جهة أخرى ، لم تطالب جبهة التحرير الوطني بامتلاك الجزائر وحدها فحسب ، وإنما بمجموع الصحراء الجزائرية التي لم تكن ، في الواقع ، تابعة للجزائر إلا باقتطاع إداري أجري في بداية القرن العشرين . وكانت فرنسا قد فصلت صحراء الجزائر لإنشاء (منظمة مشتركة للمناطق الصحراوية) حيث بدأ رسم رابطة بين

الصحراء الجزائرية ، والقسم التابع للنيجر والقسم التابع لتشاد . ومن جهة أخرى ، كان ذلك في الوقت الذي اكتشفت فيه في الجزائر موارد بترولية هامة . ويتهم كثير من الفرنسيين الشركات الأميركية بتشجيع الاستقلال الجزائري لوضع اليد على (البترول الفرنسي) .

ومقابل سياسة الجنرال دوغول الآخذة بالوضوح أكثر فأكثر ، نظم المعمرون الجزائريون حركات مقاومة . وفي كانون الثاني ١٩٦٠ . يرى أن (الجبهة الوطنية الفرنسية) التي يوجهها أورتيز ورئيس طلاب الجزائر ، جاك سوزيني ، حاولت ثورة . وخلال أسبوع ، وجدت متاريس في وسط الجزائر وتردد الجيش بالتدخل ضد المحرضين العصاة . ولكن الدرك المتحرك فتح النار ، في ٢٤ كانون الثاني ووجد ٢٦ ميتاً في الشعب المدني الجزائري . وغضب الجنرال دوغول من هذه المقاومة للسلطة المركزية وللدولة التي يمثلها ، ويبدو منذ ذلك التاريخ أنه صلب موقفه . ونحي سوستيل عن الحكم ، وخلف الجنرال غامبيز الجنرال شال قائداً لجيوش الجزائر . وباء (أسبوع المتاريس) بالإخفاق .

وبوشر بمفاوضات مع الحكومة الموقتة للجمهورية الجزائرية (.G. P. R. A) . وفي حزيران ١٩٦٠ ، اقترح الجنرال خلق (جزائر جزائرية) ، كحل وسيط بين (جزائر فرنسية) تبدو له غير متحققة أكثر فأكثر ، و (جزائر مسلمة) تقتضي القطيعة التامة مع فرنسا . ولكن بعد خمسة أيام من المناقشات ، من ٢٥ إلى ٢٩ حزيران ، أخفقت المفاوضة . عندئذ نظم الجنرال دوغول ، في ٨ كانون الثاني ١٩٦١ ، استفتاءً ليحصل من الشعب الفرنسي على حق وضع نهاية ، كما يفهم ، للقضية الجزائرية . وحصل على ٧٥ ٪ من (نعم) في فرنسا و ٦٥ ٪ من نعم في الجزائر .

وقد أتت (نعم) الجزائريات جميعاً من ناخبين مسلمين ، وصوت الأوربيون (لا) . عندئذ ثار أنصار الجزائر فرنسية مرة أخرى . ولكن على خلاف أيام

المتاريس في ١٩٦٠ ، التي كانت من عمل العناصر المدنية ، كان هذه المرة انقلاب الجنرالات . وفي الليل من ٢١ إلى ٢٢ نيسان ١٩٦١ ، قامت حكومة إدارة (ديركتوار) من أربعة جنرالات محالين على التقاعد : سالان ، شالّ ، زيللر ، جوهود ، يساعدهم بعض جنود من المظليين والجوقة الأجنبية ، وحاولت الاستيلاء على السلطة . كان الإخفاق تاماً . وبقي النظام سائداً في مجموع الجيش حيث كان جنود القرعة في أكثريتهم غير محبذين جداً لهذا الانقلاب العسكري . وساعدت مساندة البحرية ومعظم القوات البرية والجوية الحكومة على النصر ، وفي ٢٥ نيسان أخفقت قضية الجنرالات . استسلم شالّ وزيللر . واختفى سالان وجوهود وبعض الكولونيلات وأنشؤوا حركة مقاومة : (منظمة الجيش السري O. A. S.) يدعمها بعض السياسيين مثل جاك سوستيل وجورج بيدو .

اتفاقات إيڤيان

بعد إخفاق ثورة الجنرالات ، بوشر بمفاوضة من جديد بين فرنسا وجبهة التحرير الوطني ، في ١٨ أيار ١٩٦١ في إيفيان . وكان الوفد الفرنسي بتوجيه وزير الشؤون الخارجية (لويس جوكس) ، والوفد الجزائري (بكريم بولقاسم نائب رئيس الحكومة الموقتة للجمهورية الجزائرية .G. P. R. A) . ولم تؤد المفاوضة إلى شيء وأجلت إلى أجل غير مسمى . وفي الوقت نفسه أثارت (منظمة الجيش السري .O. A. S) التي يوجهها بالخفاء الجنرال سالان ، حرباً جديدة أهلية في الجزائر ، في هذه المرة ، ضد الجيش والحكومة ومع التعاطف الشبه إجماعي للشعب الأوربي في الجزائر . وأبدى ٨٠ نائباً في المجلس الوطني الفرنسي رأيهم لصالح منظمة الجيش السري . ونظمت هذه الأخيرة فرقة مغاوير ، وأعاقت عمل الإدارة ، وضاعفت أعمال العنف ضد الشعب العربي وضد المعمرين النادرين المحبذين للاستقلال الجزائري . ولكن الرأي العام الفرنسي بدا أكثر فأكثر معادياً لمنظمة الجيش السري ، وأكثر من ذلك لصالح منح الاستقلال للجزائر . وأطاع

الجيش الحكومة بإذعان ، وردت منظمة الجيش السري إلى تمني تقسيم للجزائر ، وتجمع المعمرين من جديد في شريط ساحلي من الميتيجا إلى سهل وهران . وقد يخلق هذا الحل نظاماً مماثلاً قليلاً لنظام فلسطين المقسمة بين دولة إسرائيل وقسم فلسطيني .

ومن المؤكد أن منظمة الجيش السري أقلقت الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية وأقنعتها بأن مفاوضة قطعية مع فرنسا أصبحت منذ الآن ممكنة . واستؤنفت المفاوضة في إيفيان في سرية تامة ، وفي ١٨ آذار ١٩٦٢ ، وقعت اتفاقات إيفيان . لقد نصت على استفتاء في الجزائر في الأول من تموز . فإذا صوت الناخبون بـ (نعم) فهذا يعني أنهم يقبلون بخلق جزائر مستقلة مرتبطة بفرنسا باتفاقات التعاون الموقعة في إيفيان . وتوقعت تنازلات لصالح الفرنسيين في الجزائر وضمان أشخاصهم وأملاكهم . وفي خلال ثلاثة أعوام ، يحافظ الجزائريون على فائدة جنسية مزدوجة ، ويمكنهم الخيار بين القومية الفرنسية أو القومية الجزائرية . وتحتفظ فرنسا ، خلال ثلاثة أعوام ، بجيش مؤلف من ٩٠٠٠٠ رجل في الجزائر . كما تحتفظ بمطارات وقواعد في الصحراء خلال خمسة أعوام ، والقاعدة الجوية البحرية في المرسى الكبير خلال خمسة عشر عاماً . وتتابع فرنسا تمويل (خطة قسنطينة) . وتستغل الثروة البترولية في الصحراء بالمشاركة . وتبقى الجزائر في منطقة الفرنك الفرنسي . وبين اتفاقات إيفيان في ١٨ آذار والاستفتاء الشعبي في الأول من تموز ١٩٦٢ ، انطلقت (منظمة الجيش السري O. A. S.) في مقاومة يائسة كان مفعولها الوحيد نهائياً أن جعل الحفاظ على جالية مستعمرة فرنسية عديدة جداً في الجزائر المستقلة ، أمراً مستحيلاً . وكانت هذه نوعاً ما سياسة الأرض المحروقة . وكانت النتيجة من أيار إلى تموز ١٩٦٢ أن أكثر من ٨٠٠٠٠٠ معمر على مجموع ١١٠٠٠٠٠ غادروا البلاد . وكثير منهم من أصل بعيد غير فرنسي ، لم يروا الوطن الأم (المتروبول) أبداً . ومع ذلك

فإن معظمهم جاؤوا والتجؤوا فيها . والاستفتاء الشعبي الجديد في فرنسا ، في ٨ نيسان ١٩٦٢ ، مع أو ضد اتفاقات إيفيان ، أعطى أكثرية ٩٠ ٪ لصالح استقلال الجزائر . أما الشيوعيون فكانوا يفضلون التصويت بـ (نعم) مع رفضهم قبول مجموع السياسة الدوغولية . وأعطى استفتاء الأول من تموز في الجزائر أكثرية عظمى لصالح الاستقلال . وكانت هذه نهاية حرب الجزائر واستعمار فرنسي دام ١٣٢ عاماً .

نَحوَ عَالَمٍ جَدِيدْ

١٩٦٢ - ١٩٧٢

المدخل

يمكن أن تبدو السنة ١٩٦٢ ، بالرجوع إلى الماضي ، كرمز لنهايـة عصر . وفي الحقيقة ، إن المؤرخ لا يجهل بأن التقلبات العميقة ليست محـددة بتواريخ واضحـة ودقيقة . ولذا نستعمل الكلمـة الرمز . ففي ١٩٦٢ جرت الحوادث الأسـاسيـة التي تطبع نوعاً ما نهاية مـا بعـد ـ الحرب : استقلال الجزائر ؛ نجـاح الردع الأميركي في قضية صواريخ كوبا . وإذا قيل إن المرحلتين الكبريين ، لمـا بعـد الحرب ، كانتـا التحرر من الاستعمار والحرب البـاردة ، فمن الممكن القـول بـأن استقـلال الجـزائر يطبع ، بتفاصيل قريبة ، نهايـة الإمبراطوريـات ، وأن قرار الرئيس كينيـدي ، في تشرين الأول ١٩٦٢ ، يبرهن على نفاذ الردع وينهي هذه المجموعة من الأزمات الدرامية أحياناً والمعروفة تحت اسم (الحرب الباردة) . فلا مشاركـة الولايـات ـ المتحـدة في حرب فيتنـام ، ولا المنـازعـات بين الـدول الصغيرة ، بمـا فيهـا نـزاع الشرق ـ الأوسط ستؤدي منذ الآن فصـاعـداً إلى توترات حقيقيـة بين الـدولتين ـ الأعظم .

فمن آخر (الحرب البـاردة) يتجــه نحـو (الانفراج) . وهــذا الانفراج بقي سريع العطب ولم يؤد إلى إنجازات مسرحية عظيمة ، على الصعيد الأساسي ، صعيد نزع السلاح . ومع ذلك ، فإن شكل النزاع الـذي كان يخشى بين ١٩٤٥ و ١٩٦٢ ، وهو نزاع (حرب عالمية ثالثـة) يواجـه فيهـا المعسكر الغربي المعسكر الاشتراكي ، يبدو حالياً أنه أصبح بعيداً في الحد الذي يمكن فيه ، على هـذا الصعيـد ، الوصول إلى يقين . وينجم عن ذلك نتائج عديـدة : تراخي روابـط التحـالف ، المرئي في الغرب كما في الشرق . تراخٍ غير متناظر . فعنـدمـا طـالـب الجنرال دوغول ذهـاب

القواعد الأميركية عن الأرض الفرنسية ، احتج الأميركيون ، ولكنهم نفذوا ؛ وعندما حاول التشيكوسلوفاكيون إدخال بعض أشكال الحرية الفردية في نظامهم الاشتراكي ، أرسل السوفياتيون جيوشاً إلى تشيكوسلوفاكيا وانتهوا بفرض تغيير الحكومة . ومهما يكن فإن (ميثاق وارسو) قد ضعف حسب عمليات (مسارات) مختلفة . مثله في ذلك مثل (الميثاق الأطلسي) ، لاسيا وأن نزاعاً عظيماً قام بين الدولتين الاشتراكيتين الكبريين ، الاتحاد السوفياتي والصين . وكانت نتيجة الانفراج أخيراً أن **ثبّت** ، بشكل لا يمكن التنبؤ به قبل بضع سنوات ، العلاقات بين الألمانيتين ، بانتظار الكوريتين .

وكانت نهاية الإمبراطوريات الاستعمارية مظهراً سلبياً لحادث واسع وهو وصول أكثر من ٨٠ دولة من مختلف الأبعاد إلى الاستقلال . ولم تنته هذه العملية في ١٩٦٢ ، ولا حتى في ١٩٧٨ . ولكن الدور الأساسي قد عمل . إن استقلال الجزائر ، بل استقلال جميع مستعمرات العالم الذي يضم أكبر نسبة من (المعمرين) ـ أكثر من ١٠ ٪ ـ الذين ثبتوا قديماً ، يسجل بداية عصر جديد . ومن الممكن عندئذ استعمال تعبير أطلقه في العام ١٩٥٧ الاقتصادي (ألفرد سوفي) وعالم الاجتماع (جورج بالانديه) : وهو : (العالم الثالث) . فبين المعسكرين ، يوجد من هم (متخلفون) أو (نامون) ، وكل من عرفوا جميعاً ، إما الاستعمار المباشر ، وإما (من أجل بعض البلاد مثل ليبريا ، إيران ، تايلاند) الاستعمار غير المباشر المطبوع بـ (معاهدات متفاوتة) . غير أن بلاد العالم الثالث ، عوضاً عن أن تركز كل طاقاتها في متابعة الخلاص من الاستعمار بشكل متضامن ، انطلقت ، بدءاً من ١٩٦٢ ، في جهود أصيلة في السياسة الخارجية ، ظهرت بوادرها الأولى في الدور السابق ، ولكنها ستتعمق وتأخذ صفاتها الخاصة .

وفي الحقيقة ، إن دبلوماسية (العالم الثالث) متأثرة ببعض تقاليد الحق

الدولي والسياسة ؛ وإن الدول الجديدة ، كالقديمة عرفت منازعات . وبخاصة المنازعات الأرضية ؛ وإن استعمال العنف المجمد بين الدولتين الأعظم بـ (توازن الإرهاب) ، أو (الرعب) كما هو دارج ، أبعد ما يكون عن الزوال من وجه العالم . ولكن بلاد العالم الثالث ، وقد أحرزت أغلبية قوية في الأمم المتحدة ، بالرغم من ضعفها العسكري بالمعنى التقليدي ، تمارس نفوذاً متزايداً : لأن الدول الحديثة ، بعد أن كانت بادئ ذي بدء مسودةً ، ثم رهانات بسيطة للنزاع بين المعسكرين ، أصبحت ، بصورة منعزلة وبخاصة جماعية ، بواعث نشيطة للسياسة العالمية .

الفصل الثاني

مشاكل الكتلتين

١٩٦٢ ـ ١٩٦٩

١ ـ الدغولية وضعف المعسكر الغربي

مقدمات السياسة الدغولية قبل ١٩٦٢

لقد كانت حرب الجزائر حادثاً دراميأ بصفة خاصة ، لأن ثورة ١٣ أيار ١٩٥٨ ، في الجزائر ، هي التي أوصلت الجنرال دوغول إلى السلطة ، أولاً ، رئيساً لمجلس الوزراء في الفاتح من حزيران ١٩٥٨ ، ثم رئيساً للجمهورية في آخر السنة . كانت فرنسا مشتبكة ، منذ الأول من تشرين الثاني ١٩٥٤ ، في حرب الجزائر ، وفي ١٣ أيار ١٩٥٨ ، قامت حركة انقلاب حقيقية في الجزائر . ثار الشعب الفرنسي من أصل أوربي ، يدعمه الجيش عن سعة ، ضد حكومة الوطن الأم متهماً إياها بالتخلي عن الجزائر . وعلى اثر خطأ كلي في التثمين استغلته الحوادث اللاحقة ، أسهم ثوار الجزائر في مجيء دوغول إلى السلطة فيما كانت معظم الأحزاب في فرنسا ، ماعدا الشيوعيين ، تعتبر أنه الرجل الوحيد القادر على تجنب انفجار الدولة ورد الجيش والمعمرين إلى حظيرة الطاعة . لقد كان الجنرال بعيداً عن السلطة منذ استقالته المفاجئة ، في ٢٠ كانون الثاني ١٩٤٦ ، وعاد إليها بعد غياب ١٢ عاماً ، وأصبح بإمكانه أن يحقق طموحه الأساسي وهو تنمية سياسة فرنسا الخارجية ليجعل هذا البلد يلعب دوراً أساسياً في الدبلوماسية العالمية رغم وسائله المحدودة .

وفي السنوات الأربع الأولى ، لم يستطع هذا الدور ، على وجه الدقة . إلا أن يكون ممحياً ، بسبب حرب الجزائر التي حرمت انوعاً ما الجنرال من حرية العمل . بيد أنه اتخذت في ١٩٥٨ مبادرتان مسرحيتان : الأولى تتعلق بالسوق المشتركة التي دخلت في حيز التنفيذ ، في الأول من كانون الثاني ١٩٥٩ ، بموجب معاهدة روما التي درسناها سابقاً[١] . فقد عرف الجنرال دوغول خصماً صريحاً للدمج الأوربي . ويعتقد زملاء فرنسا بأنه سيناور ليمنع تأسيس السوق المشتركة . وقد حصل العكس . لقد التقى الجنرال دوغول بالمستشار الألماني كونراد آديناور في أيلول ١٩٥٨ ، وبدا أن اتفق معه للدفاع عن السوق المشتركة ضد التهديد الأساسي الذي كان موجوداً آنذاك . وقد تأتى هذا التهديد من اقتراح إنكلترا التي قلقت من رؤية إنشاء منطقة تجارية ممتازة لا تريد المشاركة بها ، واقترحت أن تتوضع فوقها منطقة واسعة لمبادلة ـ حرة تضم البلاد الأوربية الغربية كلها . وإذا أنشئت منطقة المبادلة ـ الحرة ، فإن الفوائد الجمركية للبلاد الخارجة عن السوق المشتركة تكون مساوية لفوائد أعضاء السوق المشتركة ، وسيكون من نتيجة ذلك إضعاف هذه السوق ومنعها من الوصول إلى اتجاهها الخاص الذي هو تحقيق وحدة اقتصادية تنطلق قوية إلى أبعد من اتحاد جمركي بسيط . وبفضل الجهود المنضمة من الجنرال دوغول والمستشار آديناور ، تم التخلي نهائياً عن الاقتراح البريطاني في منطقة كبرى للمبادلة الحرة . واضطر البريطانيون إلى الاكتفاء ، أمام السوق المشتركة ، بإنشاء منطقة صغيرة للمبادلة الحرة وهي : (الرابطة الأوروبية للتجارة الحرة E. F. T. A.) وتضم ، عدا المملكة المتحدة ، ستة بلاد أخرى : سويسرا ، النمسا ، البرتغال ، الدانيارك ، النورفيج ، السويد ، وفي الآجل فنلاندا .

ومن جهة أخرى ، كتب الجنرال دوغول ، في أيلول ١٩٥٨ ، إلى الرئيس

---

(١) راجع التاريخ الدبلوماسي الجزء الأول ، الفصل الثالث ، الفقرة ٤

آيزنهاور رسالة يطلب منـه فيهـا أن يحل محل الإدارة الأميركيـة الصرفـة لمنظمـة معاهـدة (حلف شمال الأطلسي .O. T. A. N) إدارة ثلاثيـة مؤلفـة من الولا يـات المتحـدة ، وإنكلترا ، وفرنسـا . غير أن الولايـات المتحـدة ، التي تتصرف تقريبـاً بكامل القوى النووية الستراتيجية لحلف الأطلسي ، كانت معادية لوجهات النظر هذه ، وأعلم الرئيس آيزنهاور بذلك الجنرال دوغول الذي بقي عندئذ صـامتـاً على منظمة الحلف . ويجب أن يضاف : أن بريطانيا العظمى لم تكن مفضلة لـذلـك أيضاً . لأنها تفقد على هذا النحو دور حليفة ممتـازة للولايـات المتحـدة ، بعـد أن ارتبطت بهذا البلد بـ (روابـط خـاصـة) . أمـا الحلفـاء الآخرون ، مثل ألمـانيـا الغربية وإيطاليـا ، فينظرون نظرة سيئـة إلى حل يستبعـدون فيـه عن السلطـة العليا . وعليه أخفقت محاولة الجنرال دوغول ويجب انتظـار ١٩٦٣ ليستـأنفهـا من جديد تحت أشكال أخرى .

وهكـذا ، خلال الـدور النشيـط قليلاً نسبيـاً للسيـاسـة الـدوغـوليـة ، حتى اتفـاقـات إيڤيـان في آذار ١٩٦٢ ، التي تخول استقلال الجـزائر ، وضعت القضـايـا الأساسية . لقد كان الجنرال دوغول محبذاً للسوق المشتركـة ، ولكن ، كما برهن على ذلك في ربيع ١٩٦٢ ، كان معادياً لدمج سياسي يمدد الدمج الاقتصادي . ومع أنـه كان محبــذاً لبعض التنظيم في أوربــة على صعيــد التعــاون ، لا يريــد أن يرى الاستقلال الوطني الفرنسي مضحى لإنشاء دولة أعظم في أوربـة الغربيـة . أمـا في حلف الأطلسي ، فقـد أبـدى تحفظـاتــه الصريحــة على التنظيم المـوجـود ، وعلى السيطرة التامة التي تمارسها الولايات المتحدة فيه . وبـالرغم من الضغوط السريـة للولايات المتحدة والمعارضة الصريحة لمنظمة الأمم المتحـدة ، أمر بـإتمـام البرنـامج الذري العسكري التجريبي . وفي ١٣ شباط ١٩٦٠ ، انفجرت القنبلة الذرية الأولى في (ريغّــان) في الصحراء الجـزائريــة ، وأيضــاً تحت الإشراف الفرنسي . وكان التفجير الثـاني في نيسـان ، والثـالث في كانون الأول ، والرابـع في نيسـان ١٩٦١ .

ومن هـذه المرحلـة التجريبيـة ، قرر الجنرال دوغـول الانتقـال إلى المرحلـة العسكرية . وتبني قانون ـ برامجي في ١٩٦٠ بشأن (القوة الضاربة) الفرنسية .

« المشروع الكبير » للرئيس كينيدي

في فترة رئاسة آيزنهاور ، لاقت الحكومـة الأميركيـة خيبـات أمل خطيرة في أوربة . إن طرح فرنسا (وحدة الدفاع الأوربية) في ٣٠ آب ، والعـدوان الثلاثي على مصر ١٩٥٦ (قضيـة السويس) كانـا أهم المراحـل . ولـذا أمكن مـلاحظـة أن السياسة الأميركية في فترة آيزنهاور وفوستر دلّس كانت موجهة بازديـاد نحو البلاد الخارجة عن أوربة منها نحو أوربة نفسها . أمـا الرئيس كينيـدي فقـد اهتم أيضـاً وبشدة بالقارة الأوربية وبحلف الأطلسي . ومنذ بداية رئاسته ، في ربيع ١٩٦١ ، قام برحلة هامة في أوربـة . التقى فيهـا بـالجنرال دوغول وبـدا أن العلاقـات بين الرجلين كانت طيبة . وفي الحقيقة ، لقد كان الجنرال يكن اعتباراً كبيراً وصـداقـة لزميله السابق في الحرب ، آيزنهاور ، ولكنه نفسه ، باعتباره فيلسوفـاً ، ومؤرخـاً ومفكراً ، كان سعيداً باكتشافه ثقافة فكرية عالية عند الرئيس الأميركي الشاب ، الطالب قديماً في جامعـة هـارفرد وعضو النخبـة الفكريـة والمـاليـة في بوسطون . ومن جهة أخرى ، منذ تموز ١٩٦١ ، كانت بريطانيا ـ العظمى متـأثرة على وجـه التأكيد بضغط أميركي قوي ، وقررت أن تضع ترشيحها للسوق المشتركة .

ولم يبق الرئيس كينيدي عند هذا الحد . فقد أعدَّ عن العلاقات الجديدة عبر الأطلسي مذهباً متجـانسـاً سمي (المشروع الكبير) للرئيس كينيـدي . وبعـد أن تكلم عن (وحـدة أطلسيـة) يمكن أن تتوضع على الوحـدة الأوروبيـة المـوسعـة ، انتهى بالتخلي عن هذا التعبير . وفي خطاب هـام في ٤ تموز ١٩٦٢ ، قـدم نظريـة يبـدو أنهـا كانت مستلهمـة بشكل واسـع من الفرنسي (جـان مـونّيـه) ، رئيس (لجنة العمل لولايات متحدة في أوربة) . فـأمـام الولايـات المتحـدة الأميركيـة القوية على الضفة الغربية للأطلسي ، يجب أن تنشأ ولايات متحـدة أوربيـة على

الضفة الشرقية ، تشمل قسماً عريضاً من أوربة الغربيـة . وعلى هـذا النحو يوجد على جانبي الأطلسي (دعامتان) صلبتـان تتحـدان بروابـط وثيقـة من طبيعـات مختلفة ، سياسية ، اقتصـاديـة ، ثقـافيـة ، واستراتيجيـة . وهـذه الروابـط تشكل مـاأسماه جـان مونيـه وكينيـدي (المشـاركـة الأطلسيـة) . وتكون الـدعـامتـان متساويتين ، ولكن ، على نقطـة ذات أهميـة رئيسيـة ، على أن تحتفـظ الولايـات المتحدة ، مع ذلك ، بحصر أساسي : حصر القوة النووية والحروريـة ـ النوويـة . هذا وإن مذهب ماك نامارا ، في (الرد المتدرج) الذي حللنـاه أعلاه[1] ، يتضمن في الـواقـع احتمال قرارات دقيقـة جـداً لا يمكن ، في نظر واضعـه ، أن تتخـذ إلا بسلطة وحيدة . ولما كان حيوياً بالنسبة للولايـات المتحـدة أن تـدافع عن أوربـة الغربية ضد عدوان شيوعي ، فقد كان من غير المجدي بل الضـار أن تتوصل البلاد الأوربية أو أوربـة المتحـدة إلى حيـازة قوة ذريـة . إذ يكفي هـذه أن يكون لهـا جيش تقليدي يطلب الأميركيون منها لأجله زيـادة مجهودهـا المـالي . ويجب ألا تكون ، حسب ماك نامارا وكينيدي (إلا أصبع واحدة على الزناد) . وهذا يعني محاولة القوة النووية الأميركية الجسيمة امتصاص القوة البريطانيـة الصغيرة والقوة الفرنسية التي ما زالت في ذلك الحين رشيمية . وعلى جميع النقـاط الأخرى ، تكون المساواة تامـة . وطبقـاً لمـا يبـدو أن يكون أمنيـة من أمـاني الجنرال دوغول ، من الممكن حتى مـد مسؤوليـة الحلف الأطلسي من منطقـة شمال الأطلسي إلى مجمـوع مناطق العالم ، وهذا يعني أيضاً أن تشاور الولايات المتحدة حلفاءها في السيـاسـة التي يجب اتبـاعهـا في الشرق الأقصى ، وفي الشرق الأوسـط ، وفي إفريقيـة . وفي تشرين الأول ١٩٦٢ ، وسع كينيـدي هـذا البرنـامج بحصـولـه من الكـونغرس على التصويت على قانون جمركي يسمى (قانون توسع التجارة) . وهذا القـانون ينص على أن يتفـاوض الأوربيـون والأميركيـون بشـأن تخفيض مشترك من ٥٠ ٪ على

---

(١) راجع (عصر الأزمات) تحت عنوان (تسوية الخلاف) ص ٣٥

رسومهم الجمركية ، بشكل ينشط التجارة بين شاطئي الأطلسي . أما المنتجات التي ٨٠ ٪ منها كان يصنعها أعضاء حلف الأطلسي ، وعلى وجه الاحتمال بعض البلاد الأخرى المتقدمة فتحذف عنها الرسوم الجمركية عملياً . وهذا يقتضي أن تنضم انكلترا إلى السوق المشتركة .

وما أن وضعت هذه الخطة حسب الأصول حتى قام الرئيس كينيدي بتنفيذها مباشرة . لقد كان يعتقد أن من الضروري ، في الديموقراطيات ، للحفاظ على الاتحاد بين المواطنين ، أن تقدم لهم إنجازات عظيمة . وكان قد اقترح منذ حملته الانتخابية ، على الأميركيين ماأسماه (الحدود الجديدة) الذي يعتمد على الإعداد معاً لجهود واسع لغزو الفضاء . واقترح على الأميركيين والأوربيين (مشروعه الكبير) . وفي هذا الشهر نفسه ، شهر تشرين الأول ١٩٦٢ ، عندما أحرز نصراً حاسماً في قضية الصواريخ السوفياتية في كوبا وأظهر كفاءته في القرار ، تعزز تفاؤله ، وصرح بأنه يجب على الولايات المتحدة أن تمارس (زعامة) في العالم الغربي . بيد أن استعمال هذه الكلمة يبدي بعض الخطر . لأن (الزعيم) يعني معاً القائد والرئيس . ومن المحتمل أن قدم كينيدي الولايات المتحدة كقائد فكري ، معنوي وروحي للعالم الأطلسي ؛ ولكن ، بالنسبة لبعض الأوربيين المتغطرسين الأشداء ، وبخاصة بالنسبة للجنرال دوغول ، ألا يعني هذا أن الأميركيين كانوا يطالبون في الحق هينة تخصهم في الواقع ؟! على أي حال بدا المشروع يقدم نفسه جيداً . واستقبل الجنرال دوغول الوزير البريطاني الأول هارولد ماكميلان في رامبويّه ، ويمكن أن يكون هذا قد اعتقد بأن الجنرال قبل دون صعوبة دخول إنكلترا إلى السوق المشتركة . وبعد قليل على ملتقى رامبويه ، من ١٨ إلى ٢١ كانون الأول ١٩٦٢ ، التقى الرئيس كينيدي وماكميلان في ناسو في جزر باهاما . وأعلن الرئيس للبريطانيين أن الولايات المتحدة قررت ، لأسباب مالية ، التخلي عن إنتاج الصواريخ (جو ـ أرض **سكايبولت**) التي كان قد طلبها البريطانيون من أجل قوتهم الضاربة . وبالمقابل ، ستسلم البريطانيين صواريخ

(**بولاريس**) التي تستعملها الغواصات . وهذه هي الخطوة الأولى نحو اندماج القوة الصغيرة الستراتيجية البريطانية في القوة الأميركية الجسيمة .

وفوق ذلك ، قبل البريطانيون بألا يستعملوا قوتهم الضاربة إلا باتفاق مع الأميركيين بوساطة المنظمة الأطلسية - إلا في حالات استثنائية تماماً . واقترح على فرنسا أن تعمل كذلك . وهذا يعني (القوة المتعددة الجنسيات) ويسهم في تنمية التفاوت ، لأن الأساسي من القوات النووية لإنكلترا وفرنسا إذا دمج على هذا النحو في القوات الأطلسية ، فسيكون ذلك بشكل مغاير تماماً بالنسبة للولايات المتحدة التي تظل محافظة على الأساسي من قوتها الستراتيجية تحت قيادة أميركية صرفة . إلا أن قوة واحدة أميركية مساوية للقوة البريطانية ستكون موضوعة تحت قيادة منظمة معاهدة (شمالي الأطلسي O. T. A. N.) . وبسرعة جداً أضيف إلى هذا البرنامج برنامج (قوة متعددة الجوانب M. L. F.) بغية إرضاء رمزي لبعض الحلفاء غير النوويين ، ولا سيما ألمانيا - التي تعهدت في ١٩٥٥ بألا تمهر نفسها بأسلحة ذرية - وإيطاليا . وستزود سفن حربية ، وعلى وجه الاحتمال سطحية ، بأسلحة ذرية يجهزها الأميركيون . وسيكون طاقمها ثنائي الجنسية ، وعلى سبيل المثال أميركيون وألمان . وينبغي اتفاق البلدين على إطلاق القنابل . وبالإجمال . إن (القوة المتعددة الجنسيات) تعطي للأميركيين الإشراف على القوى الضاربة الفرنسية والإنكليزية ، و (القوة المتعددة الجوانب) تدفع الأميركيين فقط إلى التخلي عن التصرف الحر لقنابلهم من أجل قسم زهيد ، دون إعطاء الشركاء حق استعمالها خارجاً عن الموافقة الأميركية . أما سفن السطح باعتبارها قابلة للإصابة بالضرر ، فإن هذا المشروع المعقد يبدو بالبداهة كحذاقة سياسية وليس كقضية عسكرية .

رد الجنرال دوغول (١٤ كانون الثاني ١٩٦٣)

كما كان للرئيس كينيدي (مشروع كبير) كذلك كان للجنرال دوغول

(مشروع كبير) أيضاً . ففي الصفحة الأولى من الجزء الأول من (مذكراته) يذكر فعلاً ضرورة (مشاريع واسعة) لحذف (خمائر التفرقة) التي تهيج الشعب الفرنسي . ولكن مشروعه الكبير كان مغايراً تماماً لمشروع الرئيس كينيدي . فعلى صعيد التوحيد الأوربي ، كان الجنرال يرفض خلق أوربة مندمجة أو ولايات ـ متحدة في أوربة تكون فيها الأطراف المؤسسة محرومة من استقلالها . إن ما يريده هو نوع من كونفدراسيون ، (أوربة الدول) التي تتفق فيا بينها للعمل معاً لمحاولة سلوك سياسة خارجية مشتركة ، شريطة أن تبنى هذه السياسة الخارجية بصورة أساسية على تعاون فرنسي ـ ألماني ، وباشر مع المستشار آديناور بمفاوضة معاهدة تعاون فرنسي ـ ألماني وقعت في ٢٢ كانون الثاني ١٩٦٣ ، وتنص على لقاءات منتظمة بين رئيسي الدولتين والحكومتين ، وبين وزيري الشؤون الخارجية ، وبين وزراء مختلف الفروع الأخرى ، ولا سيا الدفاع ، والتربية ، والشباب ، لتشجيع تنمية المبادلات الاقتصادية والفكرية .

وكانت السياسة الخارجية المشتركة للدول الأوربية ، المستوحاة بالبداهة من فرنسا ، تقتضي تزايد الاستقلال الأوربي إزاء الولايات المتحدة . وربما تذكر الجنرال دوغول العلاقات السيئة التي أقامها مع الرئيس روزفلت وكورديل هولّ أثناء الحرب العالمية الثانية ، فاشتبه بأن الولايات المتحدة تغذي خطط هيمنة ، وأراد أن يحرر منها الأوربيين ولا سيا فرنسا . وبعد ملتقى رامبويه مع ماكميلان ، اعتقد بأن انكلترا كانت ، هي أيضاً ، ترغب في تحرير نفسها من سيطرة (أولية الأميركيين) . ويبدو أن مؤتمر ناسّو قد أثار فيه خيبة أمل تامة . فقد استسلمت إنكلترا مباشرة للأساسي من المقترحات الأميركية . وهذا دليل على أنها ، عوضاً عن أن تأتي لتعزيز أوربة التي ستقف عند حدودها إزاء الولايات المتحدة ولا تتحفظ تجاهها ، لم تشأ الدخول في المجموعة الأوربية إلا كـ (حصان طروادة) للأميركيين .

وفي مؤتمر صحفي ، في ١٤ كانون الثاني ١٩٦٣ ، يسجل منعطفاً في تاريخ العالم الغربي ، كسر الجنرال دوغول بصراحة مشروع كينيدي الكبير . فقد أعلن أولاً أنه يعارض دخول بريطانيا ـ العظمى السوق المشتركة ، وعلى الأقل في الظروف الحالية . ووضح وزيره للشؤون الخارجية كوف دومرفيل هذا (النقض) لشركاء فرنسا ، بعد بضعة أيام ، أثناء اجتماع في بروكسل . أما الجنرال دوغول ، الذي لم يشاور شركاءه الخمسة ، فقد اكتفى بإعطاء هذا الرفض إيضاحات اقتصادية : « المسألة هي معرفة ماإذا كانت بريطانيا ـ العظمى تستطيع ، حالياً ، أن تضع نفسها مع القارة ومثلها ، في داخل تعرفة تكون بحق مشتركة ، وتعدل عن كل تفضيل حيال رابطة الشعوب البريطانية (الكومونولث) ، وتكف عن الزعم بأن زراعتها ممتازة ، وتعتبر أيضاً أن التعهدات التي اتخذتها ، مع بلاد منطقتها للمبادلة الحرة ، ساقطة .. ولا يمكن القول بأن هذه المسألة قد حلت حالياً . فهل ستحل يوماً ما ؟ بالبداهة تستطيع إنكلترا وحدها الإجابة » . وفوق ذلك إن انتساب بريطانيا ـ العظمى والبلاد الأخرى للمجموعة الأوربية قد يحول بعمق بنية السوق المشتركة . « إن ما يبنى على أحد عشر ، ثم على ثلاثة عشر ، وثم ربما على ثمانية عشر ، لن يشبه أبداً دون أي شك ما يبنى على الستة » .

وعدا رفض الترشيح البريطاني ، أوضح الجنرال دوغول في المؤتمر الصحفي نفسه ، معارضته التامة لمشروع الرئيس كينيدي في التوحيد نوعاً ما للقوى الستراتيجية للحلف تحت إدارة أميركية . « أعيد ، بعد ماقلت غالباً ، بأن فرنسا تريد بأن يكون لها بخاصة دفاعها الوطني . إن المبادئ والوقائع تتفق لتدفع فرنسا لأن تمهر نفسها بقوة ذرية تكون خاصة بها . وهذا لا ينفي مطلقاً ، بالبداهة ، بأن يكون عمل هذه القوة مشتركاً مع عمل الحلفاء ، ولكن ، بالنسبة لنا ، في هذه الحالة ، الدمج شيء غير متصور ... إنه من الواضح تماماً أن هذا

المشروع الفرنسي لا يبدو مرضياً جداً لبعض الأوساط الأميركية . وفي السياسة وفي الستراتيجية ، كما في الاقتصاد ، يبدو الحصر ، بصورة طبيعية تماماً لمن يحتكره ، أنه أفضل نظام ممكن . لقد علمت فرنسا بالاتفاق الإنكليزي ـ الأميركي في باهاما . وكما فهم، ما من أحد ، دون شك ، يعجب بأنه لا يمكننا الاكتتاب فيه » .

وستفتح نتائج الرفض الدوغولي المزدوج أزمة خطيرة إن في السوق المشتركة أو في الحلف الأطلسي .

أزمة السوق المشتركة

لم يشاور شركاء فرنسا الخمسة ، فردوا باستياء واستنكار ضد نقض (فيتو) الجنرال دوغول . وبعضهم ، ولا سيما ألمانيا والبلاد ـ المنخفضة ، كان لهم تجارياً مصلحة عظمى بدخول انكلترا في السوق المشتركة . وآخرون ، مثل إيطاليا وبلاد البينيلوكس يخشون من أن يروا ، على إثر المعاهدة الفرنسية ـ الألمانية في ٢٢ كانون الثاني ١٩٦٣ ، (ديركتواراً فرنسياً ـ ألمانياً) يمارس هيمنته على أوربة . وإذا كانت الهيمنة ضرورية ، فيفضلون كثيراً هيمنة الولايات المتحدة التي تعتمد ، على الأقل ، على قدرة عظيمة اقتصادية وعسكرية . وكان الرأي العام الألماني منقسماً . وأكثرية البندستاغ لم تصادق على المعاهدة الفرنسية ـ الألمانية في أيار ١٩٦٣ إلا بإرفاقها بمقدمة تصغر بصورة عظيمة أهميتها . وستطبق ألمانيا المعاهدة ، ولكنها لن تتخلى عن سياستها التقليدية : (دمج القوات المسلحة للدول الأعضاء في منظمة الأطلسي ، وتوحيد أوربة حسب الطريق المرسوم بإنشاء وحدات أوربية مع قبول إدخال بريطانيا ـ العظمى فيها مع الدول الأخرى التي ترغب في الانضمام إليها) . وبدأ شركاء فرنسا الخمسة بتأخير توقيع الاتفاق الذي يجدد مشاركة البلاد الإفريقية والمالغاشية ، المستعمرات الفرنسية السابقة ، في السوق المشتركة .

ومع ذلك ، فإن أزمة السوق المشتركة غير مرتبطة مباشرة بإبعاد بريطانيا ـ العظمى . وفي الواقع ، تسببت الانتخابات البريطانية في تموز ١٩٦٤ وصول العماليين إلى السلطة مع هارولد ولسون وزيراً أولاً . وكان حزب العمال يعتبر أكثر عداء للتوحيد الأوربي من المحافظين . وتركت حكومة ولسون الأولى مكاناً قليلاً لأنصار أوربة . ولكن لوحظ ، انطلاقاً من ١٩٦٥ ، تطور في فكر ولسون وردة للفكرة الأوربية ، وفي انتخابات ١٩٦٦ ، أحرز العماليون نجاحاً كبيراً . وانتقلت غالبيتهم من ٥ مقاعد إلى ما يقارب ١٠٠ مقعد ، وفي آب ١٩٦٦ سمي (جورج براون) ، المعتبر كزعيم لأنصار أوربة ، وزيراً للشؤون الخارجية .

الإنذارات الفرنسية

من ١٩٦٣ إلى ١٩٦٦ ، ثقلت أزمة السوق المشتركة على المطالب الفرنسية في موضوع الزراعة . فقد نصت معاهدة روما ١٩٥٧ على خطة اتحاد جمركي يتعلق بالإنتاجات الصناعية ، ولكنها كانت قليلة الوضوح فيما يتعلق بالزراعة . لقد كانت فرنسا الدولة الزراعية الأساسية في السوق المشتركة وبلغ شعبها الزراعي أيضاً ١٧ ٪ من كامل سكانها . وكانت الفلاحة الفرنسية في عز تحديثها ، وازداد الإنتاج . وفي نظر الحكومة الفرنسية ، كان الأساسي أن السوق المشتركة تستطيع الإسهام في حل مشكلة تصدير الفوائض الزراعية . وبالرغم من أن الأسعار الزراعية كانت أخفض في فرنسا ، والبلاد المنخفضة وبخاصة في إيطاليا منها في ألمانيا ، فقد بقيت أعلى من الأسعار العالمية : ولذا فالقول بأن يعمل من السوق المشتركة منطقة ممتازة للمنتجات الفرنسية ، يتفق بالبداهة ومصلحة فرنسا القومية. وحتى الوقت الحاضر ، دارت المفاوضات بين شركاء السوق المشتركة في جو التعاون . بيد أن فكرة المصلحة الوطنية ستسيطر منذ الآن على المناقشات . وفي سياق مفاوضات تقنية ومعقدة للغاية ، استخدمت فرنسا نظام الإنذارات التي أدت على العموم ، في الحد الأقصى ، إلى تسويات على اثر المناقشات المنهكة التي ألبست بصورة غريبة اسم (ماراتونات زراعية) .

أطلق الأول في كانون الثاني ١٩٦٢ . وتقرر الانتقال إلى المرحلة الثانية من المعاهدة (تخفيض الحواجز الجمركية على المنتجات الصناعية) بعد توقيع اتفاقات زراعية تشكل منظمات أوربية للسوق من أجل بعض المحاصيل : الحبوب ، المنتجات المحولة ، فواكه وخضار ، خمور ، وتحدد تسوية مالية يتوجب بحسبها على البلاد التي تستورد جزءاً من غذائها من الخارج ، أي من مناطق خارجية عن السوق المشتركة ، أن تساعد مالياً الصادرات الزراعية لشركائها . وهكذا وضعت المسؤولية المالية المشتركة .

والإنذار الفرنسي الثاني أدى إلى ماراتون زراعية ثانية انتهت ، في ٢٣ كانون الأول ١٩٦٣ . فقد أقيمت أسواق جديدة زراعية أوربية من أجل المنتجات الحليبية واللحم البقري والرز .

والإنذار الفرنسي الثالث أدى ، في ١٥ كانون الأول ١٩٦٤ ، إلى إبرام ماراتون زراعية ثالثة : وهي أن يتسارع إنجاز السوق المشتركة الزراعية من أجل الحبوب والمنتجات المحولة ، وأن تتحقق حرية انتقال هذه المنتجات في الأول من تموز ١٩٦٧ بفضل تبني سعر وحيد . وعلى اللجنة أن تقدم ، قبل الأول من نيسان ١٩٦٥ ، مقترحات بتمويل السياسة الزراعية المشتركة من أجل ١٩٦٥ ـ ١٩٧٠ ومقترحات من أجل تمويل السوق الوحيد انطلاقاً من دخول الأسعار المشتركة في التنفيذ من أجل مختلف المنتجات الزراعية .

عرّفت لجنة بروكسل الأوربية بمقترحاتها في ٣١ آذار ١٩٦٥ . واقترحت على مجلس الوزراء ، أن تنجز السوق المشتركة في الأول من تموز ١٩٦٧ . وخلال مهلة عامين تسبق هذا التاريخ تمول السياسة الزراعية المشتركة بإسهامات تتفق عليها الدول الأعضاء سلفاً . وانطلاقاً من أول تموز ١٩٦٧ ، تحصل المجموعة الاقتصادية الأوربية موارد خاصة : رسوم جمرك التعرفة المشتركة والاقتطاعات الزراعية . ويشرف عليها المجلس البرلماني الأوربي الذي تزداد سلطاته على هذا النحو .

وهكذا فهمت لجنة بروكسل بأنها تتصرف بموارد مالية عظيمة تخولها سلطات حقيقية فوق ـ قومية (فوقمية) . وانعقد مجلس وزراء المجموعة في ١٥ حزيران ١٩٦٥ ، وبالحال عارضت فرنسا مشروع اللجنة ، متوقعة بالعكس التمويل بإسهامات قومية حسب الواردات الزراعية للدول الأعضاء . وعندما رفض هذا المشروع ، في الأول من تموز ١٩٦٥ ، فتحت فرنسا أخطر أزمة عرفتها السوق المشتركة حتى ذلك الحين معلنة بأنها لن تشارك أبداً في اجتماعات بروكسل . وبناءً عليه غادرت فرنسا السوق المشتركة موقتاً . وفي ٩ أيلول ١٩٦٥ ، وضع الجنرال دوغول شروطاً لدخول فرنسا ثانية في المجموعة . طالب بتحجيم دور اللجنة التي يعتبرها مؤلفة من (فنيين دوليين) لصالح وزراء قوميين . ومن جهة أخرى ، إن قواعد السوق المشتركة ، التي تتوقع في نهاية مهلة ما أن يحل التصويت بالأكثرية محل التصويت بالإجماع ، قد طرحتها فرنسا . وبالفعل ، إن الأكثرية تقتضي سلطة فوقمية بينما الإجماع ينفيها . فهل تزول السوق المشتركة ؟ لقد قبل شركاء فرنسا الخمسة تسوية لإعادة هذا البلد إلى المجموعة . وبعد إعادة انتخاب الجنرال دوغول لرئاسة الجمهورية ، في كانون الأول ١٩٦٥ ، خففت الحكومة الفرنسية تشددها وقبلت المشاركة ، في كانون الثاني ١٩٦٦ ، في اجتماع مجلس وزراء السوق المشتركة . وفي هذا الاجتماع حجمت في الواقع سلطات اللجنة . وظل شركاء فرنسا الخمسة أوفياء لمبدأ الأكثرية من أجل بعض القرارات ، ولكن فرنسا عارضت في ذلك ، وكان من الواضح أن يظل الإجماع لا غنى عنه في المستقبل . ووجد وزير الشؤون الخارجية للبلاد المنخفضة (لونز) حلاً دقيقاً وهو : « عندما تقتضي الحال قراراً قابلاً للاتخاذ بالإجماع ، بناءً على اقتراح اللجنة ، وتكون فيه مصالح هامة جداً لشريك أو عدة شركاء ، فإن أعضاء المجلس يحاولون في مهلة معقولة الوصول إلى حلول يمكن أن يتبناها جميع أعضاء المجلس في احترام مصالحهم ومصالح المجموعة » . وبتعبير آخر لا تتخذ قرارات بالأكثرية دون أن يكونوا متأكدين بأنها تقبل أخيراً بالإجماع .

نحو انطلاقة جديدة أوربية

انطلاقاً من عودة فرنسا إلى المجموعة في ١٩٦٦ ، ظل الجو متوتراً ، ولكن لوحظ بعض التقدم . ففي ٨ نيسان ١٩٦٥ ، وقعت في بروكسل معاهدة تنص على انصهار (ذوبان) المجموعات الثلاث الموجودة : المجموعة الأوربية للفحم والفولاذ ، الأوراتوم ، والسوق المشتركة . وفي أول تموز ١٩٦٨ دخل في التنفيذ إلغاء جميع الرسوم الجمركية في داخل (الست) وتعرفة خارجية كانت متوسط التعرفات الخارجية لكل واحدة منها مخفضة بـ ٨ ٪ في ١٩٦٢ ، إثر مفاوضات مع الولايات المتحدة و ١٦ ٪ في ١٩٦٧ إثر مفاوضات تسمى (جولة كينيدي) مع الولايات المتحدة نفسها (نتائج قانون توسع التجارة في تشرين الأول ١٩٦٢ الذي ذكر أعلاه) . وفي الواقع ، إن السوق المشتركة ، التي أصبحت على هذا النحو منطقة مبادلة حرة داخلية ، أبعد ماتكون عن تحقيق غايتها على الصعيد الاقتصادي ، لأن التعاون الاقتصادي يعمل بشكل سيء في العديد من النقاط . حتى وإن حذفت التعرفات الجمركية ، يوجد إمكانيات عديدة غير جمركية تجمد المبادلات في داخل السوق : النظم الصحية ، نظم الأمن ، ومعايير الصنع إلخ ... ومن جهة أخرى ، إن الضريبة تختلف في مختلف البلاد بالرغم من تبني (الست) للنظام الفرنسي في (الرسم على القيمة المضافة)[1] . وفي الواقع ، إن (الرسوم على القيمة المضافة) المتبناة تختلف حسب البلاد . لاسيا وأنه لم يوجد حل حقيقي للمشكلة الزراعية . واكتفي باقتطاعات عملت بنسبة الواردات الآتية من الخارج ، ولكن البلاد المستوردة الضخمة ، مثل ألمانيا ، استاءت لتحملها العبء الأساسي للنفقات ، والأسعار الزراعية في السوق المشتركة ليست قابلة للتنافس .

هل من الممكن جعلها قابلة للمنافسة ؟ نعم ، على الصعيد النظري . إن

---

(١) الرسم أو التسعيرة على القيمة المضافة : Taxe Sur La valeur ajoutée (T. V. A.) هذه الضريبة حلت محل الضريبة على الإنتاج .

نـائب ـ الرئيس النئرلانـدي في لجنــة (الست) (مــانشـولت) اقترح خطــة : (مـذكرة في إصلاح الزراعـة في المجموعـة الاقتصـاديـة الأوربيـة) ، (١٨ كانـون الأول ١٩٦٨) . فهـو يرى أنـه ينبغي إصـلاح بنيــة الـزراعــة بعمـق في السـوق المشتركـة : (إن السطح المتوسـط للمستغل الـزراعي للمجمـوعـة ليس إلا نحـو ١٠ هكتار . ولا يوجـد إلا ١٧٠٠٠٠ مستغل لها أكثر من ١٠ هكتـار وأكثر من ٥٠ ٪ من المحوزين أي من في حوزتهم الأبقـار يملكون على الأكثر ١٠ بقرات حلوبـة » . وهذه الأبعاد صغيرة جـداً . والحـالـة الملائمة تكون ٨٠ إلى ١٢٠ هكتـاراً من أجل الحبـوب ، ٤٠ إلى ٦٠ بقرة من أجـل الحليب ، ١٥٠ إلى ٢٠٠ لـلأبقـار من أجـل اللحم ، ١٠٠٠٠٠ فروج في العام ، ١٠٠٠٠ دجاجة بياضة ، ٤٥٠ إلى ٦٠٠ خنزير في المستغل . وهكذا يحصل على إنتاجيـة عـاليـة وانخفـاض في الأسعـار . ولكن هـذا يقتضي انخفـاضـاً عظيمـاً في عـدد المـزارعين . فقـد كان هـؤلاء ١٥ مليـون في آخر سنوات ١٩٥٠ ، ١٠ ملايين في ١٩٦٩ . ويجب تخفيض رقمهم إلى ٥ ملايين من أجل العام ١٩٨٠ . وهذا يفترض رحيل ريفي واسع ، وبـالتـالي ، مشكلـة اقتصـاديـة وسياسيـة . كان يجب إيجـاد أعمـال للفلاحين الـذين طرحوا على هـذا الشكل نحو الصناعـة وأعمـال القطـاع الاقتصـادي الثلاثي (التجـارة ، الإدارة ، الخـدمـات ، البنوك ، التأمين ، الفندقة وغيرها من المهن الحرة والحرفية) . ويجب أن يتم هذا دون خلق استياء غير مقبول . وحتى استقالة الجنرال دوغول في ٢٨ نيسان ١٩٦٩ ، لم تقم المجموعة الاقتصادية الأوربية بتقدم جديـد . وانطلاقـاً من ١٩٦٧ ، وضعت المشكلة من جديد بدخول إنكلترا في السوق المشتركة . وبقي جواب الجنرال مشابهاً لما كان في ١٩٦٣ ، أي معارضة شديدة للترشيح البريطاني الـذي أطرى في مـدحـه مع ذلك شركاء فرنسا الخمسة الآخرون .

أزمة المنظمة الأطلسية

كانت فرنســا قــد طرحت بحـزم مشروع قـوة نـوويــة متعــددة الجـوانب

(M.L.F.) اقترحها الأميركيون . وعندما قتل الرئيس كينيدي في ٢٣ تشرين الثاني ١٩٦٣ ، في دلس ، في التكساس ، خلفه نائب ـ الرئيس ليندون جونسون . وأعيد انتخابه في ١٩٦٤ . وخلافاً لكينيدي ، كان جونسون يهتم قليلاً جداً بالقضايا الأوربية . كان همه الأساسي متجهاً إلى حرب فيتنام التي سنتكلم عنها فيما يأتي . ولذا سنرى الحكومة الفرنسية ، بدافع من الجنرال دوغول ، تتخذ عدة مبادهات مستلهمة بصورة مرئية من الاهتمام بالاستقلال حيال الولايات المتحدة . وهذه المبادهات أوجدت استياءً شديداً لا في الولايات المتحدة نفسها فحسب ، وإنما أيضاً عند شركاء فرنسا وبخاصة في ألمانيا . فقد عرف هذا البلد الأخير أن دفاعه ، وبخاصة دفاعه عن برلين الغربية ، يتعلق بصورة أساسية بوجود الجيوش الأميركية على أرضه . حتى إن المستشار آديناور ، الذي كان يتابع بقوة سياسة تقارب مع فرنسا ، وكان أوربياً مؤمناً ، اتهم من عدة خصوم بأنه لا يأخذ بعين الاعتبار بصورة كافية هذه المسلمات (المعطيات) . ووعد بالاستقالة ، وفي تشرين الأول ١٩٦٣ ، خلفه وزير الاقتصاد (لودفيغ أرهارد) في المستشارية . وسلك وزير الشؤون الخارجية الجديد (شرودر) سياسة مناصرة للأميركيين ولم يظهر أي تعاطف إزاء فرنسا . وردت المعاهدة الفرنسية ـ الألمانية ، الموقعة في كانون الثاني ١٩٦٣ ، إلى شيء قليل .

ومن ١٩٦٣ إلى ١٩٦٦، ظهرت سياسة فرنسا المعادية لأمريكا بعدة أفعال ذات أهمية صغيرة نسبياً . ففي كانون الثاني ١٩٦٤ ، اعترفت فرنسا بالصين الشيوعية وقطعت على هذا النحو علاقاتها مع الجمهورية الصينية في فورموزا التي تدعمها الولايات المتحدة . وفي آذار ١٩٦٤ ، ذهب الجنرال دوغول إلى المكسيك حيث استقبل استقبالاً حماسياً ، ولكن هذا ظهر لبعض الأميركيين كغارة في هذا النصف ـ كرة الغربي حيث يحتفظون لأنفسهم، منذ مذهب مونرو في ١٨٢٣ ،

بنفوذ عظيم . وفي نيسان ١٩٦٤ ، وفي اجتماع مجلس (منظمة معاهدة جنوب ـ شرقي آسيا L'O. T. A. S. E.) ، فضلت فرنسا تحييد فيتنام الجنوبية ، وهذا يخالف السياسة الأميركية . ثم عدلت فرنسا عن الجلوس في مجلس معاهدة جنوب شرقي آسيا . وفي السنة نفسها ١٩٦٤ ، تذكر الجنرال دوغول بأنه لم يشارك في القرارات المتعلقة بالإنزال في نورماندیا ، في ٦ حزيران ١٩٤٤ ، فرفض الحضور للاحتفال بذكرى هذا الحادث العسكري العظيم الذي كان مع ذلك مقدمة تحرير فرنسا على يد الجيوش الحليفة . أما القوة المتعددة الجوانب ، فقد ظل الجنرال دوغول يطّرحها . وفي الحقيقة لم تثر هذه القوة حماسة لا من جهة إيطاليا ، ولا من جهة إنكلترا ، وحتى من جهة ألمانيا ، وتخلت عنها الولايات المتحدة نهائياً في ١٩٦٥ . ومن جهة أخرى ، بدأ الجنرال دوغول في هذه السنوات تقارباً مع أوربة الشرقية ، وذكر من أجل مستقبل غير معين إمكان خلق أوربة (من الأطلسي إلى الأورال) . حقاً ، لم يكن يشعر بأي تعاطف للنظام السوفياتي ويسمي الاتحاد السوفياتي (آخر وأعظم دولة استعمارية في هذا العصر) . ومع ذلك أظهر ميلاً لحياد نسبي ، وصرح في مؤتمره الصحفي في ٢٣ تموز ١٩٦٤ : « إن توزيع الكون إلى معسكرين تقود الواحد منهما واشنطون والآخر موسكو ، يستجيب قليلاً قليلاً للحالة الواقعية ... أما بالنسبة لنا نحن الفرنسيين ، فالقصد أن تصنع أوربة نفسها لتكون أوربية » .

فرنسا تغادر المنظمات العسكرية لمنظمة معاهدة شمال الأطلسي (أوتان)

بعد إعادة انتخاب صعب نسبياً للجنرال دوغول ، في كانون الأول ١٩٦٥ ، أمكن الاعتقاد بأنه سيتبنى موقفاً أكثر مصالحة وتوفيقاً . ولكن العكس حدث . ففي ٧ آذار ١٩٦٦ ، قدم وزير الشؤون الخارجية الفرنسي ، كوف دومرڤيل ، إلى السفير الأميركي تشارلز بولين ، رسالة شخصية من الجنرال دوغول إلى الرئيس جونسون . وفي هذه الرسالة ، يعلن الجنرال أن فرنسا ، مع بقائها وفيةً للحلف

الأطلسي ، قررت أن تسحب جيوشها من القوات العسكرية المندمجة في داخل المنظمة التي توضعت فوق الحلف : اوتان . « تنوي فرنسا أن تسترد على أرضها كامل ممارسة سيادتها التي تضررت حالياً بوجود مستديم للعناصر العسكرية الحليفة أو بالانتفاع الذي عمل من سمائها ، وأن تعدل عن مشاركتها في القيادة المندمجة ، وألا تضع قوة تحت تصرف المنظمة الأطلسية » . إذن بقيت فرنسا حليفة الولايات المتحدة وأعضاء ميثاق الأطلسي الآخرين ، ولكنها رفضت الدمج في عز السلام الذي شيد منذ نهاية ١٩٥٠ من أجل جيوش دول الحلف القارية ، ومن أجل القوات البريطانية والأميركية المرابطة في ألمانيا . وفي ١٠ آذار ، قدمت مذكرة فرنسية تعرض المبدأ نفسه إلى الأعضاء الآخرين الأربعة عشر في الحلف الأطلسي .

وضع القرار الفرنسي قضايا عديدة وخطيرة : أولاً ، لقد اقتضى إجلاء القواعد الأميركية والكندية المقامة في فرنسا . ويبدو أنه يدل على أن طائرات منظمة معاهدة شمال الأطلسي (O.T.A.N.) لا يمكنها التحليق فوق الأراضي الفرنسية ، ومن جهة أخرى ، وجد حادث عندما حلقت طائرات أميركية فوق معمل منتج للأورانيوم الغني في بييرلات[1] . وعلى اعتبار أن سويسرا بلد محايد ، كالنمسا ، وليس بالإمكان التحليق فوق فرنسا ، فإن القسم الشمالي والقسم الجنوبي من أوربة الأطلسية ينفصلان الواحد عن الآخر . ومن بعد كان يوجد نحو ستين ألف جندي فرنسي في ألمانيا يؤلفون حتى ذلك الحين جزءاً من الجيوش المندمجة في (الشيب)[2] . وكانت ألمانيا ترغب بشدة في بقاء هذه الجيوش على أرضها كمتمم

---

(١) بييرلات : Pierrelatte .

(٢) الشيب Shape اختزال لـ : Supreme Headquarters of Allied Powers in Europe . أي : (مقر القيادة العليا للقوات الحليفة في أوربة) المرابطة في ١٩٥١ في روكنكور Rocquencourt في فرنسا ، ومنذ ١٩٦٧ في شييفر ـ كاستو Chievres - Casteau في بلجيكا .

صغير للجيوش الأميركية والبريطانية . ولكن هل يمكنها حقوقياً قبول إبقائها خارجاً عن (الأوتـان .O.T.A.N) ؟ لقد كانت فرنسا طريقاً كبيراً لمواصلات تموين القواعد الأميركية في ألمانيا ، مع أنابيب البترول ، وأكداس العتاد ، وخطوط النقليات إلخ ... وكل هذه الأجهزة يجب أن تُجلى . وأخيراً ، من وجهة النظر النفسية ، يبدو أن القصد كان إضعاف الحلف . ويعتقد بعضهم ، في نيسان ١٩٦٩ ، أثناء الذكرى العشرين لحلف الأطلسي ، أن فرنسا أفادت من بنود المعاهدة لفسخها . وجرى تساؤل ماإذا كانت فرنسا تتطور نحو الحياد أو حتى نحو قلب الأحلاف الذي يقربها من الاتحاد السوفياتي . ومع ذلك تبنى حلفاء فرنسا الأربعة عشر مواقف مختلفة . ثلاثة منهم : ـ النورفيج ، والدانيمارك ، والبرتغال صرحوا بأنهم معادون لكل انتقادات عنيفة . وفي ٢٣ آذار أجاب الرئيس جونسون بشكل مطول الجنرال دوغول وحاول أن يدحض حججه : « إن الحكم ، الذي يكون بحسبه حضور القوات العسكرية الحليفة على الأرض الفرنسية ضاراً بالسيادة الفرنسية ، يدعني حائراً مرتبكاً ؛ إن القوات توجد عليها بدعوة من فرنسا ، حسب خطة مشتركة ، لتساعد على ضمان أمن فرنسا وحلفائها » . وطلب البريطانيون من الحكومة الفرنسية القيام بمفاوضات لإعادة تنظيم (الأوتان) ، الذي كان قد احتفظ ببنيته لعام ١٩٥٠ ، التي لم تعد بالبداهة متكيفة تماماً مع الحالة بعد خمسة عشر عاماً . والألمان أنفسهم فضلوا الإبقاء على إطار (الأوتان) ونظام الدمج ، ولكنهم قبلوا المفاوضة بشأن قضية مرابطة الجيوش الفرنسية في ألمانيا . وهذه الجيوش كفت ، في الأول من تموز ١٩٦٦ ، عن الالتحاق بـ (الأوتان) ، وكذلك القوات الأخرى الجوية والبرية الفرنسية . والأجهزة (الأشخاص الموظفون) الفرنسية المرتبطة بالقيادة الحليفة المندمجة ستسحب ويستعاض عنها ببعثات ارتباط بسيطة . والقيادة العليا في أوربة ، (الشيب) ، وقيادة وسط ـ أوربة ، وهيئة دفاع (الأوتان) ستنقل خارج الأرض الفرنسية بتاريخ الأول من نيسان ١٩٦٧ ، ونقل (الشيب) إلى

بروكسل ، وهيئة دفاع (الأوتان) إلى روما . وأخيراً كان على جميع القواعد والمنشآت العسكرية الأميركية والكندية أن تغادر الأرض الفرنسية في الأول من نيسان ١٩٦٧ ، مع إمكان تصور بعض التفصيلات الإضافية . ولم يخف اعتدال لهجة البلاغات الرسمية رد فعل الرأي العام الأميركي العنيف ورأي الحلفاء الآخرين . وللمرة الثانية عمل الجنرال دوغول من جانب واحد . وللمرة الثانية ، كان النجاح الدبلوماسي ، الذي أحرزه ، ذا طابع سلبي . ويبدو أن سياسته أضعفت بشكل خطير ، أو على الأقل على الصعيد النفسي ، قدرة مقاومة (الأوتان) . ففي ٣ أيار ١٩٦٦ ، صرحت الحكومة الفرنسية بأن إجازات التحليق فوق الأراضي الفرنسية بالطائرات الحليفة ، التي أعطيت حتى ذلك الحين على أساس سنوي ، لن تكون إلا على أساس شهري ، ويمكن أن تسحب بإعلان مسبق قبل ٣٠ يوماً . واكتفت الحكومة الأميركية ، بصفة احتجاجات ، بأن تمنع عن فرنسا تصدير الحاسبات الإلكترونية العملاقة[١] النافعة لإعداد القنبلة الهيدروجينية (هـ) الفرنسية . وأذعن الأميركيون لقبول القرارات الفرنسية ، ومقابل بنود مالية مختلفة انتهى إجلاء الجيوش الحليفة عن الأرض الفرنسية في التاريخ المرسوم في شهر نيسان ١٩٦٧ ، وسلك الأميركيون سياسة تختلف تماماً عن سياسة السوفياتيين حيال حلفائهم ، كما سنرى بمناسبة المشكلة التشيكوسلوفاكية . كما أن سقوط المستشار آرهارد ، في ألمانيا ، الذي تلا استقالة أربعة وزراء ليبراليين ، والاستعاضة عنه بالديموقراطي المسيحي كورت كيزينغر ، في تشرين الثاني ١٩٦٦ ، أسهما في تخفيف الشقاق بين فرنسا وألمانيا . وانتقلت وزارة الشؤون الخارجية من شرودر المعادي لفرنسا نسبياً والذي أصبح وزيراً للدفاع ، إلى الاشتراكي فيللي برانت ، عمدة برلين سابقاً ، وفي ٢١ كانون الأول ١٩٦٦ وقع الاتفاق على مرابطة ونظام القوات الفرنسية في ألمانيا . وفي زيارة لكيزينغر

---

(١) الحاسبات الإلكترونية العملاقة هي : (Control Data) .

وبراندت لباريس ، في كانون الثاني ١٩٦٧ ، بدا أن التوتر قد خف بين البلـدين . وصرح المستشار كيزينغر لدى عودته : « للشعبين بواعث جديدة لإقامة علاقـات خاصة . إن فرنسا تريد التعـاون مع ألمـانيـا لأجل طويل . وإن المشـاورة بعون متبادل من أجل علاقاتنا مع جيراننـا الشرقيين ، ومن ضمنهم الاتحـاد السوفيـاتي ، قد تقررت » .

التوتر الفرنسي ـ الأميركي

في حزيران وتموز ١٩٦٦ ، تدهورت العلاقات بين فرنسا والولايـات المتحـدة أيضـاً إثر رحلتين للجنرال دوغـول : كانت الأولى إلى الاتحـاد السـوفيـاتي من ٢١ حزيران إلى الأول من تموز ؛ وكان الجنرال ، مع بقائه حازماً جداً ، وبخاصـة على عدم الاعتراف بالجمهورية الديموقراطية الألمانيـة ، يرى أن التقـارب ممكن مع بلاد الشرق . وكانت رحلته إلى موسكو حارة بصورة خـاصـة ، وأعلن البلاغ النهـائي عن إنشاء لجنة مختلطة فرنسية ـ سوفياتية من أجل التعاون الاقتصـادي والعلمي ، ولا سيما من أجل إطلاق قمر تابع فرنسي على يد الاتحـاد السوفيـاتي . وظن الكثير من الأميركيين بأن القصد كان مقدمة لانعكاس الأحلاف .

والرحلة الثانيـة ، من ٢٥ آب إلى ١٢ أيلول ، ذهب فيهـا الجنرال دوغول إلى جيبوتي ، وأثيوبيا ، وكامبودج (كامبوديا) . وفي هذا البلـد الأخير ، وفي ملعب (فنوم بنـه Phnom - Penh) ، وفي الأول من أيلول ١٩٦٦ ، صرح بشـأن فيتنـام تصريحاً اعتبر بالحال أنه مهين من أميركيين عديدين : بـاعتبـاره أهمل الواقع وهو تسلـل جيـوش شمالي ـ فيتنـام في أرض فيتنـام ـ الجنـوبيـة ، وظهر أنـه ينسب مسؤولية الحرب كلها إلى تدخل أمريكي ، وفضل حياد فيتنـام الجنوبيـة على نسق الحياد الكامبودي . فقد قال للكامبوديين : « عندما توصل بلدكم إلى صيانة جسده وروحـه ، لأنـه بقي سيـداً في بلـده ، رؤي أن السلطـة السيـاسيـة والعسكريـة للولايات المتحدة ترابط بدورها في فيتنام وبنفس الوقت انتعـاش الحرب فيـه ...

لقد اتخذت فرنسا موقفاً ؛ وهو شجب الحوادث الحالية » . وباختصار ، بدا يتهم الأميركيين وحدهم بأنهم مسؤولون عن الحرب الشرسة التي تجتاح الفيتنام .

وفي ١٩٦٧ ، نما التوتر . ففي حرب الأيام الستة بين إسرائيل والبلاد العربية ، في حزيران ١٩٦٧ ، اتخذ الجنرال دوغول ، بعد تفكير ، جانب العرب واتهمه الأميركيون في الوقوف على هذا النحو إلى الجانب السوفياتي . وفي النزاعين الكبيرين اللذين يهزان العالم : الفيتنام والشرق ـ الأوسط ، ابتعد موقف فرنسا عن الموقف الأميركي . واشتدت الأزمة أيضاً في آخر تموز ١٩٦٧ . فقد قام الجنرال دوغول بزيارة لكندا . وباتفاق أبرم بصعوبة مع الحكومة الفدرالية الكندية ، حصل على ترخيص في الوقوف أولاً في كيبيك ومونتريال حيث تسود اللغة الفرنسية . واستقبله جمهور متحمس بجنون ، وذهب الجنرال دوغول كثيراً إلى أبعد من تمجيد الروابط الثقافية بين فرنسا ومستعمرتها القديمة الكندية التي فقدتها في ١٧٦٣ ، وفي ٢٤ تموز ، في مونريال ، في خطاب مرتجل طالب به الجمهور ، أعطى لكلامه طابعاً سياسياً بوضوح : « في هذا المساء . وعلى طول الطريق ، وجدتني في جو كجو التحرير ... إن فرنسا كلها تعلم ، وترى وتفهم كل ما يجري هنا . لتحيا مونريال ـ لتحيا كيبيك ، لتحيا الكيبيك الحرة ، لتحيا كندا الفرنسية ، لتحيا فرنسا » . والتعبير « لتحيا الكيبيك الحرة » ، والتعبير ، « فرنسيو كندا » عوضاً عن « الكنديين الناطقين بالفرنسية » انضما لدعاية الأقلية الاستقلالية في كيبيك . ورأت الحكومة الاتحادية الكندية ، التي يوجهها الليبرالي (ليستر بيرسن Lester Pearson) ، في ذلك تدخلاً في شؤون كندا الداخلية : الظهور بالدفاع عن أنصار الاستقلال لإقليم من أقاليم دولة اتحادية (فدرالية) هو في الواقع عمل يتلاءم قليلاً مع استقلال وسيادة بلد أجنبي . وفي ٢٥ تموز ، نشرت الحكومة الاتحادية بلاغاً وصفت فيه ، بـ (غير مقبولة) ، تصريحات الجنرال دوغول . وكان رد فعل الجنرال مباشراً : ففي الليل من ٢٥ إلى

٢٦ تموز ، عوضاً أن يذهب إلى أوتاوا ، قرر مغادرة مونتريال والعودة مباشرةً إلى فرنسا . وأحدث هذا الخطاب استياءً شديداً ، لاعند معظم الكنديين الناطقين بالإنكليزية فحسب ، بل أيضاً عند البريطانيين ، لأن كندا دومينون إنكليزي ؛ وعند الأميركيين ، الجيران المباشرين للكنديين ، لأنهم لا يتحملون رؤية هذا البلد ينفجر إلى قطع عديدة . وبالمقابل ، استقبل الخطاب على العموم بكل حفاوة الشعب الناطق بالفرنسية في كيبيك ، لأنه دعم مطاليبه لصالح مساواة أتم وأكمل مع الناطقين باللغة الإنكليزية . وحافظ الجنرال دوغول على موقفه ؛ وفي مؤتمره الصحفي ، في ٢٧ تشرين الثاني ، أشاد بإرادة (فرنسيي كيبيك) (بأخذهم شؤونهم على عاتقهم) ، وتكلم عن (تضامن الأسرة ـ المجموعة ـ الفرنسية على جانبي الأطلسي) .

وأخيراً ، في أقصى نهاية سنة ١٩٦٧ ، نشر الجنرال (إيلليره)، رئيس أركان الجيوش الفرنسية في (مجلة الدفاع الوطني) مقالاً بعنوان : (دفاع موجه ودفاع ضد كل عدو محتمل مهما يكن مكانه الجغرافي تحت أي سماء) وصرح الجنرال إيلليره بأنه يتوجب على فرنسا أن تستخدم تسلحها الذري ضد أي خصم . ويبدو أن هذا يدل على أن الخصم المحتمل لم يكن الاتحاد السوفياتي وحده ، ولكن يمكن أن يكون ، على وجه الاحتمال ، الولايات المتحدة نفسها ، ومن جهة أخرى ، ألحق الجنرال إيلليره استخدام جميع الأسلحة باستخدام القنبلة الذرية . وهذا يخالف تماماً استراتيجية الرد المتدرج الذي يفضله الأميركيون .

الهجوم على الدولار

وما أثار ثائرة الأميركيين ربما كان الهجوم الذي قام به الجنرال دوغول ، انطلاقاً من ١٩٦٥ ، ضد النظام النقدي العالمي : نظام (عيار القطع الذهبي) . فقد كانت التجارة الدولية مؤسسة في الواقع على استخدام الذهب كعملة للتبادل

أو عملتين قيمتها بالنسبة للذهب كانت تعتبر ثابتة : الدولار وبصورة ثانوية الجنيه الاسترليني . غير أنه إذا عرف الاقتصاد الأميركي في السنوات الـ ٦٠ ازدهاراً وتوسعاً لم يسمع له مثيل ، فإن النفقات الجسيمة ، التي يتوجب على الأميركيين القيام بها في الخارج لمساعدة البلاد المتخلفة (النامية) ، وإمداد جيوشهم المحتلة ، وحرب فيتنام إلخ ... المختلطة مع تصدير رؤوس أموال المشاريع الأميركية في الخارج أدت منذ ١٩٥٨ إلى خسارة مستمرة للذهب ؛ ففيما كان يوجد ٢٨ مليار دولار ذهبي في الاحتياطيات الأميركية في ١٩٥٧ ، فإن هذا المخزون هبط في ١٩٦٨ إلى ١٤ ملياراً . وإذا ظهر فجأة فقدان ثقة معمم حيال الدولار ، فإن الأميركيين يتصرفون باحتياطيات غير كافية ليدفعوا ذهباً لمن يحوزون على الدولارات . ومن جهة أخرى ، كان الرئيس كينيدي قد قرر ، لتأمين التوسع الاقتصادي بعد دور ركود خفيف ، أن يقدم للكونغرس موازنات عجز مفعمة بإصدار الدولارات . ولما تطابق هذا القرار مع دور استثمارات واسعة في الخارج ، فقد أمكن التفكير بأن هذه الاستثمارات كانت ممولة نوعاً ما بالعجز الأميركي . وأما المبالغ التي لم تدفعها البنوك أو الشركات الكبرى تحت شكل ضرائب ، فقد كانت جاهزة للاستثمار في أوربة . وقد ألقى الجنرال دوغول التبعة على هذا النظام في مؤتمره الصحفي في ٤ شباط ١٩٦٥ بقوله : « إن الظروف ، التي استطاعت في السابق أن تثير عيار القطع الذهبي ، قد تغيرت ... وإن عملات أوربة الغربية قد أصلحت اليوم لدرجة أن مجموع احتياطيات ذهب (الست) يعادل اليوم مجموع احتياطيات الأميركيين ... وهذا يعني بأن الاتفاق ، الذي ينسب إلى الدولار قيمة متسامية كعملة دولية ، لا يعتمد أبداً على أساسه الأولي وهو امتلاك أمريكا لأعظم جزء من ذهب العالم . وعدا ذلك ، إن الواقع في أن عدة دول تقبل من حيث المبدأ دولارات بنفس الصفة التي تكون للذهب ، لتسد ، عند مقتضى الحاجة ، العجز الذي يبديه لصالحها الميزان الأميركي للمدفوعات ، يؤدي بالولايات المتحدة إلى الاستدانة مجاناً حيال الخارج . وفي الواقع ، إن ما يتوجب عليها دفعه له ،

تدفعه له على كل حال جزئياً بدولارات لا يتعلق إصدارها إلا بها عوضاً عن أن تدفعها للدول تماماً بالذهب ذي القيمة الحقيقية » ... « وهذه السهولة الجانبية ، التي تنسب لأمريكا ، تسهم في أن تزيل عن نفسها الفكرة في أن الدولار رمز محايد ودولي في المبادلات ، بينما هو وسيلة اعتماد خاصة بدولة واحدة » .

كان لهذه التصريحات انعكاس عظيم ، لاسيا وأن فرنسا بادرت إلى تحويل جميع الدولارات التي تمتلكها في احتياطياتها إلى ذهب . وصعد سعر الذهب بالنسبة للدولار . وكان رسمياً سعر الأونسه ٣٥ دولاراً ثم صعد حتى ٤٠ دولاراً . وردت الولايات المتحدة جهد المستطاع بكبح هذا الانخفاض في قيمة واقع الدولار ، وبمحاولة التأثير على عجز ميزان مدفوعاتها وعلى خروجاتها من الذهب . فنجم عن ذلك ضائقة ترجع مسؤوليتها دونما شك وبصورة أساسية إلى النظام النقدي العالمي ، ولكن الجنرال دوغول أسهم في شدتها .

وفي الواقع ، إن هذا النضال ضد الدولار كان نضال إناء الخزف ضد إناء الفولاذ . فيكفي الأزمة الداخلية الفرنسية في أيار ـ حزيران ١٩٦٨ لتدمير الثقة بالفرنك تماماً . ومن الجانب الأميركي ، وبعد الإرضاء السطحي لرؤية مشروع الجنرال دوغول المثقل بالحوادث ، انتهت الصحافة بالخوف من رؤية فرنسا تميل إلى المعسكر الآخر إثر ثورة غير متوقعة . إن الهرب أمام الفرنك أدى إلى أزمات كثيرة خفضت بشكل فج القيمة الحقيقية لهذه العملة : كانت الأولى في تموز ١٩٦٨ ، والأخرى في تشرين الثاني . وفي ٢٣ تشرين الثاني ١٩٦٨ ، ظن أن الفرنك ستنخفض قيمته . حتى إن الجنرال دوغول الذي كان قد صرح قبل خمسة عشر يوماً بأن هذا الانخفاض « سيكون عقيماً وغير معقول » قرر في ٢٤ من الشهر الجاري على مرأى من مفاجأة عامة ورضى كبير من الحكومة الأميركية ، بأن الفرنك لن يتحرك . وفرحت الحكومة الأميركية لهذا التدبير ولقرارات التقشف

التي اتخذتها الحكومة الفرنسية . وقدمت مساعدة الحلفاء لفرنسا ، وهذا لم يمنع الهبوط من أن يصبح لا غنى عنه في شهر آب ١٩٦٩ . وعلى الصعيد السياسي الذي يهمنا هنا ، يمكن القول بأن العلاقات الفرنسية ـ الأميركية قد تعكرت بعمق بالهجوم العابث والوهمي للفرنك ضد الدولار ، وبأن التقارب الفرنسي ـ الأميركي لم يرتسم بعد ذهاب الجنرال دوغول ، وإنما من قبل ، عندما فهم الجنرال دوغول بأنه بحاجة للمساندة الأميركية لدعم الفرنك الفرنسي . وهذا لا يعني ، كما سنرى ، أن الرئيس الفرنسي لم يكن مصيباً عندما تنبأ بأزمة الدولار .

بعد مغادرة الجنرال

لقد أثار الاستفتاء الشعبي ، في ٢٧ نيسان ١٩٦٩ غالبية (لا) وقدم الجنرال دوغول استقالته مباشرة . وأعلن خلفه لرئاسة الجمهورية ، جورج بومبيدو ، بأنه سيطبق سياسة استمرار وانفتاح . فهل هذا يعني تغيراً هاماً على صعيد السياسة الدولية ؟ لقد كبح الرئيس الفرنسي الجديد بمقاومة الدوغوليين التقليدية ، واقتصر على بعض التغييرات الطفيفة . ويجدر مع ذلك التنويه بأن وقع العلاقات الفرنسية ـ الأميركية قد تغير بشكل قابل للتثمين في اتجاه الودية . فقد رحب الجنرال برضىً لوصول نيكسون ، في كانون الثاني ١٩٦٩ ، لرئاسة الولايات المتحدة . وكانت البادرة الأساسية بخاصة الدعوة التي طلبتها فرنسا لانعقاد مؤتمر قمة في لاهاي ، في بداية كانون الأول ١٩٦٩ ، لمحاولة انطلاق القضايا الأوربية . ووجدت قضيتان على جدول الأعمال : قبول إنكلترا في السوق المشتركة وتحديد قطعي لتاريخ الأول من كانون الثاني ١٩٧٠ للسوق المشتركة الزراعية . وأوصلت انتخابات ١٩٦٩ في ألمانيا إلى السلطة اتحاد الاشتراكيين ـ الديموقراطيين والليبراليين . وأبعد الحزب الديموقراطي ـ المسيحي عن السلطة لأول مرة منذ عشرين عاماً . وتوصل المستشار الجديد فيللي ـ براندت والرئيس بومبيدو إلى

تسوية تشكل انفتاحاً نحو تنمية توحيد أوربة . فمن جهة تخلى الرئيس بومبيدو عن النقض المطلق للجنرال دوغول لدخول إنكلترا السوق المشتركة ، شريطة أن تتحقق السوق المشتركة الزراعية في الأول من كانون الثاني ١٩٧٠ . وافتتحت مفاوضات مع إنكلترا في ربيع ١٩٧٠ . ومن جهة أخرى ، قبل ڤيللي براندت الإبقاء على بعض تضحيات ألمانيا في تمويل الفوائض الزراعية للسوق المشتركة . وبعد دور طويل من الأزمات اتفق مع إرادة الاستقلال الوطني للجنرال دوغول ، دخلت السوق المشتركة وبالتالي توحيد أوربة بخجل في مرحلة تقدم جديدة .

٢ ـ ضعف المعسكر السوفياتي

وفي نفس السنوات التي بدت فيها المبادرات الدوغولية وابتعاد خطر الحرب تضعف تماسك حلف الأطلسي ، عرف (المعسكر الاشتراكي) هو أيضاً ، هزات خطيرة .

سقوط خروتشوف

لقد أدت سياسة خروتشوف الخارجية إلى أزمات ، ولكن نجاحاتها لم تكن واضحة . ومن جهة أخرى ، لم تحل مشاكل الاتحاد السوفياتي الزراعية . وكان خروتشوف في آن واحد عضو بريزيديوم اللجنة المركزية للحزب الشيوعي ، والأمين الأول لهذه اللجنة المركزية ، ورئيساً لمجلس الوزراء ، وعليه إدارة الحزب والحكومة . وكان نواب ـ الرئيس الثلاثة الأول : أناستاز ميكويان ، أليكسيس كوسيغين ، وأستينوف . وكان البريزيديوم يأمل أن يقدم خروتشوف استقالته ليبقى على رأس الحكومة . ولكنه بقي رغم أنه أسمع بأنه سيغادر . وهذا يوضح (ثورة القصر) التي كان ضحيتها ، في ١٥ تشرين الأول ١٩٦٤ . لقد أخذ عليه ، كما يبدو ، عدم اهتمامه بالمذهب ، والأهمية الشديدة التي يعلقها على صناعة السلع

الاستهلاكية على حساب الصناعة الثقيلة ، وبخاصة مغامرته وميله إلى اتخاذ قرارات غير معقولة . وساعد سقوطه على العودة إلى إدارة جماعية حقيقية . وظهر في البدء أن خمسة رجال انفصلوا : بريجنيف ، أصبح أميناً أول للحزب ، ميكويان وكوسيغين اللذان تكلمنا عنهما ، سوفلوف وبودغورني . أصبح كوسيغين رئيساً للحكومة ؛ بريجنيف كان رئيساً للحزب ؛ وقام بودغورني بدور رئيس الدولة (رئيس مجلس السوفيات الأعلى) . وما لبث ميكويان أن انسحب . وفي المؤتمر الثالث والعشرين للحزب الشيوعي للاتحاد السوفياتي (نيسان ١٩٦٦) ، ظهر أن الإدارة الحقيقية لشؤون الاتحاد السوفياتي كانت تتعلق ببريجنيف وكوسيغين وحدهما . ويبدو أن هذين الرجلين يمثلان اتجاهين مختلفين . كان اتجاه كوسيغين محبذاً لتشديد الانفراج ، واتجاه بريجنيف نحو سياسة أشد صلابة . ويبدو أن بريجنيف يدعمه العسكريون . ولذا كان كوسيغين أكثر تحبيذاً من بريجنيف لنزع الستالينية . وعلى صعيد العلاقات النفسية الدولية ، كان من المؤكد أن نزعة بريجنيف ، التي أدت على سبيل المثال إلى إقامة دعوى على الكتاب والمفكرين وتوقيفهم ، قد لعبت دوراً عظيماً . لأن هذه المحاكات أبقت في العالم كله ، بالرغم من الانفراج الدولي النسبي ، الرأي في أن الاتحاد السوفياتي ظل نظاماً جمعياً شمولياً ، وأن سكانه محرومون من الحريات الابتدائية للمواطنين . وأخيراً ، إن تفوق بريجنيف على كوسيغين تأكد انطلاقاً من ١٩٧٠ . لأن رفض تحرير حياة السوفياتيين ، الذي يميز السياسة الداخلية في الاتحاد السوفياتي ، قد انعكس في علاقاته مع الديموقراطيات الشعبية في أوربة الشرقية .

المشاكل مع رومانيا

ظهرت الأمارات الأولى لها في آب ١٩٦١ أثناء انعقاد (مجلس المساعدة

الاقتصادية المتبادلة) الذي عرفه الغربيون تحت اسم (الكوميكون)[1] . كان خروتشوف منهمكاً في المنافسة الاقتصادية مع البلاد الرأسمالية ، وتوصل إلى فكرة تخصص في الأعمال والمهام بين مختلف البلاد الاشتراكية ؛ ولكن مثل هذا التخصص يناقض فكرة الاستقلال القومي . وفوق ذلك ، يعزز سلطات أكبر الشركاء ، الاتحاد السوفياتي ، ولا يتفق بالضرورة مع مصالح مختلف الأعضاء في المنظومة الاشتراكية . وعلى الصعيد الصناعي ، كانت رومانيا أقل بلاد أوربة الشرقية نمواً . فلم يبلغ إنتاجها الصناعي بالرأس ، في ١٩٦٢ ، إلا ثلث إنتاج الجمهورية الديموقراطية الألمانية . ولم يكن دخلها القومي بالرأس إلا ٤٥ ٪ من دخل تشيكوسلوفاكيا . وإن (التخصص الاشتراكي) يعني أن تظل رومانيا بصورة قطعية بلداً زراعياً أساساً . ولذا فإن اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الروماني حكمت لصالح الاستقلال الاقتصادي وبالتالي السيادة الوطنية . وفي تموز ١٩٦٣ ، في اجتماع جديد للكوميكون ، ربح الرومانيون القضية . وتلاحظ الموازاة مع الحالة الفرنسية . فكما منع الجنرال دوغول إنشاء سلطة فوق قومية (فوقية) ، كانت الحال نفسها بالنسبة للحكومة الرومانية حيال الكوميكون .

وفي تموز ـ آب ١٩٦٣ ، عندما شدد السوفياتيون والصينيون قطيعتهم ، قررت رومانيا أن تحافظ على حياد تام بين موسكو وبكين . وكثفت علاقاتها التجارية مع الصين ، وعقدت علاقاتها من جديد مع ألبانيا المناصرة للصين . وفي شباط ١٩٦٤ ، وفيما كان السوفياتيون يريدون نشر تقرير عن الخلاف مع الصين ويفضلون رداً قوياً ، طلب الرومانيون من الكرملن تأجيل النشر ، وذهب الوزير الأول (مورير) إلى بكين لدى ماوتسه تونغ . وعارض الرومانيون فكرة مؤتمر دولي للأحزاب الشيوعية ، المناصرة للروس ، مخصص لشجب الصينيين . وفي نيسان ١٩٦٤ ، نشرت اللجنة المركزية للحزب إعلاناً حقيقياً باستقلال

(١) الكوميكون : Comecon (مجلس المساعدة الاقتصادية المتبادلة) .

رومانيا : « هذا هو حق السيادة لكل دولة في أن تُعدّ وتختار وتغير أشكال وطرق بنائها الاشتراكي... ولا يمكن أن يكون هنالك حزب أب وحزب ابن ، وحزب أعلى وحزب ملحق ؛ يوجد فقط أسرة كبرى من الأحزاب الشيوعية والعمالية التي لها حقوق متساوية » . ولذا ، ودون اتخاذ إجراء تحرير داخلي ، ابتعد الموجهون الرومانيون تدريجياً عن الاتحاد السوفياتي . وفي أيلول ١٩٦٣ ، أغلقت الحكومة الرومانية معهد مكسيم غوركي ، المركز الأساسي الثقافي السوفياتي في رومانيا . ولم يعد تعليم اللغة الروسية في الواقع إجبارياً . وعاد الرومانيون يتكلمون عن إقليم (البسارابيا) التي ضمها الاتحاد السوفياتي في ١٩٤٠ . وكفَّ تصويت رومانيا ، في الأمم المتحدة ، عن أن يكون منحازاً إلى تصويت الاتحاد السوفياتي . وطرح على بساط البحث خلف (غورجيو دج) ، تشاوشيسكو ، الذي كان في آن واحد أميناً أول للحزب ورئيساً للحكومة : وحدة المعسكر الاشتراكي باسم المصلحة القومية . وعند التدخل الروسي في تشيكوسلوفاكيا ، في ٢١ آب ١٩٦٨ ، الذي سنتكلم عنه فيما يلي ، رفض الرومانيون الإسهام في الغزو إلى جانب الأعضاء الآخرين في ميثاق وارسو ؛ وذهبوا إلى أبعد من ذلك أيضاً ووجهوا لوماً للاتحاد السوفياتي . وكانت القضية معرفة ما إذا كانت رومانيا ، البلد الضعيف الذي له أطول حدود مشتركة مع الاتحاد السوفياتي ، تستطيع الحفاظ على هذا الاستقلال . لقد أعطت مؤشرات عن إرادة الاستقلال بالترحيب في أيار ١٩٦٨ لأول مرة برئيس دولة غربية ، الجنرال دوغول ، وقامت بما هو أهم أيضاً ومن شأنه أن يثير استياء شديداً في الاتحاد السوفياتي ، باستقبالها في آب ١٩٦٩ زيارة الرئيس الأميركي نيكسون .

النزاع مع الصين

لقد درسنا من قبل بدايات هذا النزاع حتى ١٩٦٣ . واشتد هذا النزاع فيما بعد . ولم يؤد سقوط خروتشوف في تشرين الأول ١٩٦٤ إلى أي مهلة انقطاع .

فقد شرع الصينيون يتكلمون عن (الطغمة الرجعية) لكوسيغين وبريجنيف . وانتهوا بوصفهما (قيصرين جديدين) . وتتابع النضال من أجل السيطرة على الأحزاب الشيوعية في العالم كله ، ولكن بنجاح ملحوظ للسوفياتيين ، لأن معظم الأحزاب الشيوعية ظلت محبذة للاتحاد السوفياتي . والأخطر من ذلك كان تعدد حوادث الحدود . وظهرت هذه الحوادث منذ ١٩٦١ ـ ١٩٦٢ على الحدود بين الإقليم الخارجي (سن كيانغ) والاتحاد السوفياتي . فقد حاول ٥٠٠٠٠ (قازاقي) من جنسية صينية العبور إلى الاتحاد السوفياتي نحو قازاكستان السوفياتية . وأغلق الصينيون الحدود وسلكوا سبيل القمع . وثار ٥٠٠٠ مسلم ضد الصينيين في وادي (الإيلي) الذي يتجه مجراه نحو الاتحاد السوفياتي . وانطلاقاً من ١٩٦٣ ، يرى ظهور مطالب رسمية صينية ضد (المعاهدات المتفاوتة) في (آيغون) وبكين التي فرضتها ، في القرن التاسع عشر ، روسيا القيصرية على الصين . وفي ٨ آذار ١٩٦٣ ، ذكرت (جريدة الشعب) في بكين هذه المعاهدات . وفي أيلول من السنة نفسها ، نشب حادث عنيف في محطة (ناووشكي) على الحدود عند مدخل الاتحاد السوفياتي مجيئاً من مونغوليا . وفي ١٠ تموز ١٩٦٤ ، شهر ماوتسه تونغ بتجاوزات الاتحاد السوفياتي الأرضية : « منذ تقريباً مئة عام أصبحت المنطقة ، في شرقي بحيرة بايكال ، أرضاً روسية . ومنذ ذلك الحين كانت فلاديفوستوك ، خاباروفسك ، الكامتشاتكا ومناطق أخرى أراضي سوفياتية . ولم نقدم بعد حسابنا من أجل هذه المجموعة » . ونشر الصينيون في ١٩٦٤ خارطة للأراضي الصينية التي احتكرها (الامبرياليون) . ولا يرى فيها أراض هيالائية تابعة للهند ولبرمانيا (بورما) فحسب ، بل أيضاً الشرق ـ الأقصى السوفياتي في شمال شرقي الصين وجزء عريض لجمهوريات قازاكستان ، وكيرغيز وطاجكستان السوفياتية .

أما بالنسبة للسوفياتيين ، فإن المكاسب التي تمت في القرن التاسع عشر غير

قابلة للتصرف . وفي الواقع ، كان الروس في الأراضي الملحقة بموجب المعاهدات ، والحق يقال المتفاوتة ، لأن الصين كانت في ذلك الحين ضعيفة للغاية بالنسبة لروسيا القيصرية ، قد نظموا الهجرة إليها بصورة منظمة . ولذا فإن أكثرية سكان الأراضي المطالب بها أصبحت روسية . وفي نيسان ١٩٦٦ ، أعلن الرئيس بودغورني عن حرمة (حصانة) حدود الاتحاد السوفياتي .

وفي ١٩٦٦ ، نشبت في الصين (الثورة الثقافية) . وهذه الثورة حادث داخلي ، كان من نتيجته ، في ظروف معقدة ، أن أعيد إلى ماوتسه تونغ كامل سلطاته وحذف سلطات (ليوشاوشي) . فقد استخدم ماوتسه تونغ ضد ليو شاو شي وكوادر الحزب ، من جهة عصبة المراهقين المعروفين تحت اسم (الحراس الحمر) ؛ ومن جهة أخرى ، الجيش الذي انضم قسم متزايد منه إلى مساعده الكبير ، الجنرال (لين بياؤ) . ولا نريد أن ندخل في تفاصيل هذا التاريخ المعقد . وما هو أكيد ، لفترة ، هو أنها ، أي الثورة ، أضعفت بصورة عظيمة نشاط الصين الاقتصادي ، وجعلت من العسير عليها العمل في السياسة الخارجية . ومع ذلك ، فإن الثورة الثقافية لم تغير في شيء العلاقات مع الاتحاد السوفياتي . وصرح موجه صيني بأن مليوناً ونصف المليون من الكيلومترات المربعة من الأراضي الصينية سرقها الروس في القرن التاسع عشر . وأضاف بأن أكثر من ٥٠٠٠ حادث حدود أثارها الروس بين ١٩٦٠ و ١٩٦٨ . وكانت الجنود الصينية تطلق النار على السفن الروسية طوال نهر آمور . وأرسلت تعزيزات سوفياتية إلى الشرق الأقصى قدرها معهد الدراسات الستراتيجية في لندن بـ ١٢ فرقة في الخط الأول و ٥ فرق احتياطي . وكان عند الصينيين ٥٠ فرقة في الشمال ـ الشرقي و ٥٠٠٠٠٠ رجل على الحدود غربي سين كيانغ . وفي ١٩٦٧ ، ظهرت الثورة الثقافية بشتائم وجهت إلى السفير السوفياتي . ونظم الطلاب الصينيون في موسكو ، في ٢٥ كانون الثاني ١٩٦٧ فتنة قمعتها الشرطة وطردوا ، وفي بداية آذار

١٩٦٩ أخذت الحوادث طابعاً مسرحياً ، وربما كان ذلك لأن الصحافة الصينية والسوفياتية تكلمت عنها كثيراً . وطوال نهر (أوسّوري) ، رافد نهر الآمور ، والذي يؤلف حداً بين الإقليم السوفياتي في الشرق الأقصى في الشرق والصين في الغرب ، اشتبك حراس الحدود والجيوش النظامية في البلدين ، مستولين ، ومستعيدين جزيرة دون أهمية ، لأنها فاضت بالماء خلال جزء عظيم من السنة ، ويسميها الروس جزيرة (دامانسكي) . ويؤكد البلدان أن الجزيرة تابعة لهما ويرسلان إليها الجنود موقتاً ، وهذا ما يحض الخصم على الهجوم المعاكس لاستردادها . وتكلم الاتحاد السوفياتي عن (عدوان محرض) و (غارات أشقياء) . واستخدم الصينيون بالضبط اللهجة نفسها وصرحوا أمام تحريضات (قياصرة الكرملن) بأن الصين تعرف كيف تستخدم قدرتها المسلحة وتدافع عن الأرض القومية . وافتتحت مفاوضات في آخر سنة ١٩٦٩ . ومضى كل شيء كما لو أن النزاع الأساسي بين دول كبرى . كان النزاع الروسي ـ الصيني أكثر بكثير من النزاع السوفياتي ـ الأميركي . أما الفكرة القائلة بأن التناقض مستحيل بين البلاد الاشتراكية فقد زالت بالبداهة من التحاليل السياسية. وظهر أن المصلحة القومية ، التي كان الجنرال دوغول يرى فيها عنصراً أقوى من العقائديات كلها ، قد تغلبت في حالة الاتحاد السوفياتي والصين .

بدايات الأزمة التشيكوسلوفاكية

كانت تشيكوسلوفاكيا معتبرة زمناً طويلاً أكثر (توابع) روسيا الستالينية وفاءً . وفي الواقع ، كانت من بين بلاد أوربة الشرقية التي أصبحت تحت النفوذ السوفياتي ، البلد الوحيد الذي عرف ، قبل الحرب العالمية الثانية ، ديموقراطية برلمانية حقيقية وحريات مضمونة . وقد بقي الحنين فيه لهذا النظام حياً شديداً ، بالرغم من أن الغالبية العظمى من السكان لم يكن عندها أي بادرة بالرجوع إلى النظام الرأسمالي . وانطلاقاً من ١٩٦٣ ، أمن الأمين الأول للحزب ، الستاليني

السابق ، نوفوتني ، بعض التحرير . وانتعشت الحياة الفكرية والفنية ، ولكن كان القصد هنا باباً مفتوحاً قليلاً ببساطة ، وأخذت الحركة سعة مغايرة تماماً في ١٩٦٧ . ففي مؤتمر الكتاب ، المنعقد في براغ ، في ٢٨ حزيران ١٩٦٧ ، مباشرة بعد الحرب الإسرائيلية ـ العربية ، انتقد كثيراً من الخطباء علناً سياسة الحكومة . وذكّر بعضهم (الدرجة العليا للديموقراطية والحرية) التي كانت تتمتع بها تشيكوسلوفاكيا قبل الحرب . وباختصار ، يقصد معارضة مفكرين في موضوعات سياسة داخلية لامجال لمصاقبتها هنا . وكان لهذه الحركة انعكاسات خارجية عظيمة . ولم ينجح نوفوتني في كسر معارضة الكتاب . وأكثر من ذلك . في داخل اللجنة المركزية للحزب ، في آخر تشرين الأول ١٩٦٧ ، حدث انقسام بين أحرار ومعادين للأحرار ؛ كان الأحرار يقودهم أمين سر الحزب السلوفاكي (دبشيك) . وتوسعت الحركة التي أطلقها المفكرون في الوسط الطلابي ، وبعد قليل إلى أوساط أخرى ، يدخل فيها العمال . وقدم نوفوتني استقالته كزعيم للحزب ، وخلفه دبشيك في ٥ كانون الثاني ١٩٦٨ . وكان نوفوتني أيضاً رئيساً للجمهورية ، ولكنه أجبر على الاستقالة في آذار وحل محله الجنرال (لودوفيك سفوبودا) ، وكان معاوناً سابقاً لمازاريك وبينيش . وكان دبشيك شيوعياً مؤمناً وموقناً أيضاً بأن النظام الاشتراكي يمكن أن يوجد في جو الحرية الفردية ، وهذا ما يذهب تماماً على نقيض الطريقة المركزية التسلطية والمتكتلة كتلة واحدة في الاتحاد السوفياتي . وعرض المذهب الجديد في نيسان ١٩٦٨ في (برنامج عمل الحزب) . وقبل الحزب تشكيل أحزاب أخرى غير شيوعية وبخاصة تحرير المعلومات الإخبارية : على أن تلغى الرقابة على الصحافة ، وتأمين حق السفر إلى الخارج ، وإعادة الاعتبار إلى ضحايا الاستبداد والتعويض عليهم . وكانت الظاهرة التشيكوسلوفاكية مغايرة تماماً للظاهرة الهونغارية في ١٩٥٦ والظاهرة الرومانية . ففي هونغاريا في ١٩٥٦ شوهد طرد تدريجي للشيوعيين ، على حين أن الموجهين الشيوعيين التشيكوسلوفاكيين هم أنفسهم كانوا البادئين في النضال في

سبيل الحرية .. وفي رومانيا كان الكلام عن تحرير الدولة إزاء الوصاية السوفياتية ، ولكن لم يسمح بأي تحرير في الداخل ، في حين أن تشيكوسلوفاكيا ، مع قيامها بهذا التحرير ، صرحت بأنها وفية تماماً لحلف وارسو .

رد الفعل السوفياتي

كانت التجربة التشيكوسلوفاكية خطرة على السوفياتيين . أولاً ، أنها كانت معدية . ففي حزيران ١٩٦٨ ، كان طلاب وارسو (فارصوفية) وأساتذة وكتاب بولونيون مسحورين بما يسمى (ربيع براغ) وأخذوا مثلاً عن الحوادث الجامعية الفرنسية ، وقاموا بدورهم برد فعل . ولم يتسامح (غومولكا) ، رئيس الحكومة بهذه المظاهرات . وحصلت مشاجرات دامية بين الطلاب والشرطة في جامعة وارسو . وصرح المفكرون والطلاب التشيكوسلوفاكيون بأنهم متضامنون مع ضحايا القمع في بولونيا . ومن جهة أخرى ، إذا ظهر منذ ١٩٥٥ ، أن خروتشوف قبل وجود (طرق مختلفة نحو الاشتراكية) ، فإن هذا التسامح لم يكن إلا نسبياً . ومن الممكن بصعوبة تصور بلد اشتراكي يتصرف بالحرية الداخلية أمام نظام القسر عند جيرانه وبخاصة الاتحاد السوفياتي والجمهورية الديموقراطية الألمانية . لأن الجذب الذي مارسه الاتحاد السوفياتي على الأحزاب الشيوعية ، وعلى شطر من الرأي الأجنبي ، سيتأثر بذلك بشدة . وهنا يوجد حادث معاكس للمذهب وللمصالح القومية في الاتحاد السوفياتي معاً . فقد تغلبت نزعة بريجنيف (القاسية) شيئاً فشيئاً على نزعة كوسيغين ، وأخذ نفوذ العسكريين يظهر بها . وكان الماريشال (غرتشكو) ، وزير الدفاع السوفياتي الجديد يحبذ حذف الهرطقة التشيكوسلوفاكية . واعتقد السوفياتيون أنهم يستطيعون العمل حسب الطريقة التي نجحت في هونغاريا في ١٩٥٦ ، أي إيجاد فريق من الشيوعيين الخلص يحلون محل الشيوعيين الليبراليين من جماعة دبشيك . ولذا صلبوا

موقفهم في تموز ١٩٦٨ . وحجتهم في ذلك أنه كان يوجد تهديد صادر عن (المطالبين بالثأر) في ألمانيا الغربية ، وأن بلاد ميثاق فارصوفيا (وارسو) قادرة في كل مناسبة على التصرف بالأرض التشيكوسلوفاكية لتدفع هذا التهديد . ويجب أن نضيف أن السوفياتيين ، قبل وصول الأحرار إلى السلطة ، قد تسللوا في الشرطة ، وفي الجيش ، وفي الجاسوسية التشيكوسلوفاكية المضادة . ومنذ ربيع براغ ، أبعد كل هؤلاء العملاء . وفي ٢١ آب ، اجتاح الجيش الأحمر وجنود البلاد الأربعة الأخرى في ميثاق وارسو ، بولونيا ، هونغاريا ، ألمانيا الشرقية وبلغاريا ، الأرض التشيكوسلوفاكية (وبعضها كان حاضراً من قبل ، حتى إن دبشيك قبل دون تروٍ أو تبصر مناورات كبرى حليفة في بلده) . وحاصر الروس مقر اللجنة المركزية وأوقفوا دبشيك وبعض الزعماء الآخرين ، إما لتصفيتهم ، وإما لتحل محلهم حكومة محافظة . ولزم لذلك موافقة رئيس الجمهورية ، الجنرال سڤوبودا . غير أن هذا رفض ، وخلافاً لما كان السوفياتيون يرجون ، عندما انعقدت اللجنة المركزية ، نُحّي المناصرون للسوفياتيين (أندرا). وأعلنت اللجنة المركزية بأنها متعاطفة مع دبشيك وبرنامج عمل الحزب . واطرحت كل عودة إلى الظروف الموجودة قبل كانون الثاني ١٩٦٨ . ورفض الصحافيون ، والراديو ، والتلفزيون الانصياع لخدمة المحتل . وظلت شبكة الاتصالات في أيدي الموجهين الأحرار . وظل مجموع الجيش والشرطة وفياً وموالياً لموجهي الحزب . وانعقد مؤتمر فوق العادة للحزب سراً في معمل في براغ ؛ وفي مساء ٢٢ آب ، اضطر بريجنيف أن يسلم للواقع ويتأكد بأن الحالة في تشيكوسلوفاكيا كانت أخطر مما كان يفكر . وعوضاً عن إبدال مباشر للفريق الليبرالي ، بفريق نصير - سوفياتي ، وجب التفاوض .

المفاوضات الروسية - التشيكوسلوفاكية

افتتحت المفاوضة في موسكو ، في ٢٣ آب مع الجنرال سڤوبودا ومع دبشيك

ورفقائه الذين حرروا لهذا الغرض . واضطر السوفياتيون إلى التنازل جزئياً ، وفي اتفاقات موسكو في ٢٥ آب ، قبلوا بقاء الفريق الليبرالي ؛ ولكن هذا الفريق اضطر إلى القيام بتنازلات ووعد بتحديد حركة الحرية (الليبرالية) بشكل عظيم . وعد الموجهون التشيكوسلوفاكيون باتخاذ تدابير تشجع (تعزيز الاشتراكية وحكومة العمال ... بغية الإشراف على وسائل الإعلام لتفيد هذه الوسائل عن سعة قضية الاشتراكية . وهذا يعني على الأقل توطيد بعض الرقابة . وتصور للمستقبل إجلاء السوفياتيين وحلفائهم من تشيكوسلوفاكيا على مراحل . « عندما يجنب التهديد الذي يثقل على الاشتراكية في تشيكوسلوفاكيا » . وفي ١٨ تشرين الأول ١٩٦٨ وقعت (معاهدة بشأن مرابطة مؤقتة للجيوش السوفياتية) وصادق عليها المجلس الوطني التشيكوسلوفاكي . وباختصار ، بقي الموجهون الأحرار في مكانهم ، ولكنهم كانوا مجبرين بسبب التهديد الخارجي واحتلال الجيوش الأجنبية ، على تعديل حركتهم الحرة بقوة . وعندئذ تبنى جزء عريض من السكان موقف المقاومة السلبية .

إن نفوذ العسكريين المتزايد في حكومة موسكو وبخاصة الماريشال غرتشكو ، المدعوم من بريجنيف ، أدى إلى قفزة جديدة في نيسان ١٩٦٩ . وسرت إشاعة مفادها أن انقلاباً عسكرياً مناصراً للسوفياتيين قد أعدّ وأن نفوذ الرئيس سڤوبودا وحده أوقفه . ونجم عن ذلك هياج شعبي أخذ شكلاً عنيفاً إثر حادث طفيف : وهو انتصار فريق لعبة (الهوكي على الجليد) التشيكوسلوفاكي على فريق الاتحاد السوفياتي . وقامت في كل البلاد مظاهرات حماسية ذات طابع ملحوظ معاد للسوفياتيين . وفي هذه المرة ، وتحت نفوذ الماريشال غرتشكو ، وربما أيضاً لأن الجنرال سفوبودا ، رئيس الجمهورية ، أراد تجنب ما هو أسوأ ، قررت اللجنة المركزية الاستعاضة عن دبشيك في موقع الأمين الأول بآخر سلوفاكي معروف بأنه كان ليبرالياً ، (هوزاك) ، وأكثر استعداداً لسياسة تسوية

مع الاتحاد السوفياتي . وفي الأشهر التي تلت ، استعيض أيضاً وبشكل تدريجي عن زعماء آخرين ، وتوصل إلى السلطة فريق ملائم لتوطيد الضغط الفكري وغياب الحرية . وهكذا أغلقت من جديد الحدود التي كانت قد فتحت عن سعة للتشيكوسلوفاكيين .

لم يكن أثر العمل السوفياتي في تشيكوسلوفاكيا عظيماً لدى البلاد الغربية التي عبرت عن استيائها فحسب ، وإنما أيضاً لدى العديد من الأحزاب الشيوعية . وهذه كانت حالة احتجاجات الأحزاب الشيوعية : الإيطالي ، والروماني ، واليوغوسلافي . والحزب الفرنسي نفسه ، المشهور بأنه أطوع المطيعين لموسكو ، ثار على تدخل السوفياتيين العسكري . ويشكل هذا منه تفسيراً فائقاً للعادة بالنسبة لنهجه في الوفاء والولاء في الأربعين السنة السالفة . وفي الحقيقة ، لقد خفف هذا التصريح مضيفاً بأن العلاقات ، على كل حال ، تبقى ودية بين الحزب الشيوعي الفرنسي والاتحاد السوفياتي . وهكذا كانت التوترات ملحوظة أيضاً في داخل (المعسكر الاشتراكي) وربما كانت أعمق مما في داخل المعسكر الغربي .

٣ ـ حرب فيتنام

على خلاف حرب كوريا ، التي نشبت في زمن محدد ، إثر هجوم جيوش تقليدية ، بدأت بشكل تدريجي الحرب التي شنها الأميركيون على الشيوعيين في الفيتنام ، وبعد هدنة ٢٠ تموز ١٩٥٤ التي أنهت الحرب بين فرنسا وألفيت-منه ، دعم الأميركيون حكومة (نغو دينه ديم) في الفيتنام الجنوبية . وفي ٢٣ تشرين الأول ١٩٥٤ ، وعدها الرئيس آيزنهاور بعون أميركي غايته مساعدة فيتنامي الجنوب على إقامة دولة لتعيش . وحذف استفتاء شعبي (باؤ داي) بغالبية عظمى ، وأصبح جنوب ـ فيتنام جمهورية . وفي آذار ١٩٥٦ ، انتخب فيتناميو الجنوب مجلساً من ١٢٣ عضواً . وهكذا اقتصر تعهد الأميركيين على وعد بأن

تعيش الدولة التي تتشكل في جنوب خط العرض ١٧د . فلا الأميركيون ولا الفيتناميون الجنوبيون وقعوا اتفاقات جنيف ، ولا بالتالي قبلوا البند الذي ينص على استفتاء ، بشأن توحيد الفيتنام ، منتظم في الشمال وفي الجنوب في مهلة عامين .

وأثارت بسرعة سياسة ديم ، في جنوب فيتنام ، استياءات شديدة . وباعتباره كاثوليكياً ، كان يميل إلى اعتبار جميع خصومه شيوعيين ، وسجن أحراراً عديدين جداً . وكان قليل التعاطف مع البوذيين رغم أنهم أكثرية . وقاده فكره الطبقي إلى تمييز أعضاء عائلته ، ودخل الكثير منهم في الحكومة . ومن المحتمل أن الاستياءات ، التي أثيرت على هذا النحو ، توضح نمو مقاومة شيوعية أخذت بسرعة شكل تهديم وتخريب . وظهرت الأمارات الأولى لها في ١٩٥٧ . وتوسع التهديم في ١٩٥٩ . وجاء العتاد والرجال المدربون جيداً من فيتنام الشمالية لمساعدة المتمردين الجدد الذين يسميهم الأميركيون (فيت ـ كونغ) والذين أطلقوا على أنفسهم (جبهة التحرير الوطنية) . ومنذ ذلك الحين دخلوا في ورطة . وفي بداية رئاسة كينيدي ، في كانون الثاني ١٩٦١ ، اكتفت الحكومة الأميركية بزيادة بضع مئات من الرجال عدد (المستشارين العسكريين) الذين كانوا قد أرسلوا منذ ١٩٥٤ إلى فيتنام الجنوبية . ولم يسمح لهم من حيث المبدأ بالقتال بأنفسهم . ولكن الرئيس كينيدي كان موقناً بأن الصين كانت تشجع فيتنام الشمالية وتخلق على هذا النحو تهديداً كبيراً في جنوب ـ شرقي آسيا . ولهذا زاد الالتزامات الأميركية . وفي خريف ١٩٦١ ، قرر أن يزيد بصورة عظيمة أعداد (المستشارين العسكريين) الذين بلغوا ٨٥٠٠٠ رجل في سياق السنوات الثلاث التالية . وأدركت الحكومة الأميركية اللاشعبية المتزايدة لحكومة ديم وكفت عن دعمه . وهذا ما ساعد المعارضين على القيام بانقلاب في تشرين الثاني ١٩٦٣ . وفي الأول من هذا الشهر قتل ديم وأخوه (نغو دينه نهو) . وتشكلت حكومة مؤقتة ، ولكن السلطة تنقصها ، وكانت الحالة مضطربة وغامضة خلال ثمانية عشر شهراً .

اتساع الحرب في رئاسة جونسون

كان الرئيس جونسون مقتنعاً بلزوم منع فيتنام الجنوبية من السقوط في أيدي الشيوعيين ، فقرر دفع الثمن . وفي ٧ آب ١٩٦٤ ، أحرز موافقة الكونغرس بالأكثرية الساحقة على قرار وضع كما يلي : « إن الولايات المتحدة تعتبر أن من الحيوي لمصلحتها القومية ولسلام العالم بأن يحافظ على السلام والأمن في جنوب - شرقي آسيا .. وإذن فالولايات - المتحدة مستعدة ، في الحد الذي يقرر فيه الرئيس اتخاذ كل الإجراءات الضرورية ومن ضمنها اللجوء إلى قوة الأسلحة ، لمساعدة كل عضو أو كل دولة مشاركة في بروتوكول معاهدة الدفاع الجماعي في جنوب - شرقي آسيا تطلب مساعدتها للدفاع عن حريتها » . وهذا يعني أن الأميركيين يدعمون حلفاءهم في منظمة معاهدة (جنوب - شرقي آسيا O. T. A. S. E.) وفيتنام الجنوبية . ولن يكون تدخلهم بواسطة (المستشارين العسكريين) ، وإنما بالتدخل العسكري المباشر . وما فتئت أعداد الجنود الأميركيين في ازدياد حتى تجاوزت ٥٠٠٠٠٠ رجل في ١٩٦٨ . وطاف الأسطول السابع الأميركي في خليج تونكن حيث حدثت صدامات مع سفن فيتنام الشمالية . وفي كانون الثاني ١٩٦٥ ، كان يقدر في واشنطون بـ ١٠٠٠٠ رجل أعداد الفيتناميين الشماليين الذين تسللوا إلى فيتنام الجنوبية .

وفي ٧ و ٨ شباط ١٩٦٥ ، تتابع (التصعيد) بواقع القرار الذي اتخذه الرئيس جونسون بقصف أهداف ، من حيث المبدأ ، عسكرية في فيتنام الشمالية . وكان الأميركيون بهذا القصف يأملون بإخضاع إرادة حكومة هانوي ، على ألا يتجاوز الجيش البري خط العرض ١٧° ، ولكن أن يسحق التمرد في فيتنام الجنوبية بمساعدة قوات فيتنام الجنوبية المتزايدة العدد .

ولم يتوج هذا التاكتيك بنجاح . ومن جهة أخرى ، إن الجمهورية الديموقراطية في فيتنام الشمالية ، بالرغم من تخريب مدنها ومعامل عديدة كثفت

مجهودها العسكري . وتلقت تسلحاً سوفياتياً هاماً وعدة نجدات صينية وبخاصة مؤن ، وعتاد وأسلحة خفيفة . ومن الممكن القول بالعكس ، إن القصف الستراتيجي الأميركي عزز معنويات سكان فيتنام ـ الشمالية . وفي فيتنام الجنوبية ، بالرغم من تزايد أعداد الجنود الأميركية واستخدام عتاد عظيم ، لم تنجح الجيوش الأميركية في حذف (جبهة التحرير الوطنية) . فقد غذتها فيتنام الشمالية بالأسلحة وبالجنود . والاتحاد السوفياتي الذي كان قد دعم المقاومة الشيوعية الفيتنامية بشكل رخو حتى ١٩٦٥ ، تعهد بتسليم العتاد بشكل أوسع بكثير . واحتج السوفياتيون بقوة ضد القصف . وقام كوسيغين برحلة إلى هانوي . أما الصين الشيوعية ، فقد اتهمت الولايات المتحدة بالعدوان على الجمهورية الديموقراطية في الفيتنام ، وصرحت بأن هذا العدوان يهم الصين مباشرة وهددت بالتدخل .

وفي السنوات التالية الثلاث تورطت الحالة في صعوبات لا يمكن التغلب عليها . ووجدت عدة اقتراحات للمساعي الحميدة . وجرت محادثات ولا سيا في تموز ١٩٦٥ بين رسول الرئيس جونسون ، (أفيريل هاريمان) وكوسيغين . وفي تموز صرح الرئيس جونسون : « يعتقد الشيوعيون بأننا خسرنا ، ويعتقدون أنهم يستطيعون طردنا . لقد حاولت ثلاثة عشر هجوماً للسلام لدفعهم للمفاوضة . ولكن لا ! يجب علينا أن نثبت أو نغادر . وسنعمل ما يلزم . وسنحاول تخفيف خسائرنا إلى الحد الأدنى وممارسة الحد الأعظم من التماسك ، ولكن من المستحيل علينا بكل بساطة أن نغادر » . وكانت فيتنام الشمالية و (جبهة التحرير الوطنية F. N. L.) تريان بأن الإعياء سينتهي بالوصول إلى الأميركيين وبزعزعة الرأي الأميركي وبهذه الطريقة بإرادة الحكومة . ولذا اكتفتا بالتصريح في نيسان ١٩٦٥ بأن التفاوض بالسلام لن يكون ممكناً إلا بالشروط الأربعة التالية : استقلال ووحدة فيتنام ، مع انسحاب القوات الأميركية ، امتناع فيتنام الشمالية وفيتنام الجنوبية عن المشاركة في حلف عسكري مع بلد أجنبي ، تسوية شؤون فيتنام

الجنوبية بشعب هذا البلد ، إعادة توحيد فيتنام بواسطة طرق سلمية من قبل شعب المنطقتين دون تدخل أجنبي . وجاءت مشكلة إضافية وانضافت انطلاقاً من ١٩٦٦ : ثورة البوذيين على حكومة فيتنام الجنوبية . فعلى خمسة عشر مليون نسمة ، تضم فيتنام الجنوبية ٢,٥ مليون كاثوليكي ، منهم ٩٠٠٠٠٠ لاجئ شمالي . ويوجد نحو ١٠,٥ مليون بوذي ، و ٢ مليون صيني ، وأعضاء أقليات عرقية . ومل البوذيون من عدم استقرار الحكومات المتتابعة ، ودون أن يكونوا محايدين بحق ، طالبوا بإصرار متزايد سلاماً مبنياً على التفاوض لا على القوة . وذهب بعض البوذيين حتى أحرقوا أنفسهم أحياء ليعرفوا العالم بعاطفتهم لصالح السلام . ومع ذلك فقد تتابع (التصعيد) . وفي تموز ١٩٦٦ ، امتد القصف الأميركي حتى القرب من هانوي و (هايفونغ) . وجرت انتخابات في فيتنام الجنوبية حيث كانت السلطة بصورة أساسية بيد الجنرال (كي) . وأعلنت السلطات في ١١ أيلول ١٩٦٦ أن ٨٠ ٪ من المسجلين قد صوتوا . وفي الواقع لم يكن الكلام إلا عن مناطق غير خاضعة لسيطرة الفيت ـ كونغ . وفي آب ١٩٦٧ ، أعلن الرئيس جونسون أن أعداد العسكريين الأميركيين في فيتنام ستصل إلى ٥٢٥٠٠٠ رجل في مهلة عام . وفي ذلك الحين ، كانت الحكومة الأميركية تقدر أن أكثر من ٥٠٠٠٠ فيتنامي شمالي يقاتلون في جنوب خط العرض ١٧° ، معززين ، على هذا النحو ، قوات الفيت ـ كونغ التي يقدر عددها نحو ٢٠٠٠٠٠ رجل . إذن لقد أصبح الكلام منذ الآن عن حرب عظيمة السعة : خليط من حرب عصابات ومعارك منظمة ، هدامة وتقليدية معاً .

هجوم تيت(١)

حتى ١٩٦٨ ، وجدت معارك استنزاف (بنايم ، يادرانغ ، داكتو)(٢) ،

(١) تيت : Têt .

(٢) بنايم : Pneime ، يادرانغ : Iadrang ، داكتو : Dakto .

ولكن قوات جبهة التحرير الوطنية كانت ، في جميع هـذه المعـارك ، تتفرق بعـد الهجوم . ولـذلـك أعلن العسكريون الأميركيـون عن تفـاؤل نسبي . وكان الجنرال (وستمورلانـد)[١] يطـالب بـ ٢٠٠٠٠٠ رجل نجـدة (للوصول إلى حـل) . ورأى (البنتاغون = وزارة الدفاع وأركان الجيش الأميركي) أن مدن فيتنام الجنوبيـة لم تكن مهددة وأن حرب العصابات متمركزة في الأريـاف . ويبـدو أن انتخـابـات أيلول ١٩٦٧ عززت نظام فيتنـام الجنوبيـة ، وفي تشرين الثـاني ، حـاول الرئيس جونسون سراً أن يقنع الجنرالين (ثيو ، وكي) القيام بمفاوضات مبـاشرة مع جبهـة التحرير الوطنيـة . غير أن موجهي فيتنـام الجنوبيـة رفضـوا هـذا الاقتراح . أمـا جبهة التحرير الوطنية ، في مؤتمر فوق العادة ، في آب ١٩٦٧ ، فقد تبنت برنامجـاً جديداً تعهدت فيه بأن تناضل حتى النهاية ضـد (العـدوان الأجنبي) . ووجهت نداءً خاصاً إلى سكان المدن . وفي غضون ذلك ، وبمفاجـأة تـامـة للأميركيين ، في ٣١ كانون الثاني ١٩٦٨ ، نشب (هجوم تيت = العام الفيتنـامي الجـديـد) . لقـد هوجمت أكثر من مئة مدينـة أو قـاعـدة معـاً ، وأحيـانـاً احتلتهـا جبهـة التحرير الوطنية خلال عدة ساعـات . وفي سـايغون ، أوغل الثوار حتى وسـط المـدينـة ، وبلغوا السفارة الأميركية . وفي (شولون) ساعد قصف المدينة وحده بالطـائرات على زحزحة أنصار جبهة التحرير الوطنية . وفي (هويه) ، العـاصمـة القـديمـة ، احتلت جبهة التحرير الوطنية المدينة ثم انطوت إلى القلعـة حيث دعمت حصـاراً دام ٢٦ يوماً . وقصفت عدة مدن ، ومنهـا سـايغون ، بمـدافع الهـاون والصواريخ وحوصرت قاعدة (خيه سانه) على حدود لاؤس . وباختصار لم يدل هجوم تيت على أن المدن كانت في معصم من جبهة التحرير الوطنية فحسب ، وإنمـا أيضـاً ردّ القوات الأميركية إلى الدفاع . وأن هذا الهجوم وإن لم يعط جبهة التحرير الوطني نجاحـاً حـاسماً ، فقـد ألف دون منـازع منعطفـاً للحرب . فقـد استـدعي الجنرال

(١) وستمورلاند : Westmoreland .

وستمورلانـد إلى واشنطون وحل محلـه الجنرال (أبرامـز) وهـو يعتبر أكثر واقعيـة وأكثر حساً بالمشاكل القصوى لحالـة عسكريـة لاتساعـد مطلقـاً على تصور النصر كاحتال قابل أو قريب من الصدق أو الصحة .

افتتاح المفاوضات

من الجانب الأميركي ، يشاهد منذ ١٩٦٨ مقاومة متزايـدة من جزء من الرأي لاستمرار الحرب . لقـد كان بعض المعـارضين مـأخـوذين بـاعتبـارات معنـويــة ، وآخرون ، باعتبارات مالية ؛ إن عجز ميزان المدفوعات الأميركية وضعف الدولار في ١٩٦٨ كانا مرتبطين جزئياً بالنفقات العظيمة التي اقتضتها حرب فيتنـام . فعلى موازنة عسكرية من ٧٥ مليـار دولار تقريبـاً ، كانت حرب فيتنـام تكلف ٢٥ إلى ٢٧ مليار . وخلف (كلارك كليفورد) العضو الهـام في (مجلس الأمن القومي) ، في الأول من آذار ١٩٦٨ ، روبرت ماك نامارا وزيراً للدفـاع . لقـد رأى كليفورد أن النصر العسكري أصبـح منــذ الآن مستحيـلاً . ودفـع الرئيس جـونســون لأن يتحول عن (تصعيد جديد) ، حتى إنه نصح بوقف مبـاشر للقصف ، وهـذا مـالم يقبلـه جونسون مبـاشرةً . وفي ٣١ آذار ، في خطـاب متلفز مؤثر ، أعلن جونسون وقفـاً جزئيـاً للقصف الـذي يستمر مـع ذلـك بين ١٧° و ١٩° خـط عرض ، ولكن لا إلى شمال هذا الخط الأخير . وبوسطاء ، أعلمت حكومة هـانوي الأميركيين بـأن القصف إذا كان غير مشروط وحاسم ، فمن الممكن القيام بمحادثات . وفي ٣ نيسان ١٩٦٨ ، قبلت حكومـة هـانوي مبـدأ المحـادثـات المبـاشرة مع الـولايـات المتحـدة (لتحـديـد ظروف توقف كلي وغير مشروط للقصف ... ضـد جمهـوريـة فيتنـام الديموقراطية) . وفي ٣٠ نيسان أعلن أن المحادثات التمهيدية ستبـدأ في بـاريس في ١٠ أيـار . وعين السفير (أفيريـل هـاريمـان) رئيســاً للـوفــد الأميركي ، ووزير الدولة (كسوان ثوي) رئيساً لوفد الجمهورية الديموقراطية لفيتنام الشمالية .

وبالإجمال ، يمكن أن يفهم أن المحادثات ستكون بطيئة للغاية . فقد قبل الأميركيون كأساس اتفاقات جنيف لعام ١٩٥٤ ، ولكنهم لاحظوا بأن نتيجتها استقرار حدود خط عرض ١٧° مع منطقة محايدة بين الشمال والجنوب . وأن إعادة التوحيد لن تحصل إلا إذا قبلها الجنوب . واتخذ الفيتناميون الشماليون أساساً لهم أيضاً اتفاقات جنيف ، ولكن على اعتبار أن خط العرض ١٧° لم يكن إلا خطاً عسكرياً موقتاً وأن الأساسي كان « الاعتراف بالاستقلال » وبالسيادة ، وبسلامة (تمامية) فيتنام القومية . وكان قصدهم الحصول على مغادرة الأميركيين ، ثم العودة إلى اتفاقات جنيف التي يعتبرونها بأنها أفضل وسيلة للحصول بسرعة على توحيد فيتنام . وكان المؤشر الوحيد والهام للانفراج ندرة العمليات العسكرية التي تحركها جبهة التحرير الوطني أثناء صيف ١٩٦٨ كله . وقد تخلت في ٩ تموز عن قاعدة (خيه سانه) التي حاصرتها منذ عدة أشهر . ولم يلجم الأميركيون في محاولة التفاوض بأنصار النصر (الصقور) العديدين في أوساط البنتاغون وعند بعض أعضاء الكونغرس فحسب ، وإنما أيضاً بحزم موجهي فيتنام الجنوبية . وفي ٢٠ تموز ١٩٦٨ التقى الرئيس جونسون بالجنرال (ثيو) في هونولولو ، وأصر ثيو على استمرار القصف . وكان يعول كثيراً على رحلة كان على الرئيس جونسون أن يقوم بها إلى موسكو ، ولكن غزو السوفياتيين لتشيكوسلوفاكيا جعلها مستحيلة .

وتحققت خطوة جديدة إلى الأمام ، خجلى جداً أيضاً ، عندما قبل موجهو هانوي حضور ممثلي حكومة فيتنام الجنوبية التي كانوا يعتبرونها حكومة تستمد سلطتها من دولة أجنبية . وفي هذه الظروف ، في ٣١ تشرين الأول ، قبل بضعة أيام من الانتخابات العامة الأميركية التي رفض الرئيس جونسون أن يمثل نفسه فيها ، أعلن إيقاف القصف كلياً على فيتنام الشمالية . ولكن ، في انتخابات ٥ تشرين الثاني ، انتخب المرشح الجمهوري ريشارد نيكسون . وكان قد أسمع أثناء حملته الانتخابية كلها بأنه وحده القادر على الإتيان بالسلام إلى فيتنام ، سلام

بشرف ، تمسك به أميركيون عديدون جداً واعون للواقع بأن بلدهم لم يلق أبداً هزيمة حتى الآن . وبعد الكثير من المقاومة ، قبلت حكومة سايغون أن ترسل وفداً إلى باريس ، تحت إدارة نائب الرئيس (نغوين كاؤكي) . ولم تقبل فيتنام الشمالية حضور ممثلي سايغون إلا بشرط أن يكون أيضاً في مؤتمر باريس ممثلون عن جبهة التحرير الوطني متميزون عن ممثليها الخاصين . وأثار هذا الأمر مشاكل بروتوكول (تشريفات) دقيقة لعب فيها شكل مائدة المؤتمرات دوراً كبيراً . وفي ١٦ كانون الثاني ١٩٦٩ ، أبرم أخيراً اتفاق على هذا النقطة ، وافتتح مؤتمر باريس بشأن فيتنام بمشاركة أربعة وفود : الأميركيون ، وفيتناميو الجنوب من جهة ، والفيتناميون الشماليون وجبهة التحرير الوطني من جهة أخرى .

وسنرى فيما يأتي كيف أدخل نيكسون في المفاوضة معطيات جديدة . ومع ذلك لزمه أربعة أعوام لبلوغ وقف إطلاق النار .

الفصل الثالث

العالم الثالث
في العلاقات الدولية
من ١٩٦٢ إلى ١٩٧٣

ليس العالم الثالث مجموع البلاد التي نزع عنها الاستعمار : لقد كان البلد الأول ، الولايات المتحدة الأميركية ، في ١٧٧٦ ، وهي اليوم أكبر دولة في العالم . وكان الثاني ، في الطرف الأقصى الآخر لسلم الثروات ، جمهورية هاييتي الصغيرة السوداء ـ في الواقع منذ ١٧٩٤ ـ التي هي اليوم من أفقر بلاد العالم . وأمريكا اللاتينية حصلت على استقلالها في الثلث الأول من القرن التاسع عشر ، ما عدا كوبا في ١٨٩٨ ، والبلاد الصغيرة ـ جزر الأنتيل بخاصة ـ بعد ١٩٦٠ . وحدث الخلاص من الاستعمار في الشرق الأوسط بين ١٩٣٠ و ١٩٤٦ ، باستثناء إمارات الخليج العربي الصغيرة (بعد ١٩٦٠) ، واليمن الجنوبية (عدن) . وانتهى نزع الاستعمار عن جنوب ـ شرقي آسيا في ١٩٥٧ مع استقلال ماليزيا . وفي إفريقية جاء متأخراً وبدأ في ١٩٥٧ مع غانا (شاطئ الذهب سابقاً) وكان متقدماً بشكل عريض في ١٩٦٤ .

إن التخلف صفة مميزة وعامة كثيراً . وفي الحقيقة ، إن للكويت ، بفضل البترول ، مورداً متوسطاً ، بالنسبة للفرد من السكان ، أعلى من مورد الولايات المتحدة . ولكن التنمية ، هي أيضاً ، القدرة على السيطرة التقنية (التكنولوجيا) . وهذا يفترض استثماراً فكرياً عظيماً . وليس هذا هنا مسألة

ذكاء ، ولا مسألة قدم أو إشراق ثقافة قومية . إذ يوجد دوماً ٣٢ بلداً متقدماً تمثل ٣٠ ٪ من سكان العالم وتنتج ٨٠ ٪ من عناوين الكتب المطبوعة (پول بالتا) .

والتخلف في داخل (العالم الثالث) متفاوت جداً . وإذا تتبعنا مقياس (ڤالت روستوف) ، يمكن القول بأن عدداً من هذه البلاد في طريق (الخروج من التخلف) ، (مثل البرازيل والهند) ، على حين أن بلاداً أخرى ما زالت بعد شبه جامدة . وحالة الهند خاصة : فالمورد بالرأس فيها ضعيف جداً بسبب سعة السكان . ولكن القدرة التكنولوجية توجد فيها . ففي زمن قليل ، استطاعت الهند أن تنتج قنبلة ذرية (وهذا ما فعلته في ١٩٧٦) على حين أن الكويت ، التي دخل الفرد فيها أعلى بـ ٣٠ مرة بالرأس ، غير قادرة على صنعها حتى ولو رغبت في ذلك .

١ ـ قضايا العالم الثالث : الأحلاف والتجمعات

عدم الانحياز

في العام ١٩٧٣ ، كانت الأمم المتحدة تضم ١٣٥ عضواً ، عضوان منهم اسميان ، أكرانيا وروسيا البيضاء ، وهذا يعني ١٣٣ دولة مستقلة . وانطلق السكان من ٧٥٠ مليون (في الصين) إلى أقل من ١٠٠٠٠٠ (في تونغا)[١] . ومساحة الاتحاد السوفياتي الواسع والبرازيل والصين والولايات المتحدة ليست على مقياس مشترك مع مساحة مالطا ، وجزيرة موريس أو سنغافورة . والدول المتشكلة ، التي لا تؤلف جزءاً من الأمم المتحدة ، هي سويسرا ، الكوريتان ، الفيتنامان ، فورموزا ، التي أبعدت عنها ، وروديسيا الجنوبية التي لم يعترف بها على الصعيد الدولي ، والبنغلادش التي اصطدمت بالنقض الصيني ، أي ٨ دول . لقد كان العالم

---

(١) تونغا Tonga أو جزر الأصدقاء ، أرخبيل بولينيزيا . مملكة متحدة تحت الحماية البريطانية .

يتألف إذن ، في ١٩٧٣ ، من ١٤١ دولة مستقلة ، دون حساب الكيانات الصغيرة مثل : موناكو ، آندورا ، سان مارتن ، لشتنشتاين ، الفاتيكان .

وعلى هذا الرقم يضم « المعسكر الغربي » ، (الحلفاء الفعليين للولايات المتحدة باستثناء أمريكا اللاتينية ، بالرغم من ميثاق ريو) : عضوين في أمريكا (الولايات المتحدة وكندا) ، ١٤ في أوربة (أعضاء ميثاق الأطلسي وإسبانيا) ، ٢ في أوقيانوسيا (أوستراليا وزيلانده الجديدة) ، ٧ في آسيا (كوريا الجنوبية ، اليابان ، فورموزا ، الفيليبين ، تايلاند ، باكستان ـ ويجب أن يضاف لها فيتنام الجنوبية) ، وما من دولة في إفريقية ، أي إن المجموع ٢٥ . و « المعسكر الاشتراكي » يضم بصورة أصلية الاتحاد السوفياتي و ٦ بلاد أوربية . ويجب أن نضيف لها ألبانيا المرتبطة بالصين . وفي آسيا ، كان يوجد ٤ بلاد اشتراكية (مونغوليا الخارجية ، كوريا الشمالية ، فيتنام الشمالية والصين) أي أن المجموع ١٢

أمام هذه الـ ٣٧ بلداً ملتزماً ، نجد مبدئياً ١٠٤ بلاد « محايدة » ، (وأيضاً كوبا واليمن الجنوبي مرتبطان عن قرب بالمعسكر الاشتراكي) . ويمكن حذف إفريقية الجنوبية ، وروديسيا الجنوبية والبلاد الأوربية الغربية المحايدة : إيرلاندا ، السويد ، النمسا ، سويسرا . وفنلاندا ، الديموقراطية من النموذج الغربي كانت مرتبطة بمعاهدة مع الاتحاد السوفياتي . ويوغوسلافيا ، الوحيدة التي رفضت أن تقول عن نفسها (محايدة) ، كانت تنتمي إلى فريق (غير المنحازين) . حتى إنها كانت ، في ١٩٥٤ ، المبادهة بالحركة التي ضمت ، في التاريخ الذي نحن فيه أكثر من ٩٠ دولة .

مؤتمر بلغراد ١٩٦١

في بلغراد انعقد المؤتمر الأول للبلاد غير المنحازة ، من الفاتح حتى ٦ أيلول ١٩٦١ . لقد أطلق الدعوة تيتو ، جمال عبد الناصر ، ونهرو . وعدا يوغوسلافيا

والهند والجمهورية العربية المتحدة ، اشترك فيه ٦ بلاد من جنوب شرقي آسيا (أفغانستان ، برمانيا ، كامبوديا ، سيلان ، أندونيسيا ونيپال) ، ٥ بلاد من الشرق ـ الأوسط (العربية السعودية ، قبرص ، العراق ، لبنان ، اليمن) ، بلاد إفريقية الشمالية الثلاثة (المملكة المغربية ، تونس ، الجزائر) ، ٧ بلاد إفريقية في جنوب الصحراء الكبرى (الكونغو ، أثيوبيا ، غانا ، غينة ، الصومال ، السودان) ، بلد من أمريكا اللاتينية (كوبا) ، وكثير من المراقبين من بوليفيا ، البرازيل ، الاكواتور . إذن وجد ٢٥ مشاركاً . ولم يدع للمؤتمر أعضاء منظمة معاهدة جنوب ـ شرقي آسيا ، ولاماليزيا ، لأن سنغافورة ، التي لم تنفصل إلا في العام ١٩٦٦ ، بقيت قاعدة غربية ومن باب أولى (فيتنام الجنوبية ، كوريا الجنوبية ، وفورموزا) ، حلفاء الولايات المتحدة ، وكوريا الشمالية والفيتنام الشمالية اللتان تؤلفان جزءاً من المعسكر الاشتراكي ، اللاؤس التي تعتبر حكومتها نصيراً غربياً . وكذلك في الشرق الأوسط ، الأردن ، المعتبرة متأثرة كثيراً بالأميركيين . وكذلك ليبيا التي خولت الأميركيين إعارة قاعدة أرض هويلس . وتجدر الإشارة إلى أن الانقلاب الليبي في ١٩٦٩ الذي قلب الملك إدريس السنوسي ، صف ليبيا في معسكر المحايدين ، لأنها طلبت جلاء القواعد الأميركية والبريطانية . ولم يدع أي من البلاد الناطقة بالفرنسية والمرتبطة بفرنسا باتفاقات تعاون .

ضم المؤتمر شخصيات عظيمة : هيلاسيلاسي أمبراطور الحبشة . والحسن الثاني ، ملك المملكة المغربية الذي خلف والده الملك محمد الخامس ، وملك نيپال ، ونورودم سيهانوك أمير كامبوديا ، والأسقف مكاريوس رئيس دولة قبرص ، ون ، كروما رئيس غانا ، وسيكوتوريه رئيس غينة ، وسوكارنو ، رئيس أندونيسيا ، موديبوكيتا ، رئيس مالي ، الحبيب بورقيبة رئيس الجمهورية

التونسية (الذي حصل من قريب على انسحاب الفرنسيين من بنزرت) ، وبالبداهة جمال عبد الناصر ، نهرو وتيتو . ولم يعط مؤتمر بلغراد نتائج كبرى محسوسة . ولم يمكن تشكيل (كتلة) غير ـ منحازين ، وهذا يناقض مبدأ عدم الانحياز نفسه . كان الهدف الأساسي نفسياً . وهذا يعني إقناع البلاد التي لم تدع إلى انفراج روابطها مع إحدى الكتلتين ، وتوجب فيما بعد التأثير على الدول الكبرى ؛ وكما قال تيتو : « إن هذا الاجتماع يقترح أن يؤدي بالدول الكبرى إلى النظر بأنها لا تستطيع أبداً الإمساك بين أيديها وحدها مصير العالم » . وكان أيضاً فرصة للمشاركة ضد (الاستعمار الجديد) الذي أحل القهر الاقتصادي محل القهر السياسي المباشر . وأرسلت (رسالة سلام) إلى الرئيس كينيدي حملها إليه سوكارنو وموديبوكيتا ، وإلى خروتشوف حملها إليه نهرو و ن ، كروما . وفي الواقع ، لم يرض الكبيران عن هذا المؤتمر . فقد انتخب خروتشوف اليوم الذي افتتح فيه المؤتمر لاستئناف سلسلة تجارب نووية في الجو ، دالاً بذلك على أنه لا يكفي بالنسبة للدول الكبرى أن يكون محبوباً ، بل يجب أيضاً أن يكون مهاباً . وكان رد فعل أعضاء المؤتمر حيال هذه التفجيرات السوفياتية منقسمة جداً . فمن ذلك أن بلاداً عديدة : مثل سيلان ، أندونيسيا ، العراق ، غينة ، المملكة المغربية ، الجزائر ، رفضت كل تفسير وتوسيع . واكتفت بلاد أخرى بشجب غامض للتجارب النووية عموماً (برمانيا ، أثيوبيا ، العربية السعودية ، السودان ، اليمن) . أو ، مثل تونس ، شجبت على صعيد واحد الاتحاد السوفياتي وفرنسا التي فجرت حديثاً قنابل في أرض إفريقية (في ريغّان ، في الصحراء الجزائرية) . وعبر لبنان ويوغوسلافيا عن دهشتها . والشجب الرسمي الوحيد جاء من أفغانستان التي صرحت بأنها (صدمت بعمق) ومن غانا وقبرص ، والهند ، حيث صرح نهرو بأن الخطر العالمي قد زاد بالقرار السوفياتي في عودة التجارب النووية ، ومن مالي ، والصومال ، وبخاصة من مصر .

مؤتمرات القاهرة (١٩٦٤) ، ولوساكا (١٩٧٠) والجزائر (١٩٧٣)

قرر اللامنحازون متابعة عملهم ، ولكن مع زيادة قليل من التسامح فيما يتعلق بمبدأ (عدم الانحياز) . وفي مؤتمر القاهرة (٥ ـ ١٠ تشرين الأول ١٩٦٤) انضم إلى الـ ٢٥ مشاركاً في بلغراد ٢١ دولة أخرى : ١٨ إفريقية ، وفوق ذلك الأردن ، سورية والكويت . وأرسلت عشرة بلاد مراقبين : ٩ أميركية لاتينية وفنلاندا .

وفي المؤتمر الثالث ، في لوساكا ، في زامبيا (٨ ـ ١٠ أيلول ١٩٧٠) ، وجد ٥٤ مشاركاً عوضاً عن ٤٦ . خمسة مشاركين من هؤلاء الأواخر رفضوا الدعوة (العربية السعودية ، برمانيا ، كامبوديا ، داهومي ، مالاوي) . ولكن وجد ١٣ آتياً جديداً : ٧ دول إفريقية ؛ ومن آسيا ، ماليزيا ، سنغافورة ، اليمن الجنوبي ؛ ومن أمريكا لم تشارك أي من الدول القديمة ، ولكن بالمقابل غوايانا ، جامايكا وترينيداد ـ توباغو . وفي لوساكا حضر أيضاً ٩ مراقبين : ١ واحد من فيتنام الجنوبية (من جبهة التحرير الوطنية) و ٨ من أمريكا اللاتينية . وعقد مؤتمر لوزراء الشؤون الخارجية في (جورج تاون) في ١٩٧٢ وقرر إحداث لجنة دائمة مقرها في نيويورك .

وأخيراً عقد المؤتمر الرابع في الجزائر في بداية أيلول ١٩٧٣ . وفي هذه المرة ، إذا حسبنا الأعضاء ، من الأعضاء المرشحين والمراقبين ، كانت ٨٦ دولة حاضرة ، دون حساب ممثلي الأمم المتحدة ، ومنظمة الوحدة الإفريقية ، وجامعة الدول العربية ، و ١٤ حركة تحرير (المستعمرات البرتغالية ، جيبوتي ، إفريقية الجنوبية ، الفلسطينيين ، إلخ ...) . وقائمة هؤلاء الأعضاء هامة . نجد فيها ٣ بلاد أوربية (النمسا ، فنلاندا ، يوغوسلافيا) ، ٣٤ بلداً إفريقياً من جنوب الصحراء الكبرى (تدخل فيها جزيرة موريس) ، البلاد العربية الستة في إفريقية الشمالية ، دولتان متوسطيتان (مالطة وقبرص) ، ١٢ بلداً عربياً من

الشرق الأوسط ، ١٣ بلداً من جنوب وجنوب شرقي آسيا ، ١٦ بلداً أميركياً . ولم يكن المنطق مطلقاً : فلماذا قبل الفيتنام الشمالي ، وهو بلد ملتزم صراحة . ولم تقبل كوريا الشمالية ؟ وفي أمريكا اللاتينية ، لماذا غياب جميع البلاد القارية في أمريكا الوسطى ، ماعدا باناما ، المعادية والحق يقال للولايات المتحدة بسبب منطقة القناة ؟

وقد أثار هذا اللامنطق العقيد القذافي زعيم ليبيا المعادي بعنف للاتحاد السوفياتي . فقد صاح مصرحاً بأن كوبا والفيتنام الشمالي ، بلدان منحازان ، يجب ألا يكونا بين الأعضاء . وكان الاتحاد السوفياتي في البدء قد أطلق تحذيراً علنياً يصرح بأن (التناظر) بين الولايات المتحدة (الأمبريالية) ، والاتحاد السوفياتي الاشتراكي والمحب للسلام كان خطأ فادحاً . ودافع فيديل كاسترو ، باسم كوبا عن وجهة النظر هذه . بل وأيضاً وزيرة الهند الأولى ، السيدة أنديرا غاندي . ورغبة في الاتحاد لم يذكر هذا النزاع في البلاغ النهائي .

وفي الواقع ، لسوء الحظ ، لم ينجح مؤتمر الجزائر . فعلى ما يبدو أن (فدائيين) ، فلسطينيين ، مستقلين ، عن المنظمات الكبرى ، أخذوا رهائن من السفارة العربية السعودية في باريس . وقد شجبهم الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات ، وأحدثوا ، في نظر قطاع عريض من الرأي العام العالمي ، أثراً كريهاً ، في الوقت الذي أراد فيه المؤتمر مساندة حركات التحرير الوطنية الممثلة لمختلف البلاد التابعة .

قضية التجمع

في عدد كبير من الحالات ، لبلاد العالم الثالث حدود موروثة عن الاستعمار . وفي الحقيقة ، انطلاقاً من الوقت الذي وجد فيه الاستعمار ، أحدثت حدود ، من جانب وآخر ، اختلافات أمكن مع الزمن أن تصبح كافية لتعيين ما يسميه الجغرافي جان غوتمان « إيقونات » ، منظومات صور ، ولإنشاء وحدات

قومية حقيقية . وهذا ما اعترف به رجل دولة في توغو ، وهو (سيلفانوس أوليمبيو) . مصرحاً بأن الدول الجديدة كانت اصطناعية ، ولكن وجب عليها أن تسعى لتصبح أمماً .

وفي الواقع ، وبخاصة في إفريقية ، يتجابه موقفان متناقضان : أحدهما ينزع نحو **التفتيت** ، مرتبطاً بتلاحم القبائل والأقوام ، أمام نقص تلاحم الدولة . والآخر ينزع نحو **التجمع** ، نحو الوحدة ، الفاتنة للرأي العام ، وبخاصة لعدد من المفكرين . وبين الاتجاهين ، وجد موجهو الدول القائمة في وضع حرج . فكيف يعمل على صهر دولتين دون أن ينحى أحد الزعيمين ، ودون أن يسيطر أحد الاثنين على الآخر ؟ إن المحاولات النادرة في الذوبان التي عرفت قد أخفقت : إن اتحاد غانا ـ غينة ، ن ، كروما وسيكو توريه كان رمزياً محضاً ، لأن البلدين ليس لهما حدود مشتركة . واتحاد ـ سنغال ـ سودان أو مالي لم يتجاوز ١٩٦٠ .

واتحاد مصر وسورية ، أو (الجمهورية العربية المتحدة) دام من ١٩٥٨ إلى أيلول ١٩٦١ . لقد كان تحدياً لاللدول العربية المحافظة ، مثل الأردن والعربية السعودية فحسب ، وإنما أيضاً للولايات المتحدة ، المعادية لجمال عبد الناصر ، وللسوفياتيين ، لأنه « دل أيضاً على أن الرئيس جمال عبد الناصر كان يريد أن يحرم في دمشق الشيوعيين من المكانة التي كسبوها في هذا البلد » (مارسيل كولومب) .

وفي أيلول ١٩٧٣ ، أعلن ، وبصعوبة ، اتحاد أعجب أيضاً ، اتحاد ليبيا ، حيث العقيد القذافي ، الزعيم المعادي للشيوعية ، الزعيم لشعب من ٢ مليون نسمة ، أقام (ثورة ثقافية) حقيقية ، ومصر المؤلفة من ٣٨ مليون نسمة ، والتي يحكمها زعيم أكثر اعتدالاً وهو أنور السادات . وفي الحقيقة ، إن هذا الأخير ، خلف جمال عبد الناصر ، وطرد المستشارين السوفياتيين الفنيين . ولكنه لم يقطع بعد علاقاته مع الاتحاد السوفياتي الذي يجهزه بتسلحه . ومن جهة أخرى ، كيف

يكون الذوبان ؟ فهل الجمعية العمومية (المشتركة) يجب أن تضم نفس العدد من المصريين والليبيين ـ في حين أن المصريين أكثر من الليبيين بـ ١٩ مرة ؟ أو أن تكون متناسبة مع السكان ، وهذا ما يخضع الليبيين للمصريين ؟

التجمعات الإفريقية

بصورة عامة ، تفضل دول العالم الثالث كثيراً التجمعات الغامضة وغير المحددة على الذوبان في بوتقة واحدة . وسنعطي بعض الأمثلة دون البحث عن الوصف بتفصيل عن التغير غير المنقطع للهيئات السياسية التي تتحقق ولا تلبث أن تنحل .

في بداية سنوات الـ ٦٠ ، يرى تأسيس تجمعات مختلفة . فقد كان (مجلس الوفاق) الذي يسيطر عليه الرئيس العاجي هوفويه ـ بواني ، يضم ساحل العاج ، فولتا العليا ، داهوميه والنيجر . وفي كانون الأول ١٩٦٠ ، كانت جميع الدول الناطقة بالفرنسية ، عدا توغو ، ومالي ، وغينة ، تؤلف (تجمع برازافيل) وهو اتجاه معتدل يحبذ التعاون مع فرنسا . وقد عرف هذا التجمع ، المؤلف من ١٢ عضواً ، كثيراً من التحولات والتغيرات ، لأنه ظهر على وجه الدقة مرتبطاً كثيراً بالغرب . وتحول إلى (اتحاد إفريقي ومالغاشي .U. A. M) في ربيع ١٩٦١ . وفي الوقت نفسه ، كانت الـ ١٢ ، وغامبيا ، ونيجيريا أعضاء في رابطة الشعوب البريطانية (الكومنولث) ، وليبريا ، وتونس وليبيا (التي يحكمها الملك السنوسي حتى الانقلاب الجمهوري والعسكري في ١٩٦٩) ، والتوغو ، وأثيوبيا ، والصومال ، تؤلف (تجمع مونروفيا) ، وهو أيضاً ذو اتجاه معتدل .

أما (الاتحاد الإفريقي والمالغاشي) الذي لم ينجح في إبرام ميثاق عسكري ـ مخصص للحفاظ على الأنظمة القائمة ـ فقد زال في ١٩٦٤ .

وفي الواقع ، في هذه السنة نفسها ، في شباط ، دعم المظليون الفرنسيون ،

وليس الأفارقة ، نظام (ليون م ، با) في الغابون . وفي ٩ آذار ١٩٦٤ ، استعيض عن (الاتحاد الإفريقي المالغاشي) بـ (**الاتحاد الإفريقي المالغاشي للتعاون الاقتصادي** .U. A. M. C. E) والذي كان مقره في (ياؤنده) وليس في (**كوتونو**) التي كانت مقر الاتحاد الإفريقي المالغاشي . وكان هوفويه ـ بواني مقاوماً لهذا التنظيم الجديد . ولذا انتقل ، في شباط ١٩٦٤ ، إلى إنشاء (المنظمة المشتركة الإفريقية والمالغاشية .O. C. A. M) المعادية لغانا (حيث أزاح انقلاب ن ، كروما ، في ١٩٦٦) . وكان الجنرال دوغول محبذاً لإنشاء (المنظمة المشتركة الإفريقية والمالغاشية) ، وأعلم بذلك . وفي ١٩٦٥ ، وبعد خلع الرئيس كازاڤوبو ، أعلن الجنرال موبوتو دخول الكونغو ـ كينشاسا[1] في المنظمة المشتركة الإفريقية والمالغاشية . وفي الواقع ، لعبت هذه المنظمة دوراً ضعيفاً بعد ١٩٦٥ . وسيسهم نزاع (بيافرا) في تقسيمها كثيراً . وفي ١٩٧٣ ، تفتتت عملياً . وَلْنُشِرْ أيضاً ، على الصعيد الثقافي ، إلى (اتحاد البلاد الناطقة بالفرنسية) الذي تأسس في شباط ١٩٦٩ في (نيامي) .

وعلى الطرف الآخر من السلم السياسي ، أنشأت أنظمة (اليسار) ، في ٧ كانون الثاني ١٩٦١ (فريق الدار البيضاء) : المملكة المغربية ، غانا ، غينة ، مالي (السودان سابقاً) ، الجمهورية العربية المتحدة . وتميز بعداء كبير إزاء الدول المستعمرة سابقاً و (الاستعمار الجديد) . وانتقد بعنف التجارب النووية الفرنسية في الصحراء الكبرى والوفاق (التفاهم) الظاهر الفرنسي ـ الإسرائيلي . وبصورة طبيعية ، كان فريق الدار البيضاء معادياً جداً لفريق برازاڤيل وفريق مونروڤيا .

أما كان من الممكن الذهاب إلى أبعد من ذلك والسمو بهذه الاختلافات

---

(١) أصبحت الكونغو البلجيكية طوراً وطوراً (كونغو ليؤبولوڤيل) ثم في ٢ أيار ١٩٦٦ (كونغو كينشاسا) الاسم الجديد للعاصمة . وأخيراً في ١٩٧٢ (زئير Le zaire) .

بتجميع الدول الإفريقية كلها ؟ لقد فتنت هذه الفكرة عدداً من الزعماء ، مثل (ليؤبولد سنغور) ، في السنغال . و ن ، كروما ، وسيكو توريه ، إلخ ... وجرى الكلام ، منذ ١٩٥٨ ، عن ولايات ـ متحدة إفريقية . إلا أن هوفويه ـ بواني وحده ، في ساحل العاج ، عارض بصورة أساسية كل اتحادية . ولكنه كان يحبذ بما يكفي فكرة كونفدراسيون إفريقي واسع . ومع فريق مونروفيا ، كان يتصرف بمساندة دول أكثر عدداً بكثير (٢٠) من الـ ٥ (الثورية) في فريق الدار البيضاء ، ويتمتع بخاصة بمساعدة نشيطة من قبل الرئيس (توبمان) ، في ليبريا .

لقد خففت نهاية حرب الجزائر ، في ١٩٦٢ ، التوترات بين الفريقين . ويبدو أن إمبراطور أثيوبيا ، (هايله ـ سيلاسيه) قد لعب دوراً وجيهاً للوصول بهما إلى القرار جميعاً في منظمة مشتركة ، وليست هذه دمجاً إفريقياً ، وإنما (إفريقية الأوطان) .

وفي ٢٢ أيار ١٩٦٣ ، افتتح مؤتمر أديس ـ أبابا ، وضم ٣٠ رئيس دولة إفريقية . وتغيب رئيسان فقط ، ملك المملكة المغربية ، الذي رفض أن يجلس إلى جانب الرئيس الموريتاني ولد دادا (كانت المملكة المغربية تطالب بموريتانيا في ذلك الحين) ، ورئيس توغو ، غرونيتزكي ، الذي لم يدع ، لأن سلفه ، (اوليمبيو) قتل منذ قليل . وبالرغم من اختلاف العروق (الأجناس) ، والاتجاهات السياسية ، وبالرغم من التحاسد ، والتناقضات ، أطلق هايله ـ سيلاسيه نداء مؤثراً ، وفي ٢٥ أيار ١٩٦٣ ، تبني (ميثاق منظمة الوحدة الإفريقية O.U.A.) .

ومنذ ١٩٦٣ ، لم تقم منظمة الوحدة الإفريقية بأي تقدم في الاتجاه الفيدرالي (الاتحادي) ، ولكنها ثبتت أكثر فأكثر كقوة سياسية خاصة ، في الوساطة بين المملكة المغربية والجزائر ، وإرادة الحفاظ على استقلال الكونغو ، والنضال ضد

الدولة البيضاء والقائمة على التفرقة العنصرية في روديسيا الجنوبية ، والعداء لتجزئة نيجيريا ، والتقدم البطيء في العداء لإسرائيل ، إلخ ... وفي ١٩٧٢ ، لم تستطع إفريقية الجنوبية المشاركة في الألعاب الأولمبية في مونيخ بسبب التهديد بالامتناع العام لدول إفريقية التي لم تقبل بحضورها .

تجمعات في الشرق ـ الأوسط وفي جنوب ـ شرقي آسيا

في الشرق ـ الأوسط العربي ، توجد ، مع جامعة الدول العربية ، محاولة تجمع . فبين ١٩٦٠ و ١٩٧٣ (في هذا التاريخ بدت هذه المحاولة تتثبت) ، لم تلعب الجامعة العربية إلا دوراً ممحياً . والوحدة العربية ، العزيزة على جزء واسع من الرأي ، والمذكورة دون انقطاع على ألسنة التجمعات ، اصطدمت بالنعرات والطموحات . فقد زال المشروع الهاشمي في (الهلال الخصيب = فلسطين ، لبنان ، سورية ، العراق) . واقترح جمال عبد الناصر (الأمة العربية) التي سيكون زعيمها ، وكان الشيوعيون معادين لهذا الشكل من التوحيد ؛ ولكنهم ظلوا ضعافاً بكفاية . ورفض حزب البعث العربي الاشتراكي الاعتراف بشيء آخر غير الأمة العربية . ومع ذلك ، فقد انقسم إلى يسار ويمين متعاديين بعنف ـ ولا سيما في سورية وفي العراق حيث كانت له السلطة ـ . وأخيراً أثارت المقاومة الفلسطينية ردود فعل متفرقة ولم تكن عامل وحدة .

في جنوب ـ شرقي آسيا لا يوجد تجمعات مماثلة . والبلدان اللذان يظهر حيادهما أكثر عداء للغرب كانا الهند وأندونيسيا . ولكن هذه الحالة تطورت منذ ١٩٥٩ . فقد تسببت حوادث الحدود التي كانت للهند مع الصين في ١٩٥٩ ولا سيما في ١٩٦٢ بتصلب المواقف . وظهر تفوق الصينيين ، واضطر الهنود إلى الاعتراف بأن هيمالايا لم يكن حصناً لا يمكن اجتيازه . ولذا كانوا بحاجة للسلاح ، وتقربوا بصورة محسوسة من الولايات المتحدة . وفي الحقيقة إن الاتحاد السوفياتي ساعدهم على الحفاظ على حيادهم بتجهيزهم أيضاً بالأسلحة ضد الصينيين . ومن هذا الواقع

فإن الباكستان ، التي كانت مع ذلك حليفاً للولايات المتحدة في إطار منظمة معاهدة (جنوب ـ شرقي آسيا .L. O. T. A. S. E) وفي إطار (السنتو .C. E. N. T. O) ، (الاسم الجديد لميثاق بغداد بعد انفكاك العراق) ، استاءت لرؤية الهند تتقرب من حليفها الأميركي . ولذا أبرمت في ١٩٦٣ اتفاقاً هاماً يتعلق بالحدود مع الصين . أما أندونيسيا ، فقد انفجرت فيها ثورة حقيقية في ١٩٦٥ ، وقال كثير من المراقبين بأنها أعدت بشكل واسع من قبل (دائرة الاستخبارات الأميركية .C. I. A) . وكان حزبها الشيوعي (ح . ش . أ = .P. K. I) من أقوى الأحزاب في العالم ، والرئيس سوكارنو ، دون أن يكون شيوعياً . كان تفضيله للصين ملحوظاً . إن ثورة ١٩٦٥ التي دبرها الجيش حذفت بفظاظة الحزب الشيوعي الأندونيسي ، وقتل عدد عظيم جداً من أعضاء هذا الحزب . واستطاع سوكارنو أن يحافظ على جزء من سلطته . ولكنه نحي أخيراً في ١٩٦٧ . ومنذ هذا التاريخ اتجهت أندونيسيا بعزم شطر الولايات المتحدة التي أنمت فيها التجارة بصورة عظيمة . وكانت كامبوديا من أكثر الدول حياداً ـ حتى حذف الأمير نورودوم سيهانوك في ١٩٧٠ . وفي فنوم ـ بنه ، عاصمة كامبوديا ، اتهم الجنرال دوغول الولايات المتحدة بأنها المسؤولة الأساسية عن حرب فيتنام (تموز ١٩٦٦) . أما الأمير سيهانوك فقد لجأ إلى الصين وترأس (الخمير ايساراكس) المناصرين للشيوعيين ، بمساعدة الفيتنام الشمالية ، وأقام حكومة موقتة معادية للماريشال لون نول (المقيم في العاصمة ، ولكنه مهدد من كل جانب) ، واضطر أن يصطف بوضوح في المعسكر الاشتراكي .

تجمعات في أمريكا

في أمريكا اللاتينية ، لم تكن (منظمة الدول الأميركية) نافذة جداً في السنوات الـ ٦٠ . وكانت المشكلة بالنسبة لمعظم الجمهوريات اللاتينية ـ الأميركية ، النجاة من النفوذ السياسي للولايات المتحدة ونفوذ بعض الشركات

الأميركيـة القويـة . وفي (بونتـا دل إيست) ، في كانـون الثـاني ١٩٦٢ ، طردت كوبا من المنظمة . وإخفاق خطة المساعدة الاقتصـاديـة المسماة (حلف التقـدم) أرخى العلاقات مع الولايات المتحدة . وكذلـك ، في ١٩٦٥ ، التـدخل العسكري في الجمهورية الدومينيكية ، الذي أجري بحجة الحيلولة دون التخريب الشيوعي . وكان ميثـاق بوغوتـا في ١٩٤٨ يسـاعـد في الواقـع على تغيير تـوجـه مبـدأ عـدم ـ التدخل الذي تبنته الولايات المتحدة في ١٩٣٣ . ولكن ميثـاق بوغوتـا تبني في عز الحرب الباردة ، وفي ١٩٦٥ ، ظلت البلاد اللاتينيـة ـ الأميركيـة معـاديـة بصورة أسـاسيـة لتـدخل (البحريـة الأميركيـة) . ويجب القول إن فيـديل كاسترو كان يحاول أيضاً إثارة حرب عصابات ، ولا سيا في بوليفيا ، وكولومبيـا ، وفينيزولا . وفي بوليفيا توفي مسـاعـده شي غيفـارا . وخوفـاً من الشيوعيـة ، ظلت الولايـات المتحدة تدعم عدداً من الدكتاتوريات التي كان أكثرها تشدداً وفظاظة دكتاتوريـة (الدكتور دوفاليـه) ، ثم ابنـه ، في هـاييتي . وبـالمقـابل ، كان عـداء الولايـات المتحدة شديداً جداً إزاء النظـام الاشتراكي الـذي حـاول (سـالفـادور اللنـدي) ، المنتخب في ٤ أيلـول ١٩٧٠ رئيساً لجمهـوريـة شيلي ، أن يقيمـه في بـلاده . وشهر اللندي في الأمم المتحدة بمحاولات شركة أميركية كبرى ، (الشركة الدوليـة للبرق والهاتف .I. T. T) ، التشجيع على انقلاب . وأخيراً ، أنهى الجيش الشيلي ، الـذي يقـوده الجنرال (بينـوشيـه) ، نظـام اللنـدي ، وأثـار ، على مـا يبـدو ، انتحـار الرئيس ، في ١١ أيلـول ١٩٧٣ . والمصـادر نـادرة جـداً للتثبت عن يقين أي المؤثرات الأجنبية لعبت هذا الدور .

وكانت النجاحات الوحيدة ، لمنظمة الـدول الأميركيـة ، التوقيع في ١٩٦٧ ، على معـاهـدة في نزع السلاح النـووي من أمريكا الـلاتينيـة ، وفي ١٩٧٣ ، عـودة قبول كوبا .

٢ ـ قضايا العالم الثالث : العامل الاقتصادي

مساعدة البلاد المتخلفة (النامية)

إن إحدى الحوادث الكبرى في العلاقات الدولية هي التفاوت العميق الموجود بين مستوى حياة البلاد التي تسمى متقدمة ومستوى البلاد المتخلفة . فقد كان الإنتاج القومي بالرأس في الولايات المتحدة في ١٩٦٤ ، يبلغ ٣٣٢٠ دولاراً ، وفي ١٩٦٨ ، بلغ ٤٣٧٢ دولاراً . وكان في فرنسا ، في ١٩٦٨ ، ٢٣٣٢ دولاراً ؛ وفي بريطانيا العظمى ٢١٦٣ دولاراً ؛ وفي ألمانيا ٢١٤٤ دولاراً ، وفي إيطاليا ١٣٤٤ دولاراً ، وفي اليابان ١٣٢٦ دولاراً . وأمام هذه الأرقام كان الإنتاج القومي في هاييتي ، وباراغواي ، والباكستان ، محصوراً بين ٦٠ و ٨٠ دولاراً بالرأس . وحتى في البلاد التي هي في طريق الخروج من التخلف ، مثل المكسيك ، لم يتجاوز الإنتاج بالرأس ٦٠٠ دولار إلا قليلاً بالشخص وبالعام . والبلاد المصنعة سابقاً هي في توسع أسرع من البلاد التي هي بحاجة إلى تصنيع نفسها . وإن إحدى العقبات هي على العموم الولادة العظيمة التي تتجاوز ٠٤٥ ٪ في الفيليبين ، ٠٤٠ ٪ في الجزائر ، بينما بلغت في الولايات المتحدة ٢٢ إلى ٠٢٣ ٪ بعد الحرب العالمية الثانية . ثم هبطت إلى ٠١٨ ٪ ، وفي فرنسا هي في مرتبة ٠١٦ ٪ . والوفية قوية جداً وأقوى في البلاد المتخلفة . والأمل بالحياة عند ولادة هندي هو من نسق ٣٧ عاماً فيا هو بالنسبة للأميركي من نسق ٧٠ عاماً . ومع ذلك فإن الطب الحديث أدخل تقدماً ، ولكن تزايد السكان الذي ينجم عنه يجعل تقدم التوسع الاقتصادي في بعض الأحيان محسوساً قليلاً . ومن الممكن الكلام إذن عن أمم كادحة أمام أمم غنية لا يعوزها شيء .

ويرى الكثير من مواطني البلاد المتخلفة أن الاستعمار مسؤول عن مصائبهم ويعتبرون المساعدة التي تعطيها البلاد المتقدمة حقاً لهم . وهذا الموقف القابل للإيضاح نفسياً مقبول قليلاً على صعيد الواقعية . وبالفعل ، إن البلاد المتقدمة لا توزع مساعدة إلا في الحد الذي يتطابق مع مصالحها . وهذه المساعدة تكون

أحياناً خاصة (استثمار شركات تجارية ، وشركات صناعية ، أو مصارف) وأحياناً عامة (تخولها الحكومات) . ويمكن أن تأخذ شكل قروض أو شكل هبات . وفي حال المساعدة الخاصة ، يكون القلق الأساسي للمستثمرين بالبداهة قلق (المردودية) ، أي أن عدم الاستقرار السياسي ، وتهديد نظام اشتراكي يؤمم الصناعات دون تعويض حقيقي يحولان المستثمرين الخاصين . وبالنسبة للمساعدة العامة ، إن الأنانية القومية تجبر الدول على ربط مساعدتها بفوائد إما سياسية وإما اقتصادية ، محسوسة . فمن الممكن أن يساعد بلد تكون سياسته ملائمة ، أو بلد يؤمل أن يوجد فيه زبائن أو مجهزون بالمواد الأولية . ويقع أوج المساعدة نحو ١٩٥٨ ـ ١٩٦٠ . وبالتالي ضعف بوضوح .

المساعدة الأميركية نحو ١٩٦٠

المساعدة الأميركية أهم من غيرها كمياً . ويرجع تاريخها إلى الرسالة التي اقترحها الرئيس ترومان على الكونغرس ، في ٢٠ كانون الثاني ١٩٤٩ . وتدعو النقطة الرابعة في هذه الرسالة الولايات المتحدة والدول الأخرى إلى تجنيد مواردها من أجل مشروع واسع للمساعدة لصالح العالم الثالث . ومع ذلك ، فإن المساعدة الأميركية في عهد الرئيس ترومان كانت في الغالب مخصصة لبلاد أوربة الغربية في نطاق مشروع مارشل . وشدد وصول الجمهوريين إلى السلطة ، في كانون الثاني ١٩٥٣ ، أهمية العالم الثالث ، ولكن أضيفت إلى المساعدة الاقتصادية مساعدة عسكرية . وحتى ١٩٦٠ ، خولت الولايات المتحدة على هذا النحو ٢,٢ مليار دولار إلى الصين الوطنية ، ١,٥ مليار إلى كوريا الجنوبية ، ٩٠٠ مليون إلى الباكستان ، ٣٢٥ مليون إلى التايلاند ، ٢٥٠ مليون إلى الفيليبين . وهذا ما ساعد البلاد المتخلفة على إقامة وتجهيز جيوش عظيمة : ٦٣٠٠٠٠ رجل في كوريا الجنوبية ، ٥٠٠٠٠٠ في الصين الوطنية . وفي الدور الجمهوري نفسه ، قلّت المساعدة المخصصة لأوربة بصورة عظيمة انطلاقاً من ١٩٥٤ . وظلت المساعدة إلى الشرق

الأقصى هامة ، ولكن بنقص خفيف (١,١ مليار دولار في ١٩٥٤ إلى ٧٢٨ مليون في ١٩٦٠) . وانتقلت المساعدة للشرق الأوسط وجنوب ـ شرقي آسيا من ٦٨٠ مليون دولار في ١٩٥٥ إلى ١,٥٨ مليار في ١٩٦٠ . وازدادت المساعدة إلى إفريقية ببطء ، ولكنها لم تبلغ إلا ٢١٤ مليون في ١٩٦٠ . وفي هذه السنة نفسها ١٩٦٠ ، خولت الولايات المتحدة ٤,٥ مليار دولار مساعدة ، منها ٢,٤ مساعدة اقتصادية ، ١,٩٠ مليار مساعدة عسكرية . وكان لهذه المساعدة عموماً انعكاسات سياسية . وهكذا فإن الولايات المتحدة ، كما رأينا ، رفضت أن تمول مشروع سد أسوان عندما علمت بأن مصر تلقت أسلحة تشيكوسلوفاكية وسوفياتية . ومع ذلك ، فإن ، فوستر دلس ، بالرغم من كرهه إزاء الحياد الهندي ، شجع وفضل مساعدة عظيمة للهند . فمن ١٩٥٠ إلى ١٩٦٠ ، جهزت الولايات المتحدة الهند بـ ٣,٨ مليار دولار ، نصفها قرض ، والنصف الآخر هبات ، وبالإجمال ، من ١٩٤٦ إلى ١٩٦٠ ، قدمت الولايات المتحدة ٨٤ مليار مساعدة للخارج ، منها ٥٦,٩ للمساعدة الاقتصادية و ٢٧,٢٠ للمساعدة العسكرية . وأفادت أوربة أكثر من النصف (٤٣ مليار دولار) . وتبعها الشرق الأقصى بـ (١٨,٩ مليار) ، والشرق الأوسط وجنوب شرقي آسيا (١٣,٤ مليار) ، وأمريكا اللاتينية (٤,٤ مليار) ، وإفريقية (٨٢٢ مليون) . وأدى وصول الرئيس كينيدي إلى السلطة إلى بعض التغيرات . لقد كانت مشكلة كوبا تخامر ذهنه ولذلك أراد أن يضع برنامجاً واسعاً من المساعدة لأمريكا اللاتينية : حلف التقدم الذي أبرم في آب ١٩٦١ في المؤتمر الاقتصادي والاجتماعي في پونتادل إيست (أورغواي) . وفي كل سنة كان على الولايات المتحدة أن تقدم ٢ مليار دولار إلى بلاد أمريكا اللاتينية (١ لصندوق الدولة ، و ١ تحت شكل استثمارات خاصة) ومنذ البدء ظهر أن حلف التقدم قليل النفاذ . ووظفت الشركات الخاصة أقل من مليار دولار بكثير . وما فتئ الكونغرس ينقص اقتراحات السلطة التنفيذية . وأخيراً ، كان إخفاقاً .

المساعدة السوفياتية نحو ١٩٦٠

شرع الاتحاد السوفياتي متأخراً بتخويل مساعدة للبلاد المتخلفة وقدمها بسعة أقل بكثير من الولايات المتحدة . وكانت الغاية سياسية أيضاً . فقد كان يراد مبدئياً تشجيع استقلال اقتصادي حقيقي للبلاد المتخلفة . والسوفياتيون مقتنعون بأن الاستقلال السياسي غير كاف إذا لم يكن متفقاً مع ما يسمونه الاستقلال الاقتصادي . ولذا فإن مساعدتهم منتقاة بعناية . وكمصر ، حيث قبل الاتحاد السوفياتي من ١٩٥٨ إلى ١٩٦٠ ، أن يمول قسمي بناء سد أسوان ، كان المستفيدون جميعاً بلاداً محايدة تقريباً ، بل وحتى معادين بقصد للغرب .

في ١٩٦٠ خول الاتحاد السوفياتي ١٠٠ مليون دولار إلى أثيوبيا ، ٥٥ إلى غينة ، ٤٠ إلى غانا ، ٥٠٠ إلى مصر ، ١٦٨ إلى سورية ، ٦٢٥ إلى الهند ، ١٢٠ إلى أفغانستان ، ٩٢ إلى أندونيسيا ، ٧٥ إلى اليمن ، ٤٠ إلى سيلان ، ١٨٢ إلى العراق . والمساعدة السوفياتية منظمة أكثر من المساعدة الأميركية . والاتحاد السوفياتي يخول قليلاً جداً من الهبات ، ولكنه يختارها بشكل يضرب التصور والخيال : مستشفيات ، عيادات ، مدارس تقنية ، مكتبات ، طائرة لزعيم البلاد . ويوزع مساعدة بشكل قروض ، على العموم بغاية إنشاء مشاريع دولة في الصناعة الثقيلة ، وبخاصة معامل الفولاذ ، أو مراكز كهربائية . ويبرم القرض لـ ١٢ عاماً بفائدة ٢,٥ ٪ . ويكون الدفع بالعملة المحلية أو بالمنتجات المحلية . ويبدأ بعد عام من استثمار المشروع المنشأ . وهذه المساعدة (مرتبطة) أي إن المشروع يبنى بأدوات سوفياتية حسب خطط أعدها فنيون سوفياتيون . ويأتي هؤلاء ويراقبون الأعمال التي تستعمل لأجلها اليد العاملة في البلد جزئياً . والبلد المستفيد يسوق هذه اليد العاملة ويدفع مصاريف البناء والنفقات المحلية . وما إن يستثمر المشروع إلا ويصبح بصورة كاملة ملكاً للبلد المستفيد . والاتحاد السوفياتي لا يشارك في استغلال المشروع ، ولا في تصريف منتجاته (على خلاف

الاستثمارات الخاصة الأميركية) . ويستعمل الاتحاد السوفياتي والمعسكر الاشتراكي أيضاً المساعدة الفنية . ففي آخر ١٩٥٨ ، أرسل العالم غير الشيوعي إلى البلاد المتخلفة نحو ٦٨٠٠ مساعدة فنية (أساتذة ومعلمين عسكريين منحين من الخدمة) . وعلى هذا الرقم يحسب نحو ٣٤٠٠ أميركي . أما من جهة المعسكر الاشتراكي فقد أرسل ٢٨٠٠ منها ٩٠ ٪ إلى خمسة بلاد : الجمهورية العربية المتحدة ، اليمن ، أفغانستان ، الهند ، أندونيسيا .

مساعدة البلاد المتوسطة : فرنسا والمملكة المتحدة نحو ١٩٦٠

توزع فرنسا وبريطانيا ـ العظمى مساعدة هامة ، ولكن هذه المساعدة مرتبطة بإمبراطوريتيها الاستعماريتين السابقتين : لقد أعطت فرنسا كمياً أقل من الولايات المتحدة ، ولكن أكثر بالنسبة لإنتاجها القومي الخام . فحوالي ١٩٦٠ انتقل ما يقارب ٢ ٪ من الإنتاج القومي الفرنسي الخام تحت شكل مساعدة أي أكثر من ضعف ماأعطته الولايات المتحدة بالنسبة إلى إنتاجها القومي الخام الخاص . والمساعدة الفرنسية توجه تقريباً على وجه الحصر لبلاد إفريقية الشمالية ، وإفريقية السوداء وبلاد المحيط الهندي التي لم تكن في السابق تؤلف جزءاً من الإمبراطورية الفرنسية . وحصة الهبات في المساعدة هامة بالنسبة إلى حصة القروض . ومن المميزات الأساسية للمساعدة الفرنسية أهمية المساعدة الثقافية . وتقوم فرنسا أكثر من أي بلد في العالم ، بجهد لصالح لغتها وثقافتها . فهي تقيم في الخارج معاهد عديدة جداً ، مدارس ، مدارس ثانوية ، صحف ، جمعيات علمية ، تنقيبات أثرية . حتى إنها تصورت نظام مساعدة فنية رخيصة لمساعدة طلاب وشبان مفكرين ، ومهندسين ، وفنيين ، وأطباء ، يقومون بخدمتهم العسكرية كهيئة تعليمية أو مساعدين فنيين في البلاد المتخلفة . فعلى صعيد التعليم ، نرى أن فرنسا هي البلد الذي يقيم في الخارج هيئة تعليمية أكثر عدداً من غيرها (أكثر من ٣٠٠٠٠ شخص) ومعظمهم مخصص لإفريقية الشمالية : الجزائر ، وتونس .

ومساعدة بريطانيا العظمى متجهة نحو اعتبارات اقتصادية أكثر منها نحو اعتبارات سياسية . لقد حاولت إنكلترا الحفاظ على وحدة نقدية مع مستعمراتها السابقة التي أصبحت مستقلة ، وحدة منطقة الإسترليني . وتضم هذه المنطقة جميع بلاد الكومنولث ماعدا كندا وعدداً من البلاد الأخرى ، وفي الغالب تابعة سابقاً . ففي ١٩٦٠ ، بلغت صادرات المملكة المتحدة نحو منطقة الإسترليني ٤٠ ٪ من المجموع ، والواردات الآتية من منطقة الإسترليني ٣٤ ٪ . وفي الحقيقة ، إن هذه الحركة كانت تتجه نحو التخفيف لصالح التجارة مع البلاد الخارجة عن منطقة الإسترليني . وبينما حصلت فرنسا من زميلاتها في السوق المشتركة على مساعدة خاصة للبلاد الإفريقية التي كانت مستعمراتها ، أقامت بريطانيا - العظمى ، في ١٩٥١ ، (مشروع كولومبو) ، نظام مساعدة جماعية لبلاد جنوب شرقي آسيا . وفي ١٩٥٧ مشروع مساعدة إلى غانا . وتتجه كتلة المساعدة للبلاد المتخلفة نحو التقليل في كل من البلاد الكبرى . وتوجد مقاومة رأي عام سميت في فرنسا : (الكارتيرية)[1] . ومن جهة أخرى ، تشكيك متزايد حيال الفوائد التي يمكن أن تجنيها البلاد المتخلفة من المساعدة . فأمام البؤس الفظيع الذي يعاني منه ٢ مليار من الكائنات البشرية ، يرى أن مساعدة من بضعة مليارات من الدولارات في العام تعطي انطباعاً لقطرة ماء ألقيت في البحر .

تطور المساعدة منذ ١٩٦٠

باستثناء بعض المشاريع الكبرى (سد أسوان في مصر) ، وبعض المساعدات الدقيقة الهادفة والرابطة الممتازة الموجودة بين المجموعة الاقتصادية الأوربية (.C. E. E) و ١٩ دولة إفريقية ناطقة باللغة الفرنسية ماعدا الصومال وجزئياً جزيرة موريس (دول إفريقية ومالغاشية مشاركة .E. A. M. A) ، فقدت مساعدة البلاد المتخلفة أهميتها ، النسبية على الأقل ، ووجاهتها . وفوق ذلك ،

---

(١) الكارتيرية : Le Cartierisme من اسم الصحافي ريمون كارتيه Raymond Cartier .

إن دخـول بريطـانيـا ـ العظمى السـوق المشتركـة وضـع قضيــة اشتراك الـدول الإفريقية الناطقة باللغة الإنكليزيـة في مجموعـة (الـدول الإفريقيـة والمـالغـاشيـة المشاركة .E. A. M. A) . أما كتلة المساعدة فقد بقيت نفسهـا تقريبـاً ، على حين أن الإنتـاج القومي الخـام ، في البلاد المتقـدمـة ، تزايـد ونمـا بصورة عظيمـة . إن ما يقارب ٢ ٪ ، حصة الإنتاج القومي الخام الفرنسي المخصصـة للمسـاعـدة هبطت إلى ٠,٦٨ ٪ (الـوسطي من أجـل منظمـة التعـاون والتنميـة الاقتصـاديـة ٠,٣٤ ٪)[1] .

إلا اان التعاون الثقافي والتقني وحده ينمو . وهنا أيضاً تـأتي فرنسـا في الرأس مع ٥٢٣٠٠ متعاون في ١٩٧٠ ، منهم ٢٥٥٠٠ في التعليم . وأرسلت ألمانيا الاتحـاديـة ٢٧٠٠٠ ، وبريطـانيـا العظمى ٢٩٠٠٠ منهم ٦٦٠٠ في التعليم . ويتسـاءل أكثر فأكثر عن نفاذ المساعـدة المـاليـة . وأكثر فـأكثر تصبح قضيـة التجـارة متفوقـة في العلاقات الدولية .

العالم الثالث والسلاح التجاري : مؤتمر جنيف (١٩٦٤)

إن البلاد المتخلفة المستفيدة أو غير المستفيدة من المساعدات الهامة تأخـذ على نظام المساعدة مظهره السياسي . فهي تخشى من أن يضعهـا قبول المسـاعَـدَة تحت سيطرة الدول المساعِدة . وتـدعو إلى الملاحظـة بـأن أهميـة المسـاعـدة في تنميتهـا الاقتصادية أقل عظمة بكثير من أهمية التجـارة . وبمـا أن إحـدى مميزات التخلف هي في الواقع أنها لا تملك غير تصدير عدد قليل تمـاماً من الحـاصلات الزراعيـة أو المواد الأولية عموماً ، فإن تأثير الأسعـار العـاليـة لهـذه المنتجـات مريع . ويكفي تخفيض ليتأثر البلد المصدر بشكل عميق .

ولحل هذه المشاكل عقدت مؤتمرات اقتصادية عاليـة . والطلب في انعقـادهـا

(١) منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية : (.O.C.D.E) .

عبرت عنـه ، لأول مرة في ١٩٦١ ، الجمعيـة العمـوميــة لـلأمم المتحــدة . والمجلس الاقتصادي والاجتماعي ، الذي وافقت عليه الجمعية العمومية ، كان قد اتخـذ القرار في الدعوة إلى مؤتمر ، تحت اسم (مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية) . انعقـد في جنيـف من ٢٣ آذار إلى ١٥ حـزيران ١٩٦٤ . وضم ١٢٣ دولـة (١١٣ دولـة كانت أعضـاء في منظمـة الأمم المتحـدة ، و ١٠ بـلاد لم تكن أعضـاء فيهـا ، من بينهـا دولتان صناعيتان من الصف الأول : ألمانيا الغربيـة وسويسرا) . ولم تـدع الصين الشعبية ، بالرغم من أهمية سكانها . وبالإجمال فإن هذا المؤتمر سجل اختلافاً عميقـاً بين الأنغلو ـ سـاكسون وفرنسـا . والأطروحـة الفرنسيـة ، التي يـدعمهـا (أنـدره فيليب) ، تتناول الأسعار العالمية للمواد الأولية . فعوضـاً عن أن تثبت بـالحركـة الحرة للسوق العالمية ، اقترحت فرنسا اتفاقاً دولياً يساعد على ارتفـاعهـا . وذلـك بـأن يستمر المنتجـون في قبض الأسعـار الحــاليــة المستقرة . ولكن على أن يـؤلف الفرق ، بين هذه الأسعار والأسعار المرتفعـة ، واسطـة لتمويل صنـدوق مسـاعـدة للبلاد المتخلفة تديره البلاد المستفيدة كما كانت مساعدة مارشل لأوربـة بين ١٩٤٨ و ١٩٥٢ . وعلى أن يساعد هذا الصندوق على إرسـال الفوائض الغـذائيـة للمنطقـة المعتدلة نحو البلاد المهددة بالمجاعة . وأخيراً اقترح المشروع الفرنسي تجمعات إقليمية بين البلاد القليلة النمو . وهذا ما كان شكلاً لـدعم تجمع البلاد الإفريقيـة النـاطقـة باللغة الفرنسية ولها روابط ممتازة مع السوق الأوربية المشتركة .

أما المشروع البريطاني ، الذي يدعمه الأميركيون ، فكان مخالفاً تماماً . لقـد عـارض الإنكليز كل محـاولـة لرفع سعر المواد الأوليـة ، واقترحوا أن تخفض البـلاد الصناعية بشدة رسومها الجمركيـة من أجل المنتجـات التي تصنعهـا البلاد الفقيرة . واستطاعت بريطانيا العظمى أن تستشهد بمثالها الخـاص . فقـد اشترت وحـدهـا لنفسهـا من المنتجـات المصنـوعـة في البـلاد المتخلفـة أكثر من السـوق المشتركـة بكاملها . وطبقت سيـاسـة تفضيليـة مع أمم الكومنولث . واقترحت تطبيق هـذه السياسة على جميع البلاد المتخلفة (مشروع قبله بادئ بدء مؤتمر الكومنولث) .

ودعم فرنسا أعضاء (الاتحاد الإفريقي والمالغاشي للتعاون الاقتصادي) . وعلى النقيض ، اصطفت البلاد الإفريقية الناطقة بالإنكليزية إلى جانب بريطانيا ـ العظمى كبلاد الدومينون ، وبخاصة زيلاندة الجديدة التي هاجمت الأطروحات الفرنسية بعنف . وكانت اليابان معادية للمشروع البريطاني وتخشى على صناعتها من منح امتيازات للبلاد المتخلفة . وكان للاتحاد السوفياتي دور ممحي بالرغم من أنه أسهم عن سعة في مبادرة انعقاد المؤتمر . لقد كان معادياً للهيئة ، التي ضمت البلاد المتقدمة ، أي (الاتفاق العام للتعرفات الجمركية والتجارة = غات)[١] وأراد أن تحل محلها منظمة لا تخضع لنفوذ (احتكارات أمبريالية) . وفي الحقيقة ، تقرب كثيراً من الموقف الإنكليزي أكثر من الموقف الفرنسي . ووضعت بلاد أمريكا اللاتينية نفسها في منتصف الطريق بين أفكار تنظيم أسعار المواد الأولية المقترحة من فرنسا ، والتبادل الحر المقترح من البريطانيين . وانضم الأمين العام للمؤتمر الاقتصادي الأرجنتيني (راؤول بريبيش) ، في أكثر من نقطة إلى الموقف الفرنسي .

وأخيراً ، عملت الولايات المتحدة على إخفاق المشروع الفرنسي . وأكدت بأنه من المستحيل تقنياً تنظيم سعر المواد الأولية . ومن جهة أخرى ، أراد المؤتمر العالمي إحداث مؤسسات (نظم) دائمة . وطالبت الولايات المتحدة أن يكون للأمم الصناعية والغنية فيها نفوذ أقوى من البلاد المتخلفة . وطالبت هذه البلاد الأخيرة بصوت مساوٍ لكل بلد عضو . وتقرر أخيراً إنشاء (مجلس التجارة الدولية) على أن تتخذ القرارات الهامة فيه بأغلبية الثلثين ، وأن يضم ٥٥ عضواً ، منهم ١٨ عضواً غربياً ، ٦ من الفريق السوفياتي ، ٩ من أمريكا اللاتينية ، ٢٢ أفروآسياً . وفي الواقع ، كانت سلطات هذا المجلس ضيقة جداً . والقرار الوحيد الهام الذي اتخذه المؤتمر كان قرار ـ دون غد ـ البلاد المصنعة في تخصيص أقل من

(١) غات .G. A. T. T

١ ٪ من دخلها القومي لمساعدة العالم الثالث . وهذا الحل اقترحته فرنسا وصوتت عليه ١٠٧ أمم . وامتنع الاتحاد السوفياتي وبلاد الكتلة السوفياتية ، باستثناء رومانيا . واعتذرت بقولها إن الأمم الغربية وحدها ، التي كانت قد طبقت الاستغلال الاستعماري ، ملزمة بإصلاح ، ولكن هذا لا يكون إلا جزئياً ، الخسائر التي سببتها لشعوب مستعمراتها القديمة . لقد كان القصد رد الشيء لصاحبه ، ولم يكن لدى الاتحاد السوفياتي شيء يرده .

مؤتمر نيودلهي (١٩٦٨) أو مؤتمر الأمم المتحدة للاقتصاد والتجارة والتنمية (كنوسيد الثاني)[(١)]

ولما لم تحل المشكلة دعت الأمم المتحدة إلى عقد مؤتمر آخر للاقتصاد والتجارة والتنمية في نيودلهي في الأول من شباط إلى ٢٩ آذار ١٩٦٨ . مثلت فيه ١٢١ دولة ، و ٤٤ منظمة دولية ، وضم ١٦٠٠ مشارك . وكان ينتظر منه أكثر من مؤتمر جنيف . أما البلاد المتخلفة ، وعددها ٨٩ ، فقد اجتمعت في الجزائر العاصمة ، في تشرين الأول ١٩٦٧ ، وكانت قد أعدت وثيقة أطلق عليها (ميثاق الجزائر) وتتضمن الأساسي من مطالبها المشتركة . ومع ذلك ، فإن الظروف كانت مناسبة قليلاً . فقد نمت التوترات النقدية الدولية في ١٩٦٨ ، وفي آخر آذار ١٩٦٨ أنشئ سوق الذهب المزدوج . وصوت المؤتمر على ٣٤ قراراً كان عدد منها شكلياً محضاً . وحصل تقارب مع المواقف الأنغلو ـ ساكسونية لعام ١٩٦٤ . وفي تشرين الأول ١٩٦٧ ، قبلت بلاد (منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية .O. C. D. E) أن تخول تفضيلات تعرفية لمجموع البلاد المتخلفة . وكانت بلاد العالم الثالث من جانبها مشجعة لسياسة التفضيل المعممة هذه وأعلنتها في الجزائر . ولكن الإجماع لم يتم إلا على المبدأ . أما الوضع موضع التطبيق فقد كان بعيداً جداً عن التحقيق .

---

(١) كنوسيد الثاني : (Cnuced II) .

مؤتمر سانتياغو شيلي (١٩٧٢) أو الكنوسيد الثالث

انعقد هذا المؤتمر من ١٣ نيسان إلى ٢١ أيار ١٩٧٢ . وكانت جميع بلاد العالم ممثلة فيه تقريباً . كان المحضر عن الحالة مخيفاً : عدم كفاية غذائية (أقل من ٢٥٠٠ حروري في اليوم من أجل ٣٠ إلى ٥٠ ٪ من سكان العالم) ؛ نمو ديموغرافي سريع (أكثر من ٣ ٪ في عشرين بلداً) ؛ عدد مفرط من الفلاحين ؛ تقنيات بدائية ؛ تصنيع غير كاف ؛ تفاوت اجتماعي شديد : ٥ ٪ من السكان تتصرف بـ ٢٨ ٪ من الدخل القومي في المكسيك ؛ ٤٠ ٪ في مدغسكر ؛ ٥٠ ٪ في زئير ؛ بطالة ؛ أمية (٨٠ ٪ لا يعرفون القراءة والكتابة في إفريقية وفي الهند ، ٧٥ ٪ في الشرق الأوسط) ؛ كل هذا مؤثر . ففيما البلاد المتقدمة الغربية لها إنتاج قومي خام بالنسبة لكل ساكن من ٣٢٠٠ دولار وسطياً (في ١٩٧٠) ، كان الرقم ٧٥٠ في أمريكا اللاتينية ، ٢٦٠ في آسيا غير الشيوعية ، ٢٧٠ في إفريقية (حسب آلن فرني)[١] . وحصة البلاد المتخلفة في التجارة العالمية انتقلت من ٣١,٢ ٪ إلى ١٧,٩ ٪ بين ١٩٥٠ و ١٩٧٠ . أما في البلاد الغربية المتقدمة ، فقد ازدادت هذه الحصة من ٦٠,٨ ٪ إلى ٧١,٢ ٪ (الباقي هو تجارة الدول الاشتراكية) .

وعلى هذا فإن مؤتمر سانتياغو (شنتياقب) لم يستطع حل أي من هذه المشاكل . ولم يوجد ناطق باسم العالم الثالث ـ لم تشارك الصين في المنازعات ـ . واتخذت الولايات المتحدة موقف الانتظار ، بحجة افتتاح مرتقب في ١٩٧٣ للمفاوضة التجارية الكبرى المعروفة تحت اسم (جولة نيكسون) . يضاف إلى ذلك أن السنة كانت سنة انتخابات رئاسية ، ولم تنته بعد حرب فيتنام . وأخيراً إن عدم الاستقرار النقدي العالمي جعل كل اتفاق جاد مستحيلاً على أسعار المواد الأولية . وظل الممثل الفرنسي فاليري جيسكار دستن[٢] يدعم الأطروحة الفرنسية

---

(١) آلن فرني : (Alain Vernay) .

(٢) فاليري جيسكار دستن : Valery Giscard D'estaing .

في استقرار (تثبيت) النقد ، وساندہ رئيس (المجموعة الاقتصادية الأوربية C. E. E.) سيكو مانشولت[1] . ولكن لم يتوصل إلى أي نتيجة . وكان القرار الوحيد الهام مساعدة خاصة لـ ٢٥ بلداً من أقل البلاد نمواً : إنتاجها القومي الخام بالساكن أقل من ١٠٠ دولار في العام وأقل من ١٠ ٪ من الإنتاج القومي الخام المتأتي عن الصناعة (وهذا المبدأ الثاني يقصي الهند) . وهذه الـ ٢٥ بلداً ، وتدخل فيها أثيوبيا الأكثر استيطاناً ، تضم في المجموع ١٥٠ مليون نسمة .

طريقة اتحاد المنتجين

بما أن المساعدة والتجارة العالمية لم تساعدا البلاد المتخلفة على اللحاق بالأخرى ، فقد ظهر حل جديد وهو : اتحاد المنتجين لفرض الأسعار . والمثال الوحيد الهام هو مثال البترول .

في ختام الحرب العالمية الثانية ، كانت العائدات (الأتاوات) ـ أي المبالغ التي تدفعها الشركات الكبرى صاحبة الامتياز في التنقيب عن المناجم إلى البلاد التي تمتلكها ـ ضعيفة : ١٢,٥ ٪ في الشرق الأوسط . بيد أن الفينيزويلا دشنت (المناصفة) (عائدات ٥٠ ٪) في ١٩٤٨ . ولكن الشركات الكبرى ، المتجمعة في اتحادات بين بعض المؤسسات المالية لتمويل مشروع اقتصادي ضخم (كونسورسيوم)[2] ، نظمت السوق في الواقع . وفي نيسان ١٩٥٩ ، انعقد في القاهرة أول مؤتمر عربي للبترول . وفي آب ١٩٦٠ ، خفض الكونسورسيوم أسعار البترول الخام . ولم يتأخر رد فعل البلاد المنتجة . ففي ١٥ أيلول ١٩٦٠ ، أنشأت ، منظمة البلاد المصدرة للبترول (أوبيب)[3] التي ضمت في البدء الفينيزويلا ، إيران ، العراق ، العربية السعودية ، الكويت ، ثم قطر ، ليبيا ،

---

(١) سيكو مانشولت : Sicco Mansholt .

(٢) كونسورسيوم : Consortium .

(٣) « أوبيب » بالفرنسية : (O. P. E. P.) ، وبالإنكليزية : (OPEC) وهو الشائع على الألسن .

الجزائر ، نيجيريا ، أبو ظبي إلخ ... وكان المحركون النشيطون فيها شاب سعودي وهو الشيخ عبد الله الطريقي ، والفينيزويلي خوان بيريز الفونسو[1] . ودون الدخول في التفصيل ، يمكن القول بأن عمل منظمة البلاد المصدرة للبترول كان ناجعاً جداً منذ ١٩٧٣ . فقد اقتضى زيادة العائدات ، ثم تأميم الإنتاج (أحياناً إلى ٥١ ٪ ، وفي ذلك ما يعطي الغالبية للمنتج مع إجبار الشركات على ترك ٤٩ ٪ من الرأسمال المستثمر) . وهكـــذا أمم العراق في ١٩٧٢ (شركـــة بترول العراق) المشهورة . وفرنسا المعتبرة نصيرة للعرب ضمنت حصتها خلال عشرة أعوام . ولم تتضامن إيران جزئياً مع قرارات منظمة البلاد المصدرة للبترول . وبالمقابل ، كانت ليبيا والجزائر من أكثر البلاد تطرفاً . وبالإجمال ، ظهر العمل ناجعاً . وفي الحقيقة ، إن طريقة الاتحاد هذه كانت أقل سهولة في التشكيل بالنسبة للمواد الأولية الأخرى . وربما تمثل أملاً هاماً للبلاد المتخلفة .

٣ ـ الخلافات المحدودة

من مميزات العالم الثالث أن عدم استقراره أشد من عدم استقرار البلاد المتقدمة . وإذا استثنينا بعض الدول ، حيث السلطة ثابتة مستقرة ، فإن الانقلابات (البرونسيامنتو) العسكرية فيها كثيرة . وهنا لا نهتم إلا بالخلافات الدولية . والخلافات الأساسية الدولية تكون تقليدياً مرتبطة بقضايا أرضية . ومعظم البلاد المستقلة حديثاً لم تقم حدودها كما كانت تريد . فقد نتجت هذه الحدود عموماً عن اقتطاعات تمت منذ سنوات طويلة على يد الدول المستعمرة . وفي داخل هذه الحدود الاصطناعية ، تحاول البلاد الجديدة ، من جهة ، وضع نظم (مؤسسات) للدولة ؛ ومن جهة أخرى ، خلق روح قومية . وفي الواقع ، يمكن تقسيمها من وجهة النظر القومية إلى عدة فئات .

---

(١) خوان بيريز ألفونسو : Juan Perez Alfonso .

أولاً : يوجد عدد من الممالك القديمة التقليدية التي وجدت في السابق قبل الاستعمار ، وخضعت إلى حمايات أو بقيت مستقلة : (المملكة المغربية ، تونس ، مصر ، أثيوبيا في إفريقية ؛ إيران ، أفغانستان ، تايلاند ، كامبوديا في آسيا) .

ثانياً : حالة بلد لم تكن فيه أي وحدة قومية قبل الفتح الاستعماري ، ولكن المستعمر ، بتهدئته ، حقق فيه وحدة واقعية . وبعد أن استقل البلد ظل يعتبرها مقبولة . وهذه الحالة ، على سبيل المثال ، حالة مدغسكر ؛ فقبل الفتح الفرنسي ، لم يستطع شعب الهوفا[1] في الهضاب السيطرة تماماً على مجموع الجزيرة . وهذه أيضاً حالة الهند ، مع هذا الفارق ، في ١٩٤٧ ، وهو أن الإنكليز والهنود لم يستطيعوا الحيلولة دون انفصال الباكستان . وهذه حال أندونيسيا التي وحدها الهولانديون منذ القرن السادس عشر ؛ والفيليبين حيث فعل الإسبان ثم الأميركيون الشيء نفسه .

ثالثاً : توجد دول تخلصت من الاستعمار منذ زمن طويل واستقرت فيها تقاليد تاريخية . وهذه حال مجموع الجمهوريات اللاتينية ـ الأميركية . فقد بقيت المستعمرات البرتغالية السابقة موحدة ، كما في البرازيل ، ولكن المستعمرات الإسبانية السابقة انقسمت إلى ١٧ جمهورية ، ثم تألفت الجمهورية الثامنة عشرة في ١٩٠٣ بمساندة الولايات المتحدة ، وهي باناما التي انفصلت عن كولومبيا .

رابعاً : الحالة التي لاتوجد فيها الشخصية القومية ، ولكنها ثبتت بنضال مستشر ضد الوطن الأم (الدولة المستعمرة) . وهذه بصورة أساسية حالة الجزائر . ولكن للجزائريين رأي آخر ، وهو أن الشخصية القومية الجزائرية كانت موجودة منذ ماقبل الاحتلال الفرنسي بزمن بعيد بل بقرون .

خامساً : الحالة العامة ، وهي الحالة التي أصبحت الدول المستقلة فيها

(١) الهوفا : Les Hovas .

لاتتفق أو لاتنطبق على أمة . فالجامعة العربية تضم ٢١ بلداً عربياً . وإذا وجد اختلاف عظيم بين بلاد المغرب وبلاد الشرق الأوسط ، بل وحتى بين المملكة المغربية ، التي لم تتبع السلطان العثماني في أي وقت مضى ، والجزائر ، فمن الممكن القول ، في الشرق الأوسط ، بأن الانفصال بين سورية ولبنان هو جزئياً نتيجة الانتداب الفرنسي . وأن الانقسام بين العراق والأردن وفلسطين نتيجة الانتداب البريطاني . فلا عجب إذن أن تكون الخلافات الأرضية عديدة في العالم الثالث الذي لاتتطابق الحدود فيه إلا مع تقليد تاريخي حديث . ولن نورد هنا إلا بعض هذه الخلافات .

الخلافات الإفريقية

يوجد خلاف بين الصومال وأثيوبيا وكينيا بسبب حدودها . لقد أحدثت جمهورية الصومال في ١٩٦٠ بتوحيد جديد من مستعمرتين سابقتين : الصومال البريطانية والصومال الإيطالية . وأراد الصوماليون أن تنمو أرضهم بضم أرض تقع في جنوب أثيوبيا ، وهي : الأوغادن ؛ وساحل الصومال الفرنسي الذي عاد (أرض عفار وعيسى) ؛ ومنطقة الحدود الشمالية ، إقليم تابع لكينيا . وقد فضل الزعماء الصوماليون ، منذ ١٩٥٥ ، تشكيل الصومال الكبرى ، فنجم عن ذلك نزاع بين الصومال وأثيوبيا بسبب الأوغادن ، وبين الصومال وكينيا ، وبين فرنسا والصومال . وتضم أرض (عفار وعيسى) في الواقع ٨١٠٠٠ نسمة ، منهم ٢٥٠٠٠ صومالي . ومنطقة الحدود الشمالية تضم ٢٠٠٠٠٠ نسمة ، ٦٤ ٪ منهم صوماليون . وأخيراً ، في منطقة الأوغادن والمناطق المجاورة ، التي تسيطر عليها أثيوبيا ، يوجد ٨٥٠٠٠٠ صومالي .

والمملكة المغربية طالبت ، في آخر ١٩٥٥ ، بموريتانيا التي مع ذلك تشكلت تحت اسم (جمهورية موريتانيا الإسلامية) ، في ٥ تشرين الأول ١٩٥٨ ، وأصبحت مستقلة في ١٩٦٠ . وقد طالب علال الفاسي ، باسم الحقوق الموسعة في

الكتاب الأبيض المنشور ، في تشرين الثاني ١٩٦٠ ، بإنشاء مملكة مغربية كبرى . وهو يرى أن لهذه المملكة أسساً تاريخية أكيدة . وعرف الخلاف مرحلة حادة من ١٩٥٨ إلى ١٩٦١ ، ودعت المملكة المغربية الشعب الموريتاني إلى الحرب المقدسة وأنمت ضد الدولة الجديدة هجوماً دبلوماسياً كبيراً . وقررت المملكة المغربية أخيراً رفع القضية إلى منظمة الأمم المتحدة . وبالمقابل قبلت تونس بمباركة ترشيح موريتانيا عضواً في منظمة الأمم المتحدة ، ودعمها فريق برازاڤيل . وأخيراً ، في ٢٧ تشرين الأول ١٩٦١ ، حكمت الجمعية العمومية بقبول موريتانيا بـ ٦٨ صوتاً مقابل ١٣ و ٢٠ امتناع . وفي المؤتمر التأسيسي لمنظمة الوحدة الإفريقية ، في أديس أبابا في أيار ١٩٦٣ ، رفض ملك المملكة المغربية كل مشاركة لئلا يلتقي برئيس موريتانيا ولد دادا . وكذا كانت الحال في أعياد الجلاء عن بنزرت ، في تشرين الأول ١٩٦٤ . وهدأ الخلاف ، واعترفت المملكة المغربية بموريتانيا في ١٩٦٩ ، ولكن للحكومتين مزاعم على الساقية الحمراء ، ساقية الذهب (الصحراء الإسبانية سابقاً) .

ويوجد أيضاً خلاف جزائري - مغربي بلغ نقطة الذروة في ١٩٦٣ . فقد طالب علال الفاسي بالقسم الأعظم من الصحراء الجزائرية . وفي تموز ١٩٦١ كان الملك الحسن الثاني قد اعترف و (رئيس الحكومة الموقتة للجمهورية الجزائرية G.P.R.A.) فرحات عباس بوجود مشكلة أرضية ، ولكن المغاربة فوضوا أمرهم لإرادة الجزائر الطيبة . غير أن المملكة المغربية كان لديها انطباع بأن الجزائر لا تريد أن تفي بتعهداتها . ولذا ، في ٨ تشرين الأول ١٩٦٣ ، هاجمت الجيوش المغربية المواقع الجزائرية في الحسي البيضا[١] وتنجوب[٢] . وقام كفاح على جانبي الحدود ، فيما نمت دعاية البلدين بعنف . وفي الواقع لم يكن النزاع طويلاً . فقد

---

(١) الحسي البيضا : Hassi Beida .

(٢) تنجوب : Tinjoub .

أدت المساعي الحميدة التي قام بها الامبراطور هايله سيلاسيه والرئيس موديبو كيتا ، في نطاق منظمة الوحدة الإفريقية ، في ٢٦ تشرين الأول ، إلى لقاء في باماكو[١] . وفي ٣٠ تشرين الأول ، وقع الرئيس بن بللا والملك الحسن الثاني اتفاق وقف إطلاق النار الذي أنهى على الأقل المرحلة الحادة للنزاع . وشكلت لجنة تحديد الحدود في تشرين الثاني ١٩٦٣ . ولكن ، لم يحصل ، منذ هذا التاريخ ، على أي نتيجة . وظل الخلاف عتيداً .

أزمة بيافرا

كانت أزمة بيافرا أخطر الأزمات التي عرفتها إفريقية المتحررة . لأن القصد هنا لم يكن ، كما في الحالات السابقة ، منازعات أرضية بين دولتين وإنما كان محاولة انفصال . إن نيجيريا الواسعة ، المستعمرة الإنكليزية السابقة المؤلفة من ٨٠٠٠٠٠ كم^2 من أغنى بلاد إفريقية . فإلى الثروات ، التي وجدت في العصر الاستعماري ، أضيفت ، انطلاقاً من ١٩٥٥ ، الموارد البترولية التي يأتي القسم الأعظم منها ـ أكثر من الثلثين ـ من المنطقة الشرقية ، بيافرا .

وتقريباً ، ككل الدول الإفريقية الجديدة الموروثة عن الاستعمار ، نرى في نيجيريا تجمعاً اصطناعياً من أقوام مختلفة ، أهمها :

١ ـ الهاوسا[٢] والبول[٣] في الشمال (١٦ مليوناً) ، وهم مسلمون مشكلون في اتحادات كونفدرالية على هامش العالم الحديث ، وقد سيطر الإنكليز عليهم منذ زمن قليل حسب صيغة (الحكم غير المباشر) .

٢ ـ اليوربا[٤] في الجنوب الغربي (٨ ملايين) مقسمون إلى ممالك ، وفي

---

(١) باماكو : Bamako .

(٢) الهاوسا : Les Haoussas .

(٣) البول : Les Peuls .

(٤) اليوربا : Les Yourbas .

الغالب مسلمون ، ولكن مع مؤثرات قوية من المسيحية والأفكار الحديثة .

٣ ـ الإيبو[١] ، في الشرق ، وهم مسيحيون وبخاصة كاثوليك في غالبيتهم بفضل شبكة كثيفة من البعثات التبشيرية والمدارس . وكان كثير من الإيبو قد هاجروا نحو غرب البلاد وشمالها . ونجد في نيجيريا الأحزاب الثلاثة الآتية :

١ ـ حزب المؤتمر القومي للمواطنين النيجريين (N.C.N.C.) ، ورئيسه الدكتور آزيكيوي[٢] ، أحد مؤسسي القومية النيجيرية ، وهو إيبوي .

٢ ـ حزب مؤتمر شعوب الشمال (N.P.C.) ويوجهه السير أبو بكر تافوا باليوا[٣] الذي ترأس الحكومة الاتحادية (الفدرالية) من ١٩٦٠ إلى ١٩٦٦ .

٣ ـ حزب العمل ، وهو مرتبط جداً بغانا .

كانت سنة ١٩٦٥ و ١٩٦٦ سنتي اضطرابات . فقد اغتيل السير أبو بكر ، في ١٧ كانون الثاني ١٩٦٦ ، وكذلك الوزير الأول لنيجيريا الشمالية المناصر للرئيس جمال عبد الناصر ، ووزير المالية . وقد حاول الجنرال إيرونسي[٤] الذي استلم السلطة ، مدعوماً من حزب العمل ، أن يقيم نظاماً مركزياً بقوة ، وحذف الأحزاب السياسية . وفي أيار حدثت مجازر هامة للإيبويين في كانو[٥] ، وفي منطقة الشمال كلها ، والتجأ عدد من الذين كانوا قد هاجروا نحو الغرب والشمال (كوادر وسطى وعليا) إلى بيافرا . واغتيل إيرونسي بدوره في تموز ١٩٦٦ ،

---

(١) الإيبو : Les Ibos .

(٢) آزيكيوي : Azikiwe .

(٣) السير أبو بكر تافوا باليوا : Sir Abubakr Tafewa Balewa .

(٤) إيرونسي : Ironsi .

(٥) كانو : Kano .

وحل محله العقيد غوون[1] ، وهو مسيحي ، ابن راع ، رجل دين ، ولكن كان له اعتبار لدى مسلمي الشمال لأنه كان ينتمي إلى قوم صغير ، اليعقوبيين ، وشجب غوون السياسة المركزية ، ولكنه عوضاً عن الاتحاد الثلاثي ، أحل اتحاداً فدرالياً اثني عشرياً قسم الإيبويين بين عدة دول (٢٧ أيار ١٩٦٧) .

وبعد مناقشات طويلة دون نتائج ، قرر العقيد أوجوكووو[2] ، الإيبوي ، أن يقاوم بالقوة ضد هذا القرار ، وفي ٣٠ أيار ١٩٦٧ ، أعلن استقلال بيافرا ، التي لا تنطبق تماماً مع قوم الإيبو . وكان أحد أهداف العملية منع الشرق من دفع العائدات إلى الدولة الاتحادية من أجل بتروله ، وانطلاقاً من الحين الذي أعلن فيه الانفصال ، كانت القضية الحقوقية ، التي وضعت على بساط البحث ، معرفة ماإذا كان القصد قضية داخلية ، وهذه وجهة نظر الحكومة النيجرية التي تبعتها منظمة الأمم المتحدة ، أو علاقات دولية .

إخفاق الانفصال

كان الكثير من ضباط الجيش النيجيري إيبويين ، وهذا ماساعد العقيد أوجوكووو على تشكيل جيش . ولقي أيضاً مساعدة المرتزقة الأوربيين . هاجمت القوات الاتحادية وأخذت الميناء البترولي بوني[3] الواقع في الجنوب . ولكن البيافريين قاوموا ، وعلى هذا النحو نشب القتال في حرب فظيعة دامت عامين ونصف العام .

ونجم موقف منظمة الأمم المتحدة من موقف معظم بلاد العالم الثالث . ومهما يكن ، بالنسبة لهذه البلاد ، الطابع الاصطناعي لحد من الحدود ، فإن

---

(١) غوون : Gowon .

(٢) أوجوكووو : Ojukuwu .

(٣) بوني : Bouny .

الانفصال قبيح بذاته . فهو يخلق سابقة قد تستخدمها جميع الأقوام التي تشعر بأنها مضايقة في دولة غير منسجمة ومتلاحمة - حالة كثيرة الوقوع في إفريقية - لقد شوهد إصرار بلاد العالم الثالث على إرادتها في الحفاظ على وحدة الكونغو . وحالة بيافرا مماثلة ، مع هذا الفارق ، وهو أن أربعة بلاد إفريقية وواحدة أميركية اعترفت بها كدولة : تانزانيا ، الغابون ، ساحل العاج ، زامبيا ، في نيسان - أيار ١٩٦٨ ، وهايتي في آذار ١٩٦٩ . والدول الكبرى ، إما أعلنت عن دعمها وأرسلت أسلحة إلى الحكومة الفدرالية ، مثل بريطانيا - العظمى والاتحاد السوفياتي ؛ وإما ، مثل فرنسا ، لم تخف تعاطفها مع بيافرا ، ولكنها انتظرت بحذر تطور الحرب للعمل على اعتراف محتمل . وتحدث الجنرال دوغول مع هوفويه - بواني في حزيران ١٩٦٧ ، ثم في آذار ١٩٦٨ ، ويظهر أن وزير المجموعة الاقتصادية الأوربية جاك فوكار[١] حاول مساعدة بيافرا بشكل منظم . ولكن يبدو من المبرهن عليه أن (هوفويه - بواني) هو الذي دفع في هذا الأمر الجنرال دوغول الذي ظل حذراً ، وليس العكس حسب نظرية (جاك باتمانيان)[٢] . ولم يكن الجنرال غضباً لإضعاف نيجريا التي كانت قد احتجت ضد التجارب النووية الفرنسية في الصحراء الكبرى . واتخذ موقفه مراراً عديدة منذ ٣١ تموز ١٩٦٨ : « إن الدم المسفوك والآلام التي تتحملها شعوب بيافرا ، منذ أكثر من عام ، تدل على إرادتها في إثبات نفسها من حيث هي شعب » . يجب حل الخلاف « على أساس حق الشعوب في تقرير مصيرها بنفسها » .

بالنسبة لأنصار بيافرا ، المتأثرين بالدعاية الفظيعة التي أطلقها بمهارة أوجوكووو : « الحرب إبادة أمة » . وبالنسبة للآخرين ، الموقف الذي اتخذته فرنسا أطال حرباً سلفاً خاسرة . لقد حرم البيافريون من ميناء في الجنوب ، ثم

(١) جاك فوكار : Jacques Foccart .

(٢) جاك باتمانيان : Jacques Batmanian .

قطعوا عن الكمرون ، وخسروا آخر ميناء جوي حديث لهم (ميناء ـ هاركور) ، وخضعوا لحصار اقتصادي قاسٍ ، ولكنهم استعادوا الأمل في صيف ١٩٦٨ بفضل وصول طائرات أتت من ليبرفيل (غابون) من أبيد جان (ساحل العاج) محملة بأسلحة فرنسية ، وبعد ذلك من جنوب ـ إفريقية ، وبرتغالية . ويبقى من الصعب تقدير نصيب المبادرة المتبادلة من فرنسا والغابون وساحل العاج . وهذا ماأدى ببيافرا المتشددة حين محاولة وساطة منظمة الوحدة الإفريقية في (كيمبالا) ، (أيار ١٩٦٨) ، بأن تبقى كذلك أثناء (محاولة الحظ الأخير) في آب ١٩٦٨ في أديس ـ أبابا . ويقول الخصوم إن هذا الانفصال قبيح في ذاته . فقد قال رئيس مدغسكر (تسيرانانا) : « إنني ضد كل انفصال » . وصرحت حكومة الولايات المتحدة في حزيران ١٩٦٨ ، « إن الاعتراف ببلد انفصالي يشكل سابقة بائسة تماماً » . ودل آخرون على الخطر الذي يوجد من معارضة (إفريقية مسيحية) مع (إفريقية إسلامية) . وسيلاحظ بأن آزيكيوي نفسه ، مؤسس القومية النيجرية ، إيبوي ، تحزب بشدة ضد الانفصال . ولتجنب اللوم عن الإبادة ، قبلت حكومة لاغوس طيران التموين الذي نظمته (اللجنة الدولية للصليب الأحمر .C. I. C. R) . ولكن أوجوكووو اطرح الشرط الذي وضعته لاغوس وهو أن يكون هذا الطيران نهارياً فقط . وسيلاحظ بأن الفاتيكان كان متحفظاً جداً بشأن بيافرا وأن الصين مشجعة ـ ربما لأن الاتحاد السوفياتي كان معادياً لها بعمق .

وفي غضون السنة ١٩٦٩ كلها ، قاومت بيافرا . ولكن كان من الواضح أكثر فأكثر أن الهزيمة تقترب . إن استقالة الجنرال دوغول في نيسان ١٩٦٩ ذهب بفرنسا إلى التحفظ . فقد خسرت بيافرا آخر مدينة ، (أمواهيا) ، في نيسان . وفي ٨ كانون الثاني ١٩٧٠ ، غادر أوجوكووو بيافرا فجأة . وطلب خلفه ، الجنرال (إفيونغ) الصلح . وعليه فقد أخفق انفصال بيافرا .

الخلافات في آسيا

من الممكن أن يلاحظ في آسيا أن عدة خلافات في دولة ما مرتبطة بوجود أقليات عرقية هامة جاءت أحياناً ، في عصر بعيد في الزمن ، من بلاد أخرى أصبحت اليوم دولاً مستقلة .

وهذه على سبيل المثال حالة الهنود في سيلان . يوجد في هذه الجزيرة من جهة ، منذ قرون ، تاموليون[1] ، أصلهم من جنوب الهند (١ مليون) ، يطالبون باستعمال لغتهم القومية . ولكن يوجد أيضاً هجرة عمال هنود عددهم ٩٥٠٠٠٠ في العام ١٩٥٣ . ووجد حل لهذه القضية بالتجنيس . فمن ذلك أن ١٠٠٠٠٠ من هؤلاء الهنود أصبحوا مواطنين سيلانيين في ١٩٥٨ . ثم أبرم اتفاق في ١٩٦٤ بين سيلان والهند من أجل إعادة ٥٢٥٠٠٠ هندي إلى وطنهم ، بينما خولت سيلان المواطنية إلى ٣٠٠٠٠٠ آخرين . وأوجد تطبيق هذا الاتفاق حالة توتر من الصعب تهدئته .

وكذا الحال من أجل الأقليات الصينية في بعض المناطق ، وبخاصة في أندونيسيا . وحتى انقلاب ٣٠ أيلول ١٩٦٥ ، كانت العلاقات ، بين الصين وأندونيسيا ، طيبة . ومنذ هذا التاريخ ، أصبحت صعبة . يوجد ٣,٥ مليون صيني في أندونيسيا أي ما يقارب بقليل ٣ ٪ من مجموع السكان . نصفهم تقريباً من قومية صينية . وقد أوقفت الهجرة عملياً منذ ١٩٥٠ . إلا أنه يوجد نمو كبير في القومية الصينية ، واهتمت الصين أكثر فأكثر بصينيي ما وراء البحر ، فضلاً عن أن القانون الصيني ينص على أن يبقى صينيو ما وراء البحر صينيين . والحكومة المناصرة للغرب ، القائمة على السلطة منذ ١٩٦٥ في أندونيسيا ، قامت بعدة إجراءات ضد نشاطات الصينيين الاقتصادية . مما أثار أحياناً حوادث عنيفة ولا سيما في ١٩٦٦ و ١٩٦٧ .

---

(١) التاموليون : Tamouls .

وهذه أيضاً حالة الماليزيين في تايلاند أو (الباشتون) في باكستان ، وتطالب بهم أفغانستان (يوجد تقريباً مجموع ١٠ ملايين باشتوني ـ يسميهم الهنود (باتان) ، والباكستانيون يسمونهم باختون ـ منهم ٥ إلى ٦ مليون يعيشون في أفغانستان و ٥ مليون على أرض باكستان) . ويرى الأفغان أن إعادة باشتونيستان الكبرى المستقلة يساعد على نمو واسع لإمبراطوريتهم . وكان البريطانيون يعيقون هذا النمو . والصعوبة الأساسية هي أن الاتحاد السوفياتي يدعم مطالب الأفغان ، بينما الولايات المتحدة لاتدافع إلا بفتور عن النظريات الباكستانية . أما مطالب الباشتون الخاصة ، أي الاستقلال بالنسبة للدولتين المتنافستين ، فيبدو أنها ضعفت كثيراً .

وانطلاقاً من ماليزيا (المستقلة منذ ٣١ آب ١٩٥٧) ، أثار إنشاء (مالايزيا) الكبرى (أيلول ١٩٦٣) التي تضم المحميات البريطانية في شمال بورنيؤ (صباح ، برونيئي ، وسرواك) ، ثلاثة خلافات : مع أندونيسيا ، التي تضم جنوب برونيؤ ؛ ومع الفيليبين ، التي تطالب بصباح ؛ وأخيراً مع صينيي سنغافورة . وفي سنغافورة يحسب ٧٧,٦ ٪ من الصينيين . وفي ماليزيا ٤٤,٧ ٪ من الصينيين و ٤٣,٥ ٪ من الماليزيين . وفي مالايزيا ٣٨,٤ ٪ من الصينيين و ٤٩,٥ ٪ من الماليزيين ، وكذلك ١٠,٨ ٪ من الهنود . والأولى من خسارة الغالبية ، أعلن صينيو سنغافورة الاستقلال وحصلوا عليه في آب ١٩٦٥ . ودولة سنغافورة صغيرة جداً ، ولكنها غنية . وقد بلغ عدد سكانها ١,٨٦٥٠٠٠ نسمة في ١٩٦٥ . هذا وإن ثورة السكان المسلمين المكشوفة في جنوب الفيليبين خففت مطالبة هذا البلد بصباح .

والأقاليم الأربعة في جنوب تايلاند يسكنها بصورة أساسية ماليزيون (٥٠٠٠٠٠) . وقد وعى هؤلاء ، منذ ١٩٤٦ ، وضعهم الخاص ، وبعضهم رغب الارتباط بأقاليم ماليزيا . ومارست الشيوعية الصينية عليهم أيضاً نفوذاً واضحاً

شجعه الصينيون (من غراس شجر الكوتشوك هيفيا[1] أو تجـار) الـذين يعيشون في المنطقة نفسها . وفي الدغل توجد عصابات شيوعية مناصرة للصين الشيوعيـة . وعلى نقيض ماحدث في مـاليزيـا ، حيث كانت الشيوعيـة نشيطـة بعـد الحرب ، يرى ، في تـايـلانـد ، تعـاون بين الشيـوعيين الصينيين والمـاليزيين . وحكـومـة بـانغكوك ، التي تكافح من قبل التخريب الشيوعي في شمال ـ شرقي البـلاد ، هي في نزاع مع هذه العصابـات في الجنوب . ولكن منـذ ١٩٥٧ ، لم تطـالـب الحكومـة الماليزية المستقلة بضم الأقاليم الأربعة .

خلاف كشمير (تتمة) والحرب الهندية ـ الباكستانية في ١٩٦٥

بين ١٩٥٤ و ١٩٥٩ ، ودون الأخـذ بعين الاعتبـار عمل الأمم المتحـدة ، ضمت الهند عملياً كشمير . وفي ١٩٦٢ ، تفاقمت الحالة . ولم يوجد صدامات بين الطائفتين الإسلامية والهندوسية فحسب ، وإنما أيضاً ، أعلن بلاغ صيني ـ بـاكستـاني ، في ٣ أيار عن قرار البلدين بتعيين الحدود بين سن كيانْغ[2] الصينية وكشمير الباكستانية (وسيـوقـع الاتفـاق في ١٢ آذار ١٩٦٣) . وقـد اتفـق هـذا التقـارب مـع تـدهـور العـلاقـات الصينيـة ـ الهنـديـة ، الـذي أدى إلى حرب قصيرة في ١٩٦٢ (من ٢٠ تشرين الأول ـ ٢١ تشرين الثاني) . وأجبرت هـذه الحرب الهنـد على التخلي عن مـوقفهـا والمبـاشرة بمفـاوضـات مـع البـاكستـان بشـأن كشمير . وأخفقت هـذه المفـاوضـات من جـديـد . وكان الـزعيم المسلم ، الشيـخ عبـد الله ، زعيم (جبهـة الاستفتاء) ، على علاقات طيبة مع نهرو (الـذي توفي في ٢٧ أيـار ١٩٦٤) ، ومع ذلك أوقفته السلطات الهندية في أيار ١٩٦٥ .

وفي ٥ آب ١٩٦٥ ، حدث في منطقة (بونش)[3] حادث حدود عنيف فأثـار

---

(١) هيفيا : Hevéas .

(٢) سن كيانغ : Sin Kiang .

(٣) بونش : Poonch .

الحرب بين الهند والباكستان . وامتدت العمليات من (منطقة وقف إطلاق النار) إلى الأراضي كلها في البلدين . واتهم الهنود الباكستانيين بأنهم أثاروا هذه الحرب بتسلل المحرضين . ومن ٥ إلى ١٦ آب ، قام الباكستانيون بالهجوم . ثم رد الهنود الهجوم . وفي منتصف أيلول ، استقرت (الجبهة) قليلاً تقريباً .

كيف يمكن إنهاء الخلاف ؟ في أيلول ، تدخلت الصين على الصعيد الدبلوماسي لصالح الباكستان ، وفي ١٦ منه وجهت إنذاراً إلى الهند وأخطرتها رسمياً بتهديم التحصينات التي أقامتها هذه على الحدود الصينية . وأعلم الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الصين بأنها لن يتسامحا بهذا التدخل .

أمر مجلس الأمن بوقف إطلاق النار في ١٨ أيلول . وقبلت الهند والباكستان . ونجح الاتحاد السوفياتي عندئذ بضربة معلم . اقترح على الخصمين أن يلتقيا على أرض سوفياتية في طشقند ، بحضور كوسيغين . وجرى لقاء طشقند ، بين أيوب خان والوزير الأول الهندي شاستري ، من ٤ إلى ٩ كانون الثاني ١٩٦٦ . وفي ١٠ منه أعلن بلاغ تعهد البلدان بموجبه بألا يلجآ إلى القوة ، وأن يستأنفا محادثاتها . وحدثت ضربة مسرح[1] ، في ١١ كانون الثاني ١٩٦٦ ، عندما توفي الوزير الأول الهندي بغتةً . وكانت خلفه امرأة وهي السيدة أنديرا غاندي ، ابنة الرئيس الراحل نهرو . وأخذت على عاتقها بقوة قيادة حزب الكونغرس ، وربحت الانتخابات ، وتابعت سياسة التفاهم الطيب مع الاتحاد السوفياتي التي دشنت برحلة بولغانين وخروتشوف إلى الهند في تشرين الثاني ـ كانون الأول ١٩٥٥ . أما ما يتعلق بكشمير ، فالمشكلة كانت أبعد من أن تحل .

خلاف بنغلادش

لعلنا نتذكر أن البريطانيين والهنود ، في ١٩٤٧ ، رضوا بتقسيم شبه القارة

(١) ضربة المسرح هي التغير المفاجئ للحال .

الهندية . فإلى جانب الهند ، الدولة العلمانية ، أنشئت دولة إسلامية ، الباكستان . وكان لهذا البلد شكل غير طبيعي . كان مقسماً إلى قسمين ، مثل ألمانيا في ١٩١٩ ؛ وعلى خلاف هذه ، لم يكن (ممراً) ، وإنما منطقة من ١٧٠٠ كم من الأرض الهندية تفصل الباكستان الغربية (٦٠ مليون نسمة تنطق أساساً باللغة الأردية) عن الباكستان الشرقية ، في شرق كالكوتّا (٧٥ مليون نسمة تنطق أساساً باللغة البنغالية) . وبالرغم من الدين الإسلامي المشترك ، كانت الباكستان الشرقية تشعر بأن الباكستان الغربية تسيطر عليها . وقيل عنها بأنها (مستعمرة استغلال) . فقد كانت متخلفة على الصعيدين الاقتصادي والثقافي وتعيش بصورة أساسية من تصدير الجوت (المهدد بالمواد البلاستيكية) ، ومن وجهة النظر السياسية خاضعة . وكان الشيخ مجيب الرحمن ، زعيم التشكيل السياسي الهام ، عصبة العوام . قد زج في السجن مراراً عديدة لأنه كان يطالب بأن تصبح اللغة البنغالية لغة رسمية للباكستان بنفس الصفة التي هي للأردية . وزاد استلام العسكريين للسلطة ، في تشرين الأول ١٩٥٨ ، (الماريشال أيوب خان) في معارضة السياسيين البنغاليين . وبدا أن إحلال الجنرال يحي خان محل أيوب خان ، في آذار ١٩٦٩ ، يحسن الحالة . فقد دعا جمعية تأسيسية . واقترح مساعده علي بوتو حلفاً انتخابياً على مجيب الرحمن ، ولكن هذا رفض لئلا تفقد الثقة به .

جرت الانتخابات في كانون الأول ١٩٧٠ ، بعد أن اجتاحت الباكستان الشرقية فيضانات عظيمة (صيف ١٩٧٠) وإعصار (١٣ تشرين الثاني) أوقعت مئات ألوف الضحايا . ولم يستطع البنغاليون إلا أن يلاحظوا بطء وشح المساعدات الآتية من الباكستان الغربية . وكانت النتيجة ، في الشرق ، أن عصبة العوام حصلت على ١٦١ مقعداً على ١٦٢ . وفي الغرب ، لم يكن (لحزب شعب الباكستان P.P.P.) ، الذي يتزعمه بوتو ، غير ٨٣ على ١٣٨ . وبصورة طبيعية

يجب أن يكون مجيب الرحمن الوزير الأول . ولكن الحكومة قررت عدم انعقاد الجمعية .

عندئذ ، في آذار ١٩٧١ ، أثار مجيب الرحمن وحزبه إضراباً عاماً . بدأ الزعيم البنغالي بالكلام عن استقلال ذاتي ، بل وحتى الاستقلال . وقام يحيي خان وعلي بوتو برحلة إلى دَكّا وتحادثا مع مجيب الرحمن ، ولم تؤد المحادثات إلى أي نتيجة . وأسيء استقبال الغربيين . وشوهد في كل مكان ظهور علم (بنغلادش) المستقلة . وهاجم الجيش ـ المؤلف من الغربيين جامعة دكا وحاول إبادة عصبة العوام . وأعلنت هذه الاستقلال في ٢٦ آذار ١٩٧١ . وأوقف مجيب الرحمن . واتجه ٧ إلى ١٠ ملايين بنغالي باكستاني ، ومعظمهم يدين بديانة هندية أقلية ، شطر الهند المجاورة التي وجدت نفسها على هذا النحو أمام مشكلة لا حل لها .

والهند ، التي كانت دوماً تدعم وجهة نظر مجيب الرحمن ، بدأت تعدل موقفها . ودعمت الصين الباكستان . والاتحاد السوفياتي ، حسب سياسته الثابتة ، دعم الهند ، ووقع غرميكو في ٩ آب مع وزير الشؤون الخارجية للهند (معاهدة سلام وصداقة وتعاون) .

الحرب الهندية ـ الباكستانية في ١٩٧١ وانفصال بنغلادش

من المؤكد أن الهند كانت تريد إنهاء القضية . ورفضت السيدة غاندي باستعلاء اقتراح الرئيس نيكسون بإرسال مراقبين من منظمة الأمم المتحدة إلى الحدود . ومنذ آخر تشرين الثاني ، اجتازت الدبابات الهندية حدود البنغال الشرقية . وطلبت السيدة غاندي إلى يحيي خان تحرير مجيب الرحمن وتسوية قضية البنغال الشرقية . وفي ٣ كانون الأول ، رد الرئيس الباكستاني بنشوب الحرب على حدود الباكستان الغربية. وأفادت من ذلك الهند للمضي علناً بالحرب .

في الغرب ، أظهر الجيش الباكستاني قليلاً من القوة ولم يتقدم . وفي الشرق ، كانت الهند تتصرف بتفوق عظيم بالطيران . تقدمت جيوشها بسرعة وبلغت ، في ١٤ كانون الأول ، ضواحي دكا . وفي ١٦ استسلمت الجيوش الباكستانية . وفي ١٧ أعلن يحيى خان وقف إطلاق النار بعد ١٤ يوماً حرباً . وأذعن لقبول حل كانت الجمعية العمومية للأمم المتحدة قد اتخذته في ٨ كانون الأول . وبالمقابل ، جمد مجلس الأمن والصين كل عمل . حتى إنه شوهد فيه تبادل غريب فريّ في السباب والشتائم بين المندوبين الصيني والسوفياتي .

وفي ١٧ كانون الأول ، حل علي بوتو محل يحيى ، واعترف باستقلال بنغلادش . وفك عقال مجيب الرحمن واستقبل استقبال الظافرين في الدولة الجديدة ، في كانون الثاني ١٩٧٢ . وتناولت المفاوضة عندئذ قضية اللاجئين ومصير المناصرين للغربيين المضطهدين في بنغلادش . ومنع النقض (الفيتو) الصيني حتى ١٩٧٤ دخول هذا البلد إلى منظمة الأمم المتحدة . وضعفت الباكستان ، ورأت الهند وكذلك الاتحاد السوفياتي تعزيز مواقعهما بصورة عظيمة في شبه القارة الهندية . ويلاحظ ، بتوافق غريب ، أن الصين والولايات المتحدة وجدتا متفقتين في الرأي ـ للحفاظ على الوحدة الباكستانية ـ ، ضد الاتحاد السوفياتي والهند ـ المشجعين للانفصال في هذه المرة .

٤ ـ خلاف عظيم : الحرب الإسرائيلية ـ العربية الثالثة

مقدمات الخلاف الإسرائيلي ـ العربي

ظهر التناقض بين الغرب والشرق في فيتنام بتدخل مباشر من أحد الكبيرين ضد حليف للكبير الآخر . أما في الشرق الأوسط ، فلم يتدخل أي واحد من الكبيرين مباشرة ، ولكن كليهما دعما معسكرين متعارضين . ومع ذلك فإن إرادتهما في الوصول إلى اتفاق ظهرت أيضاً غريبة . إن طرفي الخلاف ، إسرائيل والبلاد العربية جعلا حتى الآن ، كل حل ، بل وحتى كل مفاوضة

حقيقية ، أمراً مستحيلاً . لقد أدت الحرب الإسرائيلية العربية الأولى في ١٩٤٨ إلى وقف إطلاق للنار يثبت الخطوط التي أقيمت عليها الحدود . والحرب الثانية في ١٩٥٦ حافظت على هذا الخط ، ولكنها عهدت إلى جنود الأمم المتحدة أمر رقابة الحدود . وقلما كانت هذه الحدود آمنة وحوادث الإرهاب فيها لاتنقطع . وفوق ذلك لم يؤت بأي حل لقضية اللاجئين العرب الذين غادروا فلسطين في ١٩٤٨ وعاشوا منذ ذلك الحين بخاصة في الأردن ولبنان في معسكرات اللاجئين في ظروف حياة بائسة . وظلت قناة السويس بكاملها مغلقة على إسرائيل . ومع ذلك ، فإن هذا البلد ، بفضل القبعات (العمرات) الزرقاء للأمم المتحدة ، كان يتصل مع البحر الأحمر بميناء **إيلات** الموجود في عمق خليج العقبة . ودخول خليج العقبة تسيطر عليه مصر في شرم الشيخ ، ولكن العمرات الزرقاء تؤمن عبور السفن الإسرائيلية .

غير أن مبادرة من جمال عبد الناصر (ومن المحتمل أن يكون مدفوعاً فيها من قبل الاتحاد السوفياتي الذي استند ـ خطأ ـ على وجود حشود إسرائيلية على حدود سورية)، وضعت نهاية لهذه الحالة ، وأوجدت ظروفاً خطرة على الاقتصاد الإسرائيلي . ففي ١٨ أيار ١٩٦٧ ، طلب الرئيس جمال عبد الناصر من الأمين العام للأمم المتحدة سحب العمرات الزرقاء التي ترابط على الحدود ، في الأراضي المصرية . وقبل (يو ثانت) مباشرة . ويبدو أنه تجاوز إرادة الرئيس عبد الناصر . فقد طلب بأن تبعد عن الحدود لاأن تجلو . وبالحال ، في ٢٢ أيار ، أعلن عبد الناصر بأنه يمنع السفن الإسرائيلية من دخول خليج العقبة بل وأيضاً السفن التي تنقل إنتاجات (استراتيجية) ويدخل فيها البترول الموجه إلى إسرائيل . وأخذ الاتحاد السوفياتي بوجهة نظر جمال عبد الناصر واتهم إسرائيل بأنها هيأت عمليات عسكرية ضد سورية . وأخذ الرئيس (جونسون) بوجهة نظر إسرائيل ، وأسف لوجود غارات عربية على إسرائيل وصرح (مندهشاً)

للانسحاب العاجل لقوة الأمم المتحدة . وأصبحت الحالة متوترة جداً . وشعرت إسرائيل بأنها مطوقة . والملك حسين ، ملك الأردن ، الذي كانت علاقاته مع الرئيس عبد الناصر على العموم سيئة ، قبل ، تحت ضغط الرأي ، الانضمام إلى الحكومات العربية الأخرى ووضع جيوشه تحت القيادة العربية الموحدة . وفي إسرائيل ، ظهر جلاء العمرات الزرقاء عن شرم الشيخ كتأكيد لحصار خليج العقبة وتغلب أنصار الحرب ، عندما دخل الجنرال موشيه دايان ، الغالب في ١٩٥٦ ، في حكومة ليفي أشكول وزيراً للدفاع .

حرب الأيام الستة

قررت إسرائيل أن ترد بالقوة . ففي ٥ حزيران ١٩٦٧ ، انطلق جيشها في الهجوم . ودمر الطيران الإسرائيلي على الأرض ، في بضع دقائق ، القسم الأعظم من الطيران المصري ، من صنع سوفياتي . وهاجم جيش إسرائيلي الكتلة الأساسية من الجيش المصري المحتشد في شمال سيناء ، وكانت المفاجأة كاملة . لقد دمرت القوات المصرية عملياً وتركت الطريق مكشوفاً نحو قناة السويس . وكان سائقو الدبابات الإسرائيلية أفضل تدريباً بكثير ، فلم يجدوا عناء في التغلب على خصومهم المصريين . وفي ٦ حزيران ، أعلنت الأركان الإسرائيلية أخذ غزة . وفي ٧ ، استولى الإسرائيليون على شرم الشيخ الذي يشرف على مدخل خليج العقبة في الأقصى الجنوبي من سيناء . وبعد ظفرهم على المصريين كاملاً ، احتلوا قطاع غزة ومجموع شبه جزيرة سيناء الصحراوية ، وهذا ما ساعدهم على الإمساك بكل الضفة الشرقية لقناة السويس . وعلى هذا النحو ذهبوا إلى أبعد من ١٩٥٦ بكثير حيث أوقفهم التدخل الفرنسي ـ الإنكليزي . لقد كانوا سادة خليج العقبة . واستولى جيش إسرائيلي آخر على القدس التابعة للأردن ، ومنذ ٦ حزيران تابع هجومه على كل الضفة الغربية لنهر الأردن واحتلها أيضاً . وأخيراً استولت قوة إسرائيلية على مواقع هامة استراتيجية سورية (هضبة الجولان) كان السوريون ، انطلاقاً

منها ، يقصفون في الغالب (الكيبوتزات) الإسرائيلية . وفي ستة أيام ، كان النصر كاملاً وكان النجاح الإسرائيلي مرتبطاً بسرعة العمل الصاعقة . وفي هذه الحال إذا أمر مجلس الأمن بوقف إطلاق النار ـ وكان هذا ممكناً ، لأن ما من بلد من البلاد التي لها حق النقض (الفيتو) قبل بعمل إسرائيل ـ وجب الامتثال . وجاء حظ إسرائيل من خطأ الدبلوماسيين العرب المدفوعين من السوفياتيين . فمن ٥ إلى ٨ حزيران ، علقوا وقف إطلاق النار بالجلاء التام عن الأراضي التي اجتاحتها إسرائيل . وعلى هذه النقطة لم توافق الولايات المتحدة . وتأخر قرار مجلس الأمن يومين . وقبلت الأردن وحدها وقف إطلاق النار دون شرط . وقبل الرئيس جمال عبد الناصر الوقف في ٨ حزيران . وقدم استقالته ، واستعادها في الغداة تحت الضغط الشعبي . ولم تقبل سورية إلا في ١٠ حزيران . وفي نفس هذا اليوم قطع الاتحاد السوفياتي العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل .

الدول الكبرى وأعقاب الحرب

لقد نقلت الحرب الأراضي التي تحتلها إسرائيل من ٢٠٨٠٠ كم² إلى ١٠٢٤٠٠ كم² . وكان لإسرائيل حدود من السهل الدفاع عنها . فقد كانت تمسك بالضفة اليسرى لقناة السويس ـ التي بقيت محاصرة حتى ١٩٧٤ . وبقي خليج العقبة مفتوحاً . وفي ٢٣ حزيران صوت البرلمان الإسرائيلي على ضم الجزء العربي من القدس ، بالرغم من احتجاجات منظمة الأمم المتحدة والدول الكبرى . ووجد ٢٠٠٠٠٠ لاجئ زيادة في الأردن ؛ ولكن منذ ٧ آب ، ساعد اتفاق إسرائيلي ـ أردني على إرجاع قسم كبير منهم إلى وطنهم .

ومن المؤكد أن القضية الأساسية ، بالنسبة لإسرائيل ، أن يعترف العرب بها بصورة نهائية وقطعية . ولم تحل الحرب شيئاً في هذا الموضوع . وفي ٢٨ آب ١٩٦٧ ، انعقد مؤتمر ضم ٨ رؤساء دول عربية في الخرطوم ، ولم تحضره سورية ، وقرر ثلاثة لاءات : لااعتراف بإسرائيل ، ولا مفاوضة معها ، ولا معاهدة

سلام . وفوق ذلك ، وضعت إسرائيل شرطاً مطلقاً للاحتفاظ بالقدس ، وهذا مارفضه العرب بنفس الشدة ؛ لأن هذه المدينة ، بالنسبة لهم ، مكان مقدس للدين الإسلامي . وهنا نجد في هذه القضية تناقضاً مطلقاً بين شرط العرب وشرط إسرائيل .

ومنذ ١٢ حزيران ، طلب الاتحاد السوفياتي من الأمين العام للأمم المتحدة أن يدعو إلى جمعية عمومية فوق العادة . وطالب بالجلاء عن كل الأراضي التي يحتلها الإسرائيليون . ووافقت على هذه الدعوة فرنسا التي لامت إسرائيل على ارتكابها العدوان . وهكذا وضعت سياسة الجنرال دوغول نفسها في معارضة مباشرة مع التقليد الفرنسي لخمس عشرة سنة خلت وهو أن هذا التقليد كان مناصراً لإسرائيل . فقد كان القسم الأعظم من عتاد الحرب فرنسياً ، وبخاصة الطائرات (ميراج) . وأمر الجنرال دوغول بوضع الحظر على ٥٠ طائرة (ميراج)[1] ، كانت إسرائيل قد طلبتها ودفعت ثمنها . وفي كانون الثاني ١٩٦٩ ، بعد أن قصف الإسرائيليون مطار بيروت ، ذهب حتى منع تصدير قطع التبديل ، للطائرات المشتراة سابقاً ، نحو إسرائيل . ونتج عن ذلك استياء شديد جداً ، من إسرائيل ضد فرنسا ، وفي فرنسا نفسها ، صدرت حركة معاكسة عنيفة داخلية من الأوساط اليهودية والمناصرة لإسرائيل . وفي مؤتمر صحفي ذهب الجنرال دوغول حتى الكلام عن إسرائيل كشعب (متعجرف وغاز) . وكان الطلب السوفياتي لدعوة جمعية عمومية بحاجة إلى ٦٢ موافقة . وساعد موقف بلاد العالم الثالث الملائم غالباً للبلاد العربية على إيجادها بسهولة . وفي هذه الجمعية ، في ١٩ حزيران ، ألقى الرئيس جونسون خطاباً متفائلاً . وعارض العودة المباشرة إلى الحالة السابقة للحرب . وقبل بأن تنسحب الجيوش الإسرائيلية ، ولكنه لم يوضح إلى أي مواقع ؛ وبالعكس ، صرح كوسيغين ، الذي يمثل الاتحاد السوفياتي ، بأن

---

(١) ميراج : (Mirage) ، تعني (سراب) .

الحالة كانت نتيجة الامبريالية الأميركية التي ظهرت أيضاً في فيتنام وكوبا ، وفي ألمانيا . وتكلم كوسيغين بعنف ضد إسرائيل وصرح بأن هذا البلد كان مجرماً بعدوانه .. وبينما كان الاتحاد السوفياتي يطالب بعودة إسرائيل إلى خطوط هدنة ١٩٤٩ ، كان الأميركيون يقبلون بضم بعض الأراضي . وهكذا اتسع الخلاف شرق - غرب في الشرق الأوسط بالدول الداخلة بين الطرفين . ومن جهة أخرى أفاد جونسون وكوسيغين من الجمعية العمومية للقاء بعضهما . وتكلما عن الشرق الأدنى وفيتنام . وأدت محادثاتهما ، بالنسبة للشرق الأدنى ، إلى اتفاق نسبي : إن وجود إسرائيل ، في نظرهما ، كان مشروعاً ؛ ولكنهما كانا على خلاف تام على انسحاب كلي أو جزئي للقوات الإسرائيلية . وأخيراً تأتي أهمية هذه المحادثة من أنها أظهرت أن الكبيرين لا يريدان قطع العلاقات بالرغم من شقاقهما الأساسي . ولم تحصل القرارات المقترحة لتأييد موقف الجمعية العمومية على غالبية الثلثين ، لأن كثيراً من البلاد اللاتينية - الأميركية دعمت وجهة نظر الولايات المتحدة . ولما كان الاتحاد السوفياتي مسؤولاً عن اجتماع الجمعية العمومية الاستثنائية ، فقد كانت النتيجة أخيراً ، بالنسبة له ، إخفاقاً سياسياً . والقرار الوحيد ، الذي مرّ ، هو القرار الذي اقترحته الباكستان وحصل على ٩٩ صوتاً ضد صفر (٠) و ٢٠ امتناعاً . وهو يقضي بإعادة توحيد القدس الذي أجراه الإسرائيليون ولا يريدون الرجوع عنه . وكان القرار يطلب إلى إسرائيل العدول عن كل الإجراءات المتخذة لتبديل وضع المدينة . ولم تأخذ إسرائيل لذلك أي اعتبار .

هل كان من الممكن الخروج من المأزق ؟ لقد قامت مبادرات مختلفة . ففي ٢٧ تشرين الثاني ١٩٦٧ ، وافق مجلس الأمن بالإجماع على مشروع قرار بريطاني (القرار ٢٤٢) يأمر إسرائيل بالجلاء عن الأراضي المحتلة (بالإنكليزية : من أرض محتلة في الخلاف الحديث)[١] . وقبل مجلس الأمن مجمعاً أيضاً قراراً بريطانياً

(١) « From territory occupied in the recent conflict ».

بإرسال ممثل خاص عن الأمم المتحدة ، السفير السويدي في قبرص ، غونار يارينغ[1] . وتقضي خطة يارينغ بانسحاب القوات المسلحة الإسرائيلية ، وإنهاء الحرب (لقد وجد قصف مصري ـ إسرائيلي على جانبي قناة السويس) ، وحرية الملاحة ، على هذه القناة وفي خليج العقبة ، للسفن الإسرائيلية ، وحل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين . اطرحت مصر الخطة . ومن بعد استؤنفت مفاوضة يارينغ مراراً عديدة دون نجاح أكثر .

وفكر الجنرال دوغول بأن الحل يمكن أن يأتي من تفاهم بين الأربعة (الكبار) . وفي الواقع بدأت المحادثات ، في ٧ شباط ١٩٦٩ ، في الأمم المتحدة وتتابعت دورياً ، دون نجاح .

وفي ٩ كانون الأول ١٩٦٩ ، قدم وزير الخارجية الأميركية روجرز[2] اقتراحاً جديداً . وتتضمن (خطة روجرز) مرحلتين : أولاً ، وقف إطلاق النار ، في الأول من تشرين الأول ١٩٧٠ . ومن بعد اتفاقات منفصلة على متابعة المفاوضة في نطاق مجلس الأمن . ويبدو أن مصر (حيث توفي الرئيس جمال عبد الناصر في ٢٨ أيلول ١٩٧٠) وإسرائيل والأردن وليبيا (حيث ظفرت في الفاتح من أيلول ١٩٦٩ الثورة المناصرة لجمال عبد الناصر التي قام بها العقيد القذافي) قبلت بالمفاوضة . ورفضت سورية والعراق . وفيما عدا وقف أعمال الحرب ، ما كادت المفاوضات تبدأ ، إلا وعارضها الفلسطينيون بشدة .

عمل الفلسطينيين

لقد تعقدت قضية الشرق الأوسط بصورة عظيمة بنمو الحركة الفلسطينية . ويذكر ، أثناء حرب ١٩٤٨ ـ ١٩٤٩ ، أن الفلسطينيين ، الذين يوجههم مفتي

---

(١) غونار يارينغ : Gunnar Jarring .

(٢) روجرز : Rogers .

القدس الحاج أمين الحسيني ، قد أبعدوا عن أرضهم ، وأن البلاد العربية المجاورة ـ سورية ، الأردن ، مصر ـ تقاسمت الجزء الذي ترك للعرب من فلسطين . وبعد هل توجد أمة عربية فلسطينية ؟ في كانون الثاني ١٩٦٤ ، عقد مؤتمر قمة عربي في القاهرة ، وقرر تشكيل (جيش تحرير فلسطين) . وعقد (مؤتمر وطني فلسطيني) في القدس (في القسم الذي كان أردنياً آنذاك) في ٢٨ أيار ١٩٦٤ . وفي مؤتمر قمة عربي عقد في الإسكندرية ، قبلت فيه عضواً (منظمة التحرير الفلسطينية)[١] . وانقسمت الحركة الفلسطينية إلى اتجاهات مختلفة : بعضها معتدل ، والآخر ثوري (الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين)[٢] ومن هذه الجبهة قامت (فتح) بأول عمل عسكري لها ضد إسرائيل في الأول من كانون الثاني ١٩٦٥ . ويبدو منذ ذلك الحين أن زعيم منظمة التحرير الفلسطينية ، السيد ياسر عرفات قد تمتع بجاه وشعبية عظيمين ، وأصبح زعيماً من زعماء العالم العربي .

وبعد ١٩٦٧ ، أخذ عمل (الفدائيين) الفلسطينيين ، الذين كانت لهم قواعدهم في الدول المجاورة لإسرائيل ، لبنان ، سورية ، الأردن ، أشكالاً عديدة : أولاً الغارات على إسرائيل . وهذه الغارات أثارت ردوداً سريعة عنيفة إسرائيلية ـ قصف ، مغاوير ـ ومن جهة أخرى ، كان الفدائيون يميلون إلى التصرف كدولة داخل دولة . ونجم عن ذلك في لبنان ، وبخاصة في ١٩٦٩ و ١٩٧٣ ، اشتباكات دامية بين الجنود اللبنانيين والفدائيين . وسهلت سورية أعمالهم . ومع ذلك منعت الفدائيين من استعمال راديو دمشق في أيلول ١٩٧٣ . وكان موقف الأردن أكثر شدة بكثير ، مما أفقد الملك حسين الكثير من شعبيته في العالم العربي . وبعد صدامات عديدة ، قام في أيلول ١٩٧٠ بحذف (الفدائيين) . وجاشت الحرب في عمان ، وبخاصة في معسكر اللاجئين . وتدخلت الدبابات السورية في الشمال .

---

(١) منظمة التحرير الفلسطينية : (.O. L. P) ، أو بالانكليزية P. L. O. .

(٢) الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين : (.F. P. L. P) .

وكان الجيش الأردني متفوقاً فسحقها وأجبر ما تبقى منها على القتال متراجعاً . أما المقاومون الفلسطينيون فقد دحروا ، وطوقوا واضطروا إلى تسليم أسلحتهم والفرار . وسجن عدد عظيم من الفدائيين . وفي بداية ١٩٧١ ، عاد الهدوء . ووجب انتظار أيلول ١٩٧٣ للقيام بمصالحة كبرى بين الأردن وسورية (التي قطعت علاقاتها وأغلقت حدودها) ، ومصر ، التي قطعت علاقاتها الدبلوماسية وعندئذ منح الملك حسين مبدئياً العفو العام .

وفي ١٩٧٣ ، بدت الحركة الفلسطينية ضعيفة . وتميزت عناصرها المتطرفة (أيلول الأسود) بأعمال قرصنة جوية ، وقتال (في مطار اللد الإسرائيلي) وبأخذ رهائن (قتل الفريق الرياضي الإسرائيلي في الألعاب الأولمبية في مونيخ في ١٩٧٢) . وهذه الأعمال ، التي قلما قدرها الرأي العام العالمي ، قامت من قبل من بعض أفراد منعزلين (تخلت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين علناً عن اختطاف الطائرات) ، ويبدو أنها قد أضرت القضية الفلسطينية أكثر مما أفادتها .

وبالإجمال ، فإن العالم العربي كان في العام ١٩٧٣ أكثر اتحاداً وتلاحماً مما كان في السنوات السالفة . فقد وجد تقارب بين الدول الملكية والجمهورية ، بين المعتدلين والثوريين (ليبيا ، الجزائر ، اليمن الجنوبي) . وبدا الرئيس المصري أنور السادات وجهاً معتدلاً ، مما أثار معارضة قوية ، وبخاصة معارضة الطلاب . وأخيراً ، بينما كانت الولايات المتحدة تريد (توازن القوى) ، وتحل محل فرنسا لتقديم الطائرات العسكرية (الفانتوم)[1] لإسرائيل ؛ وفرنسا ترفض تقديم عتاد الحرب إلى (بلاد ساحة القتال) ـ ولكنها سلمت ١٠٠ طائرة ميراج إلى ليبيا ، كان موقف الاتحاد السوفياتي غامضاً . وطردت مصر الفنيين السوفياتيين ، ولكنها قبلت الأسلحة السوفياتية . وكان في العراق شيوعيون مشاركون في حكومة (يسار البعث) . وسورية ، منذ الحركة التصحيحية ، في ١٣ تشرين

(١) الفانتوم : (Les Phantoms) .

الثـاني ١٩٧٠ ، وضعتهم تحت رقـابتهـا . وفي السودان ، في تموز ١٩٧١ ، سـاعـدت مصر وليبيا الرئيس جعفر نميري على سحق تمرد شيوعي وهو جنين . وليبيـا ، رغم أنها ثورية ، وعلى أهبة الحرب ضد إسرائيل ، كانت آنذاك معادية بعنف للاتحـاد السوفياتي .

الفصل الرّابع

الانفراج

الآمال وتبدد الأوهام

(١٩٦٩ ـ ١٩٧٣)

١ ـ المفاوضات الكبرى : مع الاتحاد السوفياتي

صعوبات الكبيرين الداخلية

إن الدولتين الأعظم ، بالرغم من تزايد قوات الردع والأسلحة دون انقطاع عند كل منهما ، كانتا تشعران بصعوبات داخلية واضحة تعقد مشاكلهما الخارجية .

فالاتحاد السوفياتي ، بعد أن عرف في سنوات ٥٠ نمواً اقتصادياً مزدهراً ، شهد بطءاً في سنوات ٦٠ و ٧٠ . وبالرغم من أن الطرق الإحصائية ليست نفسها ، فمن الواضح أن تنبؤات خروتشوف المتفائلة : اللحاق بالولايات المتحدة في سنوات ٧٠ ، لم تتحقق . وعلى العكس ، فإن التوسع الاقتصادي للولايات المتحدة ، وأوربة الغربية وبخاصة اليابان ، قد تسارع لدرجة أنه إذا بقيت إيقاعات العقد الأخير ، فإن اليابان ، وهي أصغر بـ ٦٠ مرة بمساحتها من الاتحاد السوفياتي ، قد تخاطر بتجاوزه في الإنتاج القومي الخام نحو ١٩٨٥ ـ ١٩٩٠ . ومن وجهة نظر تكنولوجيا التسلح ، إذا كان الاتحاد السوفياتي مساوياً للولايات المتحدة ، فإن هذه الأخيرة تسارع تقدمها في معظم تكنولوجيات الصناعات الشديدة التطور للحد الأقصى . وفيما كان في ١٩٥٧ أول تابع ، السبوتنيك ، سوفياتياً ، كان

الأميركيون أول من مشوا على سطح القمر (آرمسترونغ وألدرين[١] في ٢١ تموز ١٩٦٩) ، ولم ينجح السوفياتيون بعد في هذه المغامرة . وقيل آنذاك بأنهم انطلقوا في اتجاه آخر ، وهو سفينة الفضاء المسكونة . إلا أن الأميركيين أطلقوا ، في ١٩٧٣ ، أول مخبر فضائي ، عاش فيه أناس خلال قرابة شهرين . وفي موضوع الحاسبات الإلكترونية ، التقدم الأميركي عظيم . وفي آن واحد ، بقي مستوى الحياة السوفياتية وسطياً أخفض بصورة ملحوظة كثيراً ليس فقط من مستوى حياة الولايات المتحدة ، بل أخفض من مستوى حياة أوربة الغربية . ولتدارك التخلف العظيم في صناعة السلع الاستهلاكية ، استعان السوفياتيون بالغربيين ، وبخاصة بالأميركيين . وفي مجال التنافس العالمي الواسع ، لم تبد مزايا الاشتراكية من النموذج الماركسي ـ اللينيني بوضوح على الصعيد الاقتصادي المحض .

وفوق ذلك ، توجد أزمة نفسية مرتبطة بتطلع متزايد في بعض الأوساط نحو الحرية الفردية ، وحرية التعبير ، وحرية الاتصالات والمواصلات خارج الاتحاد السوفياتي . ومن المستحيل تقدير انعكاس احتجاجات بعض الكتاب (سولجينيتسين)[٢] وبعض العلماء (زخاروف)[٣] في داخل الاتحاد السوفياتي : وتقول الحكومة السوفياتية إن هذا حادث منعزل ؛ ويقول المهتمون ، الذين يصرون على سعة القمع ، إنه لحادث قاهر . وكذلك الصعوبات التي يلقاها اليهود السوفياتيون الذين يريدون الهجرة إلى إسرائيل ، تسبب اضطرابات إن لم تكن في أفكار المواطنين السوفياتيين ، فعلى الأقل في أفكار العديد من التقدميين في العالم . وبعد ست وخمسين عاماً على الثورة البولشفية لا يعتبر (النموذج) السوفياتي دوماً جذاباً ، ولا سيا في العالم الثالث .

---

(١) آرمسترونغ : (Armstrong) ، وألدرين : (Aldrin) .

(٢) سولجينيتسين : (Soljenytsine) .

(٣) زخاروف : (Sakharov) .

وتعاني الولايات المتحدة آلاماً مختلفة . ففيها التوسع الاقتصادي عظيم على جميع المستويات . ومع ذلك ، بسبب حرب فيتنام ، ظهر نموذج جديد من الخصام . إن الثقة العظيمة عند غالبية الأميركيين في تفوقهم المعنوي ، وفي (رسالتهم) ، وحتى في مؤسساتهم (نظمهم) فسحت مجالاً لشكوك عريضة وظهر زوال الوهم في حلقات واسعة أكثر فأكثر : المفكرين ، الطلاب ، الملاكات (الكوادر) . فالإبقاء على مناطق ذات فقر نسبي ، والتفاوت المصحوب أحياناً بالتفرقة العنصرية بين الأقلية السوداء والبيض ، والخوف من رؤية التلوث بكل أشكاله يدمر صفة الحياة ، والقلق النسبي على القيمة المعنوية للسياسة الخارجية الأميركية ، والفضائح السياسية ، مثل قضية التجسس الداخلي الشهيرة والمسماة فضيحة (ووترغيت)[1] نالت بقساوة من شعبية الرئيس نيكسون ، إن كل هذا ، دون زعزعة النظام (يلاحظ أن ثورات الزنوج العنيفة قد خفت شدتها كثيراً منذ ١٩٦٧ ، وأن اعتراض الطلاب قد خمد تقريباً كلياً) ، دفع كثيراً من المفكرين الأميركيين إلى التفكير وإلى التشكيك بالمبادئ المقدسة : الدستور ، حرية المشروع ، الرأسمالية ، إلخ .. وفي الحقيقة ، إن الطبقة الوسطى العظيمة التي تسيطر على البلاد قد تأثرت قليلاً بهذه الشكوك .

وفي العلاقات الدولية ، إن هذا القلق النسبي ، الذي تعرفه الدولتان الأعظم ، يمكن أن تكون له نتيجة مفيدة إذا كان يساعد على الانفراج .

جهود نزع السلاح

إن مؤشرات الانفراج الوحيدة المحسوسة تهم قضية نزع السلاح . فمنذ قضية صواريخ كوبا ، توطدت فكرة بأن لا الاتحاد السوفياتي ولا الولايات المتحدة ليسا مستعدين للحرب . والرأي العام العالمي ، بالرغم من وجود أكداس التسلح العظيمة ، والقنابل الذرية ، والقنابل الهيدروجينية والصواريخ من كل نموذج ،

---

(١) ووترغيت Watergate .

لا يعتقد بحرب معممة . ومع ذلك فإن هذه الحرب ليست مستبعدة . وعليه فإن نزع السلاح الحقيقي سيكون أفضل واسطة يستطيع الكبيران استعمالها للدلالة على إرادتها بالسلام . والجهد ، الذي يقومان به للحفاظ على (توازن الإرهاب) ، مكلف أكثر فأكثر . فلصنع قنابل أو صواريخ عديدة وقوية ، ولصنع غواصات ذرية ذات عمل بعيد المدى جداً ومجهزة بصواريخ ذات رأس نووي ، يؤول الأمر إلى إضافة تأسيس شبكة صواريخ مضادة للصواريخ وظيفتها الوقوف في وجه صواريخ الخصم . وتكلفة شبكة كهذه تبلغ نسباً خرافية . وحتى بالنسبة للولايات المتحدة أغنى دول العالم كلها ، هذه التكلفة مدمرة . والاتحاد السوفياتي أقل غنى بكثير من الولايات المتحدة ، ولكن من الممكن أن يحفظ عنده قوات قوية جداً ذات تكلفة أخفض (أعطيات الجنود والضباط والمهندسين إلخ ..) ؛ وهذا يقتضي ، بطرق السلطة ، الحفاظ على مستوى حياة ضعيف لشعب يرغب بالبداهة تطوراً نحو الازدهار الحقيقي .

إذن يوجد اختلاف مصالح بين الأميركيين والسوفياتيين ، من جهة لأجل الحفاظ على السلام العالمي ، لأن الحرب ، بتدمير قسم عظيم من البشرية ، لاتأتي بنصر لأحد ؛ ومن جهة أخرى لأجل تخفيض نفقات التسلح . وبما أن الحذر موجود ، فلا يمكن العمل إلا بخطاً محسوبة . والنتائج الأولى التي يحصل عليها على صعيد التسلح ليست نوعاً ما إلا غير مباشرة . فقد اهتم أولاً بتجارب نووية في الجو . وقطعتها جانبياً الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي . ثم استأنف هذا عدة تجارب في أيلول ١٩٦١ ، ولكن توصل فيها إلى التحقق من أن الكشف عن التجارب النووية الجوية كان سهلاً نسبياً ، بينما الكشف عن التجارب تحت الأرض وضعت قضايا شائكة أكثر . وعليه ، إذا كان التحقيق أو الكشف ممكناً ، فإن الرقابة لاتفترض إرسال خبراء إلى أرض الدول الأخرى ، وهذا ما اطرحه السوفياتيون دوماً ، على الأقل على مقياس كبير . ومع ذلك أمكن التوصل إلى

مناقشة عدد التفتيشات السنوية التي يقبل بها كل منهما على أرضه الخاصة . أوحى الأميركيون برقم عشرين . ولم يقبل السوفياتيون إلا ثلاثة ، ولم يتوصل إلى اتفاق على هذه النقطة . ومن جهة أخرى ، بدأت التفجيرات الذرية الفرنسية في ١٣ شباط ١٩٦٠ . ولتحسين تجهيز ذري بادئ ، تقتضي الحاجة تجارب جوية . ولذا رفضت فرنسا كل مفاوضة بإيقاف التجارب النووية في الجو . وصرح الجنرال دوغول بأن القصد من ذلك ليس مشروعاً لنزع السلاح الأصلي ، وإنما محاولة ممن يملكون من قبل القنبلة لمنع الآخرين من الحصول عليها . وعقد مؤتمر ١٨ أمة بانتظام في جنيف بشأن نزع السلاح . وانطلاقاً من آذار ١٩٦٢ ، قررت فرنسا مقاطعته بحجة أنه كان غير نافذ تماماً .

المعاهدتان

في ١٩٦٣ ، تم التوصل إلى بلوغ نتيجتين عظيمتين : الأولى كانت معاهدة موسكو ، في ٥ آب ١٩٦٣ ، تعهدت بها بريطانيا العظمى والولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي انطلاقاً من ١٠ تشرين الأول من السنة نفسها بعدم القيام بتجارب نووية جوية . وبالحال ، شايعت معظم بلاد العالم هذه المعاهدة التي جمعت ، في تشرين الأول ١٩٦٣ ، ١٠٢ بلداً موقعاً . ومن الملاحظ أن فرنسا والصين لم تشاركا في هذه المعاهدة لأسباب كنا عرضناها : إرادة القدرة على القيام بتجارب لا غنى عنها . والنتيجة الأخرى ، التي حصل عليها في ٢٠ حزيران ١٩٦٣ ، وانطلقت بتاريخ الفاتح من أيلول ، كانت إنشاء (الخط الأحمر)[1] ، ويقصد به اتصال دائم بين واشنطون وموسكو بطريق لندن ، وكوبنهاغن ، وستوكهولم ، وهيلسنكي ، يستغل مزدوجاً مع أجهزة رموز مقامة في واشنطون وفي موسكو . ويهدف (الخط الأحمر) إلى مساعدة الأميركيين والسوفياتيين على التشاور مباشرة في جميع الأحداث التي من شأنها إثارة حرب ذرية . والأساسي

---

(١) الخط الأحمر : « Télétype rouge » .

بوضوح ، أمـام نكبـة يمكن أن يسببهـا أقل خطـأ ، تجنب كل سوء تفـاهم وجعـل الاتصال المباشر ممكناً . وفي الحقيقة ، كان مع الجنرال دوغول الحق بـأنـه لا يقصـد نزع السلاح ، بل ، نفسياً ، أليست النتيجة وضع حـد أدنى من الثقـة بين الخصمين الكبيرين العتيدين ؟

ومنذ ١٩٦٣ ، تتابعت المفـاوضـات ، ولكن بنفس البـطء . ولكنهـا أخـذت طوراً جديداً في ١٩٦٧ ، وأدت في تموز ١٩٦٨ إلى توقيع معاهدة جديـدة على عـدم انتشـار الأسلحـة الـذريـة . وقعتهـا الولايـات المتحـدة ، والاتحـاد السـوفيـاتي ، وبريطانيا العظمى ، واطرحتها مرة جديدة فرنسا والصين . وقـد فجرت فرنسـا أول قنبلة هيدروجينية لها في صيف ١٩٦٨ ، بعد عام على القنبلـة الهيـدروجينيـة الصينية الأولى . ولم تكن معاهدة عدم انتشار الأسلحة الذريـة أكثر من معـاهـدة نزع سلاح . فهي تنزع إلى تجنيب دول جـديـدة من أن تضـاف إلى الـدول الخمس التي تملك من قبل السلاح الذري . ولذا نوقشت بشدة . ولم تشارك بهـا ألمـانيـا إلا عندما حلت حكومة المستشار الاشتراكي ـ الديموقراطي فيللي برانت محل الحكومـة المسيحية ـ الديموقراطية .

المفاوضات بين الكبيرين : سولت الأولى

إن توازن الإرهاب ، المرتبط بردع متقـابل من القوتين الجبـارتين النوويتين والحروريتين ـ النوويتين ، يقضي بـأن تبقى هـاتـان القوتـان بمستوى واحـد من الوجهة الفنية . وبتعبير آخر ، على الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة أن تحسنـا وتزيدا أسلحتهما دون انقطاع . ولكن هذا السباق الدائم ـ الذي تتـابع في ١٩٧٣ ـ كان أكثر فأكثر مكلفاً . فهل من الممكن ، إذا لم توضع لـه نهـايـة ـ وهـذا يفترض ثقة متبادلة تامة ، وغياب خطر يصدر عن قوة ثالثة ، كالصين ـ ، أن يحـدد على الأقل ؟

وهـاتـان المعـاهـدتـان ، الأولى ، الموقعـة في آب ١٩٦٣ ، وتمنـع المـوقعين من

إجراء التجارب النووية الجوية ؛ والمعاهدة الثانية الموقعة في تموز ١٩٦٨ ، وتنص على عدم انتشار السلاح الذري ، لا تؤلفان خطوة أولى نحو نزع السلاح ، وإنما هما جهد من الدول النووية لمنع الدول الأخرى من دخول ناديها . مما يدل على أن فرنسا والصين رفضتا توقيعهما ، وأن الهند ـ القادرة تقنياً على إنشاء سلاح ذري ، وقد فجرت أول قنبلة ذرية في ١٩٧٧ ـ رفضت المشاركة في المعاهدة الثانية (فجرت فرنسا القنبلة الذرية الأولى في ١٩٦٠ ، والقنبلة الهيدروجينية الأولى في ١٩٦٨ ؛ وفجرت الصين القنبلة الذرية الأولى في ١٩٦٤ ، والقنبلة الهيدروجينية الأولى في ١٩٦٧) . وهذا التجريب الجوي الذي تابعته الصين على أرضها ، وفرنسا ، في جزيرة موروروا[1] ، في بولينيزيا ، أثار احتجاجات متزايدة . ففي ١٩٧٣ ، قطعت ألبيرو علاقاتها الدبلوماسية مع فرنسا (مع أنها اشترت من هذا البلد طائرات ميراج) ، واحتجت زيلانده الجديدة ، ورفعت أوستراليا المسألة إلى محكمة لاهاي ، التي اعتبرتها فرنسا غير ذات صلاحية في هذا الشأن ، وقاطعت الإنتاجات الفرنسية .

أما بالنسبة للأساسي ، أي بالنسبة للكبيرين ، فقد تمت خطوة حاسمة ، بالرغم من قلة قيمتها ، انطلاقاً من حزيران ١٩٦٨ . وفي ١٢ ، وعلى الفور ، بعد أن تبنت جمعية الأمم المتحدة قراراً يدعو الأعضاء إلى تبني معاهدة عدم انتشار الأسلحة الذرية ، صعد الرئيس جونسون المنبر واقترح على الاتحاد السوفياتي مفاوضة لإيقاف بناء شبكة مضادة للقذائف . وفي ٢٧ حزيران ، اقترح غروميكو ، وزير الشؤون الخارجية السوفياتي ، مفاوضة مع الولايات المتحدة (لتحديد منظومات الصواريخ الدفاعية والهجومية) . وهكذا أمكن الدخول أخيراً في مفاوضات حقيقية لنزع السلاح ، لأنه ، إذا كان من المستحيل ممارسة

---

(١) موروروا : (Mururoa) .

رقابة على أكداس القنابل ذ و هـ ، فيبقى ممكناً الإشراف بسهولة على (وسائل الإطلاق) .

كان انطلاق المفاوضة بطيئاً ، وتأخر لأسباب نفسية بقضية تشيكوسلوفاكيا واستمرار حرب فيتنام . وافتتحت ، في ١٧ تشرين الثاني ١٩٦٩ ، في هيلسنكي في جو ودي . وأطلق الأميركيون على هذه المفاوضة اسم (محادثات تحديد الأسلحة الستراتيجية .S. A. L. T)[١] . ولم تخل مفاوضات ، (سولت) الأولى من صعوبات كبرى ، وأدت إلى اتفاق محسوس . وبالرغم من حرب فيتنام ، شخص الرئيس نيكسون ، يسبقه مستشاره الخاص هنري كيسنجر ، إلى موسكو من ٢٢ إلى ٢٩ أيار ١٩٧٢ . ويؤلف البلاغ المشترك بحق ميثاق الانفراج . ووقع اتفاق في ٢٦ منه من قبل نيكسون وبريجنيف على منظومات القذائف المضادة للقذائف البالستية ، وعلى اتفاق آخر ، موقت (أبرم لخمسة أعوام) ، يتعلق بتحديد الأسلحة الهجومية .

ولم يكن هذا إلا بداية . وكان يجب تحويل المعاهدة الموقتة لعام ١٩٧٢ إلى معاهدة قطعية . ولنلاحظ أن هذه المفاوضات كانت مصحوبة باتفاقات أخرى (أفلاطونية) : معاهدة لندن في ١١ شباط ١٩٧١ في نزع السلاح الذري من الأعماق البحرية ، وقعها ٦٧ بلداً (ولكن لم تقبلها الصين وفرنسا) . ومعاهدة تحرم الحرب البيولوجية ، إلخ ...

ومن الممكن القول بأن التقارب بين الكبيرين قد أحرز تقدماً جديداً أثناء رحلة بريجنيف إلى الولايات المتحدة ، من ١٨ إلى ٢٥ حزيران ١٩٧٣ . فقد تحدث دون انقطاع مع نيكسون ، في البيت الأبيض ، وفي منتجع ديفيد ، وفي سان كليمنت[٢] في كاليفورنيا . والأهم من كل شيء هو تعهد الدولتين بمنع الحرب

(١) Strategic Arms Limitation Talks .

(٢) سان كليمانت : San Clemente .

النووية لا بينهما فحسب ، وإنما أيضاً بين إحداهما ، وبلاد أخرى ثالثة . واتفق الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة على العمل معاً وعلى عجل لمنع كل مخاطرة من هذا النوع . وحسب هنري كيسنجر الذي سيخلف وليم روجرز ، في أيلول ١٩٧٣ ، كوزير خارجية الولايات المتحدة ، كان هذا الاتفاق انقلاباً تاماً للطرق الدبلوماسية ، فقد تعهد الرجلان بتعجيل عملية المفاوضات الجديدة المسماة سولت الثانية[1] .

فهل هذا هو الانفراج ؟ إن الشقاق العميق الذي بقي في الشرق الأوسط يدل في جميع الأحوال على أنه غير تام . ووضعت قضايا أخرى : ألا يعادل الاتفاق بين الكبيرين تقسيماً للسيطرة العالمية ؟ لقد أقلق هذا الاتفاق الصين بخاصة ـ وقد حاول نيكسون تطمينها ـ وفرنسا ، حيث التقى بريجنيف ، في تموز ، بالرئيس بومبيدو ، وربما كان ذلك للغاية نفسها ـ ، ومختلف البلاد الأخرى . وثم ألا يؤدي هذا الاتفاق إلى انسحاب ، على الأقل ، جزئي للقوات الأميركية في أوربة ؟ كان جزء من الرأي الأميركي يرجو ذلك . وقلق الأوربيون الغربيون منه .

وفي هذا المنظور كانت تدور ، في آن واحد ، مفاوضة أخرى . فمن ذلك أن مشروعاً نوقش منذ زمن طويل في أوربة الشرقية ويقضي بعقد مؤتمر أوربي واسع يضم أعضاء ميثاق الأطلسي وميثاق وارسو ، وسنتكلم عنه في الفصل القادم .

توسيع السوق المشتركة

في مؤتمر قمة الأعضاء الستة في المجموعة الاقتصادية الأوربية الذي عقد في لاهاي (١ ـ ٢ كانون الأول ١٩٦٩) ، تخلى الرئيس الفرنسي الجديد جورج بومبيدو عن حق النقض (الفيتو) الذي وضعه الجنرال دوغول على دخول

---

(١) سولت الثانية : (S. A. L. T. II) .

بريطانيا العظمى في السوق المشتركة . بدأت المفاوضات ببطء . ووجدت بريطانيا ـ العظمى ، التي يحكمها الوزير العمالي الأول هارولد ولسون ، في وضع حرج . فمنذ ١٩٤٥ كان نموها بطيئاً دون سائر دول أوربة الغربية جميعاً . وبينما كان إنتاجها القومي الخام في ١٩٦٠ يتجاوز بـ ٢٥ ٪ إنتاج فرنسا ، كان في ١٩٧٢ أخفض بـ ٢٥ ٪ . وما فتئ هذا الهامش في ازدياد . وكان الميزان التجاري البريطاني وميزان حساباتها دوماً في حالة عجز تقريباً . وفوق ذلك ، كان عليها أن تجابه ـ وتجابه أيضاً ـ قضية معقدة وهي قضية الحرب الأهلية بين الكاثوليك والبروتستانت في الأولستر ـ الأرض المتحدة ببريطانيا العظمى في شمال إيرلاندة ، وتطالب بها إيرلاندة دون انقطاع . وكان الحزبان الكبيران ، حزب العمال وحزب المحافظين منقسمين بشكل عميق على الدخول في السوق المشتركة . وكان الحزب الصغير الليبرالي وحده يفضل الدخول حتى الأعماق . وكشفت معظم استطلاعات الرأي مَن ١٩٧٠ إلى ١٩٧٢ ، عن وجود غالبية معارضين .

وفي الانتخابات العامة ، في ١٨ حزيران ١٩٧٠ ، وببغتة عامة تفوق المحافظون وأصبح أدوارد هيث الوزير الأول مع السير اليك دوغلاس هيوم وزيراً للشؤون الخارجية . وسمي أنتوني باربر[1] وزيراً للشؤون الأوربية . وكان هيث مناصراً أوربياً مؤمناً . وفي ٣٠ حزيران ، في بروكسل ، استقبل وزراء الشؤون الخارجية للدول الست زملاءهم في البلاد الأربعة المرشحة : المملكة المتحدة ، إيرلاندة ، النورفيج ، الدانيمارك . وكانت بداية مفاوضة طويلة وصعبة . ونظراً لصفتها المميزة الفنية عالياً (إسهام مالي ، تسويات زراعية ، دور انتقال ، إلخ ...) لا يمكننا هنا دراسة تفاصيلها . ومن الملاحظ ، حيال أنصار الفوقية التي لا يتوصل إليها أكثر فأكثر ، أن الاشتراك البريطاني المستقبلي لا يسعه إلا تعزيز وجهة النظر الفرنسية التي طرحها جورج بومبيدو في مؤتمره الصحفي في

(١) أنتوني باربر : (Anthony Barber) .

٢١ كانون الثاني ١٩٧١ بقوله : « ليس القصد ، انطلاقاً مما هو موجود ، إلا بناء كونفدراسيون دول عازمة على تناسق سياستها ودمج اقتصادها » .

وفي ٢٨ تشرين الأول ١٩٧١ ، وافق مجلس العموم ، بـ ٣٥٦ صوتاً (٢٦٢ محافظاً ، ٨٩ عمالياً ، ٥ مختلفة) ضد ٢٤٤ (٢٩ محافظاً ١٩٩ عمالياً ، ٦ مختلفة) على قرار الحكومة بالاشتراك في السوق المشتركة . وهذا القرار هنا قرار أساسي .

وفي ٢٢ كانون الثاني ١٩٧٢ ، وقعت البلاد الأربعة المرشحة (المملكة المتحدة ، الدانيمارك ، إيرلانده ، النورفيج) ، في بروكسل ، اشتراكها في السوق المشتركة . بقي تصديق هذه المعاهدات . نظمت استفتاءات في الدانيمارك ، وفي إيرلانده ، وفي النورفيج (وكذلك في فرنسا ، في نيسان ١٩٧٢ : حصل على أكثرية عريضة ، ولكن مع ما يقرب ٤٠ ٪ امتناع) . وفي إيرلانده ، حسب ٨٣ ٪ (نعم) ، وفي الدانيمارك ٦٣,٥ ٪ . وبالمقابل في النورفيج تفوقت (اللاءات) (٥٣,٩ ٪ من الأصوات) بسبب رد فعل المزارعين ولا سيما صيادو الأسماك . وعليه رأت النور أخيراً مجموعة من ٩ أعضاء لا من ١٠ .

الاتفاق بين الألمانيتين

أثارت الانتخابات الألمانية ، في تشرين الأول ١٩٦٩ ، تغيراً سياسياً مباغتاً وكاملاً . فقد أفاد فيللي برانت ، بالرغم من أن حزبه ، الحزب الاشتراكي - الديموقراطي ، لم يحصل على الأكثرية المطلقة ، من أصوات الليبراليين ، وانتخب مستشاراً ، وعهد بالشؤون الخارجية إلى الليبرالي فالترشيل[1] . كان فيللي برانت وفياً لميثاق الأطلسي ، ونصيراً للميثاق الفرنسي - الألماني ، وأوربياً مؤمناً ، واستعمل لأول وهلة كلمة تجنبها أسلافه ، وهي كلمة (الانفراج) مع بلاد الشرق . ووصف آمال التوحيد الألماني بأنها (وهمية) ، واقترح المباشرة بمفاوضات

---

(١) ڤالترشيل : Walter Scheel .

مع جمهورية ألمانيا الديموقراطية (R. D. A.) . « حتى ولو وجدت دولتان في ألمانيا فليستا من أجل ذلك غريبتين الواحدة عن الأخرى ؛ وعلاقاتها لا يمكن أن تكون إلا من نوع خاص » . وهذا يعني التخلي عن الفكرة ـ التي ظل أعضاء المعارضة في حزب الاتحاد المسيحي الديموقراطي (C. D. U.) يدعمونها ـ ، والتي بموجبها تأسست ألمانيا الاتحادية وحدها على تقرير مصير حقيقي ، وكانت تعبيراً لألمانيا كلها . وبالنسبة لحزب الاتحاد المسيحي الديموقراطي ، ليس لألمانيا الشرقية أي حق بتأسيس دولة .

وبالحال ، بوشر بمحادثات مع الاتحاد السوفياتي (وبخاصة على برلين) ومع بولونيا (على خط أودر ـ نايسه) ، وأخيراً مع جمهورية ألمانيا الديموقراطية التي قبلت مبدأ لقاء قمة . وتم هذا اللقاء ، في ١٩ آذار ١٩٧٠ ، في أرفورت ، في ألمانيا الشرقية ، بين المستشار برانت ورئيس حكومة ألمانيا الشرقية ڤيللي شتوف(١) . وتصافح الرجلان ، وفسر هذا بأنه مؤشر الأزمنة الجديدة . واستقبل شعب ألمانيا الشرقية برانت بحرارة قصوى . وبعد بضعة أيام ، عقد اجتماع المحتلين الأربعة السابقين ، في برلين الغربية ، ودل على انفراج أيضاً ، لأنه اقتضى العودة إلى النظام الرباعي الذي تخلي عنه في ١٩٤٨ .

وتم لقاء ثان بين زعيمي الألمانيتين في كاسّل (ألمانيا الغربية) في ١٦ أيار ١٩٧٠ . كان موقف ألمانيا الشرقية صلباً . فقد طالبت جمهورية ألمانيا الديموقراطية بأن يعترف بها كدولة أجنبية ، وبعد ذلك فقط يمكن وضع تسويات خاصة بين الدولتين . وهذا يتضمن ، بالنسبة للمستشار برانت ، صعوبات خطيرة داخلية .

ونتجت عدة معاهدات عن هذه الاتصالات : معاهدة جرمانية ـ روسية ،

---

(١) فيللي شتوف : (Willy Stoph) .

أبرمت في موسكو ، في ١٢ آب ١٩٧٠ ، تصرح بأن أهم هدف للطرفين هو السلام والانفراج ، والاعتراف بحرمة أو حصانة الحدود الأوربية ، ويدخل فيها خط أودر ـ نايسه ، والحفاظ ضمناً على حقوق الدول الأربع المحتلة برلين سابقاً . ومعاهدة موقعة بالأحرف الأولى في تشرين الثاني ١٩٧٠ ، وموقعة في وارسو (فارسوفيا) في ٧ كانون الأول بين ألمانيا الاتحادية وبولونيا تؤكد من جديد (حرمة الحدود أودر ـ نايسه) . وبين الألمانيتين ، بقيت الصعوبة الأساسية قضية برلين الغربية ، وبخاصة قضية الدخول الحر لهذه المدينة التي لا يريد الغربيون تركها تحت تصرف ألمانيا الشرقية وحده . وفي ٣ أيلول ١٩٧١ أخيراً وقع اتفاق رباعي بالأحرف الأولى على برلين . والأساسي فيه هو الوعد الذي أخذه الاتحاد السوفياتي على نفسه (بأن لا يعاق المرور بالترانزيت للأشخاص والبضائع المدنية بين القطاعات الغربية لبرلين وجمهورية ألمانيا الاتحادية عبر أراضي جمهورية ألمانيا الديموقراطية) . وبالمقابل ، يقبل الغربيون بألا تكون برلين الغربية (عنصراً تكوينياً للجمهورية الألمانية) . ومنذ الآن فصاعداً لا يمكن للبندستاغ والبندسرات الانعقاد فيها كما كانا يعملان سابقاً . أما السور (الجدار) الشهير ، فقد اكتفي بالقول بأن الحال (ستتحسن) . وفي كانون الأول ١٩٧١ ، فقط ، وقعت الألمانيتان اتفاقاً على المرور .

وظلت القضية مزدوجة : فهل ستصدق هذه الاتفاقات في ألمانيا ، حيث حجمت أكثرية المستشار برانت إلى صوت واحد ؟ وهل من الممكن أن توسع بـ (معاهدة أساسية) .

قام حزب الاتحاد المسيحي الديموقراطي (.C. D. U) بجهد كبير ، وفي ٢٧ نيسان ، صوت في البندستاغ على اقتراح حذر اقترحه زعيمه (براتسل)[١] .

---

(١) براتسل : (Brazel) .

ولكنـه لم يحصـل إلا على ٢٤٧ صـوتـاً ، والأكثريـة المطلقـة هي ٢٤٩ . وعنـدمـا عرضت معاهدتـا موسكو ووارسو للتصديق عليهما ، في ١٧ أيـار ١٩٧٢ ، حصلتـا على ٢٤٨ صـوتـاً ، وامتنـع المسيحيـون الـديمـوقراطيـون . ونقص صـوت واحـد . ولكن الحـزب المسيحي ـ الـديمـوقراطي (.C. D. U) قرر بـألا يرفـع اعتراضـاً . وكان هذا على الأقل ، نجاحاً للانفراج ، أمام أنصار سياسة الماضي المتصلبة .

وفي ٣ حزيران ١٩٧٢ ، وقـع بـاحتفـال الاتفـاق الربـاعي على برلين المـوقـع بالأحرف الأولى في أيلول المنصرم . وباشرت الدولتان الألمانيتان عندئذ المفـاوضـة بـ (معاهدة أساسية) توطـد العلاقـات الطبيعيـة بينهما . وليؤمن المستشـار فيللي برانت لنفسه أكثريـة عريضـة ، نظم انتخـابـات سـابقـة لأوانهـا ، في ١٩ تشرين الثاني . وبالرغم من الظل الـذي أحـدثـه عمل الفـدائيين الفلسطينيين في مونيخ ، أحرز نجـاحـاً واضحـاً : ٢٧١ منتخب لـلائتـلاف الحكـومي (٢٣٠ للحـزب الاجتماعي ـ الـديمـوقراطي[١] ، و ٤١ ليبراليـاً) مقـابـل ٢٢٥ لحـزب الاتحـاد المسيحي ـ الديموقراطي . وأبرمت المعاهـدة ، ووقعت في ٢١ كانون الأول ١٩٧٢ . اعترفت الحكومتـان بـأن « سيـادة كل من الـدولتين تقتصر على أرضهـا » . وهـذا يضع نهاية لفكرة ألمانيا الاتحادية الممثلة لكل ألمـانيـا . وتبـادلتـا (ممثلين دائمين ، لاسفراء) . وتخلت جمهورية ألمانيـا الاتحـاديـة إدراج الصيغـة (أمـة ألمـانيـة) ، واحدة . وهذا يعني كما قيل (تسوية مشرفة) .

كانت النتـائـج الأولى لهـذا الاتفـاق اعتراف العـديـد من الـدول الغربيـة بجمهوريـة ألمـانيـا الـديموقراطيـة ، وقبول الألمـانيتين في الأمم المتحـدة ، في أيلول ١٩٧٣ .

---

(١) الحزب الاجتماعي ـ الديموقراطي : Parti Social Démocrate (P. S. D.) .

٢ ـ المفاوضات الكبرى : في الشرق الأقصى

نهاية حرب فيتنام

في نهاية رئاسة جونسون ، بدت الحالة دون مخرج . رفض الأميركيون التخلي عن فيتنام الجنوبية . وطالبت فيتنام الشمالية وجبهة التحرير الوطني مغادرة جميع الأميركيين وحلاً للقضايا السياسية « بين الفيتناميين » . ودلت الحوادث بأن أياً من المعسكرين لا يمكن أن يفرض إرادته بنصر عسكري .

أدخل الرئيس نكسون في النقاش منظوراً آخر كاملاً : على الولايات المتحدة ألا تحمي حرية فيتنام الجنوبية ضد الشيوعية إلا إذا أرادت فيتنام هذه أن تبقى حرة . وقدمتها الدعاية الشيوعية بلداً يمنعه الاحتلال وحده والعنف الأميركي من الانضمام إلى نظـــام الشمال . ورأى كثير من المراقبين الغربيين ، بالعكس ، أن أكثرية السكان ظلت معادية لنظام شيوعي ، حتى ولو لم تكن محبذة لنظام الجنرال ثيو[1] . لقد حذف هذا تدريجياً الجنرال كي[2] ، كنائب للرئيس أولاً ، ثم مستقيلاً في أيار ١٩٦٨ ، ومارس سلطة واسعة جداً تنزع إلى الدكتاتورية . واتضحت هذه المواقف في حزيران ١٩٦٩ . فمن جهة ، أعلن الرئيس نكسون بأنه يجب (فيتنمة) الحرب ، أي القيام بانسحاب تدريجي للجيوش الأميركية ، على أن يترك للجنود في فيتنام الجنوبية السعي لإظهار أنهم بحق أكفاء قادرون على صيانة استقلال بلادهم . ومن جهة أخرى ، في ١٠ حزيران ، وبصفة ردّ ، أعلنت جبهة التحرير الوطني تشكيل (حكومة ثورية موقتة) في فيتنام الجنوبية . ويبدو أن هذا يتضمن أن الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفيتنامي لم يكن الجنرال ثيو ، وإنما حكومة شيوعية . ولا يبعد أن بعض

---

(١) ثيو : Thieu .

(٢) كي : Ky .

الاختلافات وجدت بين حكومة فيتنام الشمالية (رئيسها هوشي منه مات في ٣ أيلول ١٩٦٩) التي تريد قبل كل شيء توحيد الفيتنامين ، والحكومة الثورية الموقتة التي تحاول أولاً قلب النظام المعادي للشيوعية في سايغون .

وبينما كانت مفاوضات باريس تتلاحق بصورة غير منتهية وعابثة ، نفذ الرئيس نكسون بالمناسبة سياسة (الفيتنمة) . وجرى أول انسحاب بـ ٢٥٠٠٠ جندي أميركي ، في تموز ١٩٦٩ . ولن ندخل في التفصيل . وكان العدد الأعظم من الجنود قد بلغ ٥٤٣٠٠٠ رجل في نيسان ١٩٦٩ . وبقي منهم ٣٢٥٠٠٠ في الأول من أيار ١٩٧١ ، و ٦٩٠٠٠ في الأول من أيار ١٩٧٢ . ومع ذلك نمت وتوسعت المظاهرات لصالح السلام في الولايات المتحدة . وفي الحقيقة إن (الفيتنمة) لا يمكن أن تكون إلا بطيئة . وهذا البطء أغضب أنصار السلام . وسخط هؤلاء بخاصة إذ رأوا بعض التوسعات في النشاط العسكري الأميركي . وفي ١٨ آذار ١٩٧٠ قام انقلاب في كامبوديا (كامبودج) . وكان رئيس الدولة ، نورودوم سيهانوك ، المحايد ، في فرنسا . جردته الجمعية الوطنية من وظائفه ، واستلم السلطة الجنرال لون نول المعادي للشيوعيين . وكان سيهانوك قد ترك (معابد) جبهة التحرير الوطني تقام على أرض البلاد . وجرى الشيء نفسه في لاؤس ، حيث يقوم نصير الشيوعيين باتيت ـ لاؤ[1] دورياً بالهجوم على حكومة سوڤانا فوما[2] المحايدة . أما الشيوعيون الفيتناميون وأنصار سيهانوك ، اللاجئ في بكين ، فقد بدؤوا نضالهم ضد حكومة لون نول . وفي ٢٠ نيسان ١٩٧٠ ، حدث تدخل كثيف من جيوش فيتنام ـ الجنوبية ، يساندها الأميركيون ، في كامبوديا ، على مرأى من سخط أنصار السلام في الولايات المتحدة . وفي ٣ حزيران ، أعلن نكسون بوجوب انسحاب جميع قوات التدخل البرية الأميركية

(١) باتيت لاؤ : Pathet - Lao .

(٢) سوڤانا فوما : Souvanna Phouma .

(٣٠٠٠٠ رجل) قبل أول تموز . وتتابعت الحرب في كامبوديا بمساندة الطيران الأميركي (حتى تصويت الكونغرس في آب ١٩٧٣) . وابتداء من آب ١٩٧٠ ، اشترك أميركيون في عمليات لاؤس . وسيكون التدخل ملحوظاً أكثر بكثير في شباط ١٩٧١ .

ومع ذلك ، فقد بدا بوضوح أكثر فأكثر أن التطور يتجه نحو السلام . وبالإجمال ، بدا أن الفيتنمة قد نجحت . وأن جيوش فيتنام الجنوبية تقاتل جيداً ، وأن الهجوم الكبير الذي شنته فيتنام الشمالية ، في ٣٠ آذار ١٩٧٢ ، قد احتوي ، والحق يقال ، بمساندة الطيران الأميركي . ولم يستطع الرئيس نكسون أن يثبت بوضوح تاريخاً محدداً لجلاء الجيوش الأميركية جلاءً كاملاً ، ولا التخلي عن احتمال قصف في فيتنام الشمالية ، وسيلة الضغط الأساسية الباقية تحت تصرفه . لقد أراد أن يقوي استقلال الجنوب والحصول على مقابل ، أي جلاء جيوش فيتنام الشمالية المتسللة إلى الجنوب .

وفي صيف ١٩٧٢ ، بعد رحلتي نكسون إلى بكين (شباط) وإلى موسكو (في أيار) ، قبل الانتخاب الرئاسي الأميركي ، لوحظ تسارع التفاوض . فعلى مناقشات مؤتمر باريس غير المنتهية ، توضعت ، انطلاقاً من أيار ١٩٧٢ ، محادثات سرية بين المشاور الشخصي لنكسون ، كيسنجر ، ومشاور مندوب فيتنام الشمالية كسوانغ ثوي[١] . وكان الدوق ثو على هامش المؤتمر ، وعلى العموم في ڤيلا في ضاحية باريس . كانت هذه المناقشات طويلة . وأراد الشيوعيون ربط المسائل العسكرية ـ وقف إطلاق النار ـ بالمسائل السياسية ـ إنشاء حكومة (اتفاق وطني) في فيتنام الجنوبية ، مؤلفة من ممثلين عن (الحكومة الثورية المؤقتة) لنظام سايغون ، ومن (محايدين) . أما الولايات المتحدة ، التي جمعت

(١) كسوانغ ثوي : Xuang Thuy .

أكثر من ١٠٠٠ طائرة على قواعدها وعلى حاملات الطائرات التابعة للأسطول الأميركي السابع ، فقد كانت تريد فصل المسألتين . وحاصرت ولغمت موانئ وأنهار فيتنام الشمالية . ورجعت سفن الشحن السوفياتية أدراجها ، دون أن يظهر هذا الفعل معكراً للعلاقات السوفياتية ـ الأميركية .

وفي أيلول ١٩٧٢ ، وفي سياق مفاوضات سرية قامت (الحكومة الثورية الموقتة) ببعض التنازلات ، دون تحديد تاريخ لمغادرة كاملة للجيوش الأميركية . وفي ١١ تشرين الأول ، تدخل اتفاق بين كيسنجر والدوق ثو . ثم ذهب كيسنجر إلى سايغون (١٩ ـ ٢٣ تشرين الأول) لإقناع الرئيس ثيو بقبول (الحكومة بثلاث مركّبات » . رفض ثيو . وعلى ما يبدو ، للضغط عليه ، نشرت جمهورية فيتنام الشعبية نص الاتفاق : وحدة واستقلال فيتنام . وقف إطلاق النار بعد ٢٤ ساعة على التوقيع . إزالة ألغام الشمال . إطلاق سراح الأسرى . تشكيل (مجلس مصالحة وطنية) بثلاث مركبات سواسية . توحيد جديد تدريجي لفيتنام بطرق سلمية . تشكيل لجنة مختلطة رباعية (مفاوضو باريس الأربعة) ، ولجنة عسكرية ثنائية (معسكرا جنوب فيتنام) ، و (لجنة دولية للإشراف والرقابة) . وخلال ثلاثين يوماً عقد مؤتمر دولي بشأن فيتنام . الكف عن التدخلات في كامبوديا وفي لاؤس . ومن المحتمل أن تنازلات فيتنام الشمالية كانت تتضح بواقع أن جيش فيتنام الجنوبية ، على عكس آمالها ، (لم ينهار) . كان الحل السياسي ضرورياً . وبنشر النص كانوا يأملون إرغام الحكومة الأميركية على العمل ، قبل الانتخاب الرئاسي بقليل . وكان التاريخ المتوقع للتوقيع ٣١ تشرين الأول .

وبعد أن أفسد موقف ثيو كل شيء ، استؤنفت المفاوضات . وليظهر نكسون أن بيده أوراقاً ليلعب بها ، أمر ، في ١٨ كانون الأول ، بالقصف في شمال

خط العرض ٢٠° (كان هذا القصف قد أوقف في ٢٣ تشرين الأول) . وأثار هذا القصف الاحتجاجات في العالم كله ، ولكنه دفع فيتنام الشمالية إلى تعجيل المفاوضات . واستؤنفت هذه ، وعلق القصف .

وفي هذه المرة ، نجحت العملية . ففي ٢٣ كانون الثاني ١٩٧٣ ، وبعد أن وقع كيسنجر بالأحرف الأولى (الاتفاق على وقف القتال وتوطيد السلام في فيتنام) ، أعلن الرئيس نكسون أن وقف إطلاق النار سيدخل في ٢٨ كانون الثاني ، وأن جميع القوات الأميركية ستنسحب في الـ ٦٠ يوماً التالية وإطلاق سراح الأسرى الأميركيين . (سلام بشرف) هذا ماقاله . واستؤنفت تقريباً بنود تشرين الأول ، على أن تتألف اللجنة الدولية من كندا وأندونيسيا وبولونيا وهونغاريا ، وأن يبقى ١٤٥٠٠٠ جندي فيتنامي ـ شمالي مكانهم ولكن لا يمكن تعزيزهم .

وفي الواقع ، بالرغم من مؤتمر باريس (في آذار ١٩٧٣) لم تتوقف الحرب تماماً بين جيش فيتنامي جنوبي وشيوعيين ، وكل من الفريقين يحاول أن يسيطر فعلاً على أوسع مناطق ممكنة . ومن جهة أخرى ، أبرم وقف إطلاق النار في لاوس لا في كامبوديا حيث استمر النزاع بين أنصار لون نول والخمير الحمر .

وعلى كل حال ، إن نهاية حرب الفيتنام ، عدا عن دلالتها المعنوية ، أعادت للولايات المتحدة هامشاً للعمل الدبلوماسي الذي فقدته .

الصين تدخل المحفل العالمي

إن استبعاد بلد بلغ ٧٥٠ مليون نسمة في ١٩٧٣ عن السياق الطبيعي للعلاقات الدولية ، كان موقف (حرب باردة) . وفي الحد الذي كان الجنرال دوغول يعارض فيه مفهوماً صلباً للعالم ، قرر الاعتراف بالصين في ١٩٦٤ .

والولايات المتحدة التي كانت تعيش منذ ١٩٤٩ على تظاهر حقوقي لصين حقيقية يمثلها وطنيو تشانغ ـ كاي ـ تشيك في فورموزا (أو : تايوان)[١] ، كانت تضغط بكثير أو قليل نجاح على حلفائها بألا يصدروا إلى الصين قائمة طويلة من العتاد الذي يطلق عليه (الستراتيجي) . وأسهمت الثورة الثقافية أيضاً من ١٩٦٥ إلى ١٩٦٨ بعزل الصين . ولكنها ساعدت ماو ـ تسه ـ تونغ على استعادة كامل السلطة ، بحذف (ليو شاؤ شي)[٢] ، بمساعدة الشبيبة وجيش الجنرال (لن بياؤ) المعلن عنه خلفه ، ضد أطر (قيادات) الحزب الذي جدد كاملاً . وأكمل نصره بحذف (لن بياؤ) الذي ، حسب النص الرسمي ، قتل في طائرة في أيلول ١٩٧١ بعد إخفاق مؤامرة على ماو تسه تونغ . وأصبح شو آن لاي ، الوزير الأول والسياسي الحاذق والمعتدل ، يحتل الصف الثاني بعد حذف (لن بياؤ)[٣] .

ومن الممكن القول بأن ثلاثة عناصر أسهمت في تقريب الصين فجأة من باقي العالم وهي : واقعية شو إن لاي ، وواقعية الرئيس نكسون ، وتيار قوي أكثر فأكثر للرأي العام العالمي كما ظهر في منظمة الأمم المتحدة .

وبعد مختلف المؤشرات المبشرة ، في نيسان ١٩٧١ ، قام الصينيون بمبادرة وهي دعوة فريق بنغ ـ بونغ أميركي لمباراة رياضية . وبالحال أعلن الرئيس نكسون رفع الحظر الأميركي عن عدة (إنتاجات استراتيجية) وعن خبر جديد طيب في تموز . ففي ١٥ تموز ، أعلن الرئيس نكسون ، وبدهشة عامة ، أن الصين « التي تعرف رغبته في زيارة الجمهورية الشعبية » دعته وأنه قبل هذه الدعوة بسرور . وعلم أن هذا القرار كان قد هيئ برحلة سرية للغاية قام بها ،

---

(١) تايوان : Taiwan .

(٢) ليو شاو شي : Liou Chao Chi .

(٣) لن بياؤ : Lin Piao .

انطلاقاً من الباكستان ، مشاوره الشخصي ، هنري كيسنجر ، الأستاذ في جامعة هارفرد ، الذي سيكون له دور عظيم في السنوات التالية .

ومع ذلك ، لم تبد بعد أي نتيجة بوضوح . أن أحد متطلبات الصين حيال من يريدون الاعتراف بحكومتها ، هو أن يكفوا عن الاعتراف بحكومة فورموزا ، لا كحكومة نظرية للصين فحسب ، وإنما أيضاً كحكومة للجزيرة الكبرى الوحيدة . واطرحت الحكومة الشعبية الصينية إطلاقاً كل ما يمكن أن يذكر بوجود (صينين) . مع أن نكسون مافتئ يؤكد بأنه لن يتخلى عن حليفه .

وفي جميع الأحوال ، إن الموقف الأميركي الذي حبذه الرأي بشكل واسع ، ساعد الأمم المتحدة ، التي كانت تناقش دورياً هذه المسألة ، على قبول الصين الشعبية . ولكن هل هذا القبول سيعمل بكل بساطة كما يطلب الأميركيون ، أو أنه يتضمن طرد فورموزا ؟ وأمام الدهشة العامة ، اطرح قرار الولايات المتحدة بـ ٥٩ صوتاً ضد ٥٤ و ١٥ امتناع ، وتبنت الجمعية العمومية القرار الألباني : إحلال الصين الشعبية محل الصين الوطنية ، ويدخل في ذلك الكرسي الدائم وحق النقض في مجلس الأمن ، بـ ٧٦ صوتاً ضد ٣٥ و ١٧ امتناعاً (في ٢٦ تشرين الأول ١٩٧١) . وكان هذا إخفاقاً محسوساً لواشنطون ، فيما كان هنري كيسنجر يقوم برحلة ثانية في الصين ليهيئ مجيء الرئيس .

قامت رحلة نكسون من ٢١ إلى ٢٨ شباط ١٩٧٢ . ولمّا كان الرئيس نكسون رئيس حكومة رأسمالية متطرفة ، لذلك لم يفد من الهتافات المنظمة التي تستقبل بعض رجال الدولة الأجانب (وبخاصة الرئيس الفرنسي بومبيدو في أيلول ١٩٧٣) . ولكن اللقاء كان هاماً . ولم ينازع نكسون بأن فورموزا كانت جزءاً من الصين . وصرح بأنه يريد أن يسوي الصينيون بأنفسهم هذه المسألة ، وأن هدفه الغائي سحب جميع القوات الأميركية منها . ـ ومع ذلك ، فقد ظل تحالف

١٩٥٤ بين الولايات المتحدة وفورموزا مقبولاً . وصرح الصينيون بأنهم يقاومون كل سياسة هيمنة وسلطة (وسيفعلون ذلك بوضوح أيضاً أثناء زيارة بومبيدو ، غير مخفين تخوفاتهم حيال الاتحاد السوفياتي الذي يقيم ٤٠ إلى ٥٠ فرقة على الحدود المشتركة) . وأعلن البلدان قرارهما بعدم العدوان وعدم التدخل في الشؤون الداخلية . وصرح نكسون : « هذا الأسبوع غير العالم » .

ومنذ الآن ، أصبحت الصين أحد الخمسة الكبار في منظمة الأمم المتحدة ، وحاضرة في كل مكان ، وتستخدم حق النقض في مجلس الأمن . وأخذت صورة مدافع عن الاستقلال القومي ضد الكبيرين . حتى إن ماوتسه تونغ لم يخدع نفسه بمستوى تسلحه الذري إذا ما قورن بتسلحهما .

وفي هذا المنظور الجديد ، كان موقف اليابان ذا أهمية خاصة . لقد كانت اليابان موجهة بحكومات معتدلة ، ومرتبطة بفورموزا بمعاهدة سلام ، وتملك فيها مصالح عظيمة ، وشعرت أيضاً بحاجة متزايدة لأن تفتح لنفسها المنفذ الصيني الواسع والواعد . وفي آذار ١٩٧١ ، أبرم بينهما اتفاق تجاري . ولكن الوزير الأول ساتو(١) لم يقبل الشروط الثلاثة التي وضعها شو آن لاي(٢) : الاعتراف بالجمهورية الشعبية الصين الوحيدة ، والقبول بأن فورموزا تؤلف جزءاً لا يتجزأ من الصين ، وإلغاء معاهدة السلام المبرمة مع الصين الوطنية . وفي تموز ١٩٧٢ ، حل محل ساتو معتدل آخر ، تاناكا(٣) ، نصير التقارب مع الصين . فقد أبعد تاناكا أنصار فورموزا المتحمسين من حكومته ، وكان مستعداً لاستخدام المساعي الحميدة لخصومه السياسيين ـ الاشتراكيين بخاصة ـ لأنه يرى بأن التقارب مع الصين ليس قضية

---

(١) ساتو : Sato .

(٢) شو آن لاي : Chou en lai .

(٣) تاناكا : Tanaka .

حزبية ، وإنما مسألة مصلحة قومية ، وقد دعمه بقوة وزير الشؤون الخارجية أوهيرا ماسّا يوشي[1] . ومنذ أيلول ١٩٧٢ قام تاناكا برحلة مسرحية في الصين . وأوضح البلاغ النهائي أن الصين الشعبية في نظر اليابان هي الحكومة الصينية الوحيدة (مادة ٢) . ولم تفسخ معاهدة السلام مع فورموزا بوضوح ، ولكن أوهيرا صرح بأنها فقدت سبب وجودها . وأخيراً إن حالة الحرب التي كانت توجد نظرياً ، بين اليابان والشيوعيين الصينيين قد ألغيت بصيغة صريحة (المادة ١) : (نهاية الوضع غير الطبيعي الذي وجد حتى الآن) . وتقرر بأن تفتتح مفاوضات لإبرام (معاهدة سلام وصداقة) (مادة ٨) .

وهكذا أدى التطابق بين السياسة الستراتيجية الجديدة للصين والتطلعات الاقتصادية اليابانية ، هنا أيضاً ، إلى عودة العلاقات الطبيعية بين البلدين .

---

(١) أوهيرا ماسّايوشي : Ohira Massayochi .

الفصل الخامس

عالم جديد
أزمة واضطراب

تشرين الأول ١٩٧٣ ـ آذار ١٩٧٨

١ ـ الحرب الرابعة العربية ـ الإسرائيلية (٦ ـ ٢٤ تشرين الأول ١٩٧٣)

المفاجأة

في يوم السبت ، في ٦ تشرين الأول ١٩٧٣ ، في الساعة ١٣ والدقيقة ٥٠ ، اجتازت جيوش مصرية هامة قناة السويس . وفي الوقت نفسه ، دخل الجيش السوري بمساعدة الوحدات العراقية ، منطقة الاحتلال الإسرائيلي في الجولان . وكما في حزيران ١٩٦٧ ، كانت المفاجأة عامة ، ولكنها كانت لإسرائيل وليست للعرب . ففي ٦ تشرين الأول ، كان العيد اليهودي في يوم كيبور[1] ـ يوم التكفير والغفران ـ والجيش ، المؤلف بصورة أساسية من الاحتياطيين مبعثراً . وفيه نقل المصريون إلى الضفة الغربية من قناة السويس ، في الليل وبسر كبير ، عتاد العبور . وأقام ٨٠٠٠ رجل و ١٠٠ دبابة ، بمساندة كثير من المغاوير المظليين ، رأس جسر صلب ، وانهالت عليه التعزيزات . وفي ٧ منه تقدمت ٥ فرق مصرية في سيناء ، على جبهة ١٨٠ كم . أما السوريون فقد احتلوا مباشرةً قسماً كبيراً من الجولان ، جبل الشيخ (حرمون) ومدينة القنيطرة .

---

(١) يوم كيبور : Yom Kippour .

الأسباب المباشرة للحرب

في الحقيقة ، إن مثل هذه الحرب يمكن أن تحدث في أي وقت . لأن أياً من المفاوضات المحاولة منذ ١٩٦٧ لم تنجح في إقناع إسرائيل في الجلاء إلا عن جزء من الأراضي المحتلة . وكانت السيدة (غولدا ماير) التي خلفت (ليفي أشكول)[١] ، المتوفى ، وزيرة أولى لإسرائيل ، تشتهر بأنها محبة للسلام ، ولكنها كانت ترى أيضاً بأن الضمانات المقدمة غير كافية . وكان كل شيء يعتمد على التصريح رقم ٢٤٢ للأمم المتحدة . وهذا التصريح ، في نصه الإنكليزي ، يبدي غموضاً . فهو لا يقول بأنه يجب على الإسرائيليين أن ينسحبوا : (من الأراضي المحتلة) ، وإنما (من أرض محتلة) ، أي يمكن أن يعني أيضاً (من كل الأراضي المحتلة) ، (وهذا هو التفسير العربي ، والسوفياتي والفرنسي) ، كما يعني (من بعض الأراضي المحتلة) . (وهذا هو التفسير الإسرائيلي والأميركي) .

منذ ١٩٦٩ ـ ١٩٧١ ، بدا من الجانب العربي تقدم في استقرار الحكم . فمنذ الفاتح من أيلول ١٩٦٩ ، كان العقيد القذافي يحكم ليبيا . وفي ١٩٧٣ ، غضب من رفض مصر تحقيق الاتحاد المصري ـ الليبي المتوقع في ١٩٧٢ ، وأعلن صراحة العداء للشيوعية . وفي مؤتمر البلاد غير المنحازة ، الذي عقد في الجزائر من ٥ إلى ٩ أيلول ١٩٧٣ ، شهر بحضور كاسترو ، الملتزم جانب الاتحاد السوفياتي والمرتبط به . ولم تحدث المصالحة إلا عندما أعلن كاسترو قطع علاقاته الدبلوماسية مع إسرائيل .

ومنذ (الحركة التصحيحية) في ١٣ تشرين الثاني ١٩٧٠ ، استلم القائد حافظ الأسد زمام السلطة في سورية ، ودون أن يوقع اتفاقاً رسمياً صريحاً مع الاتحاد السوفياتي ، كان يقيم مع هذا البلد علاقات طيبة ، ويتلقى منه سلاحاً عظيماً . وكان باستطاعة الأسطول السوفياتي استخدام مينائي اللاذقية وطرطوس

---

(١) Levi Eskhol .

لهذا الغرض . بيد أن الرئيس الأسد كان يشكو من أنه لا يتلقى إلا طائرات ميغ ٢١ ، وهي أدنى من طائرات الفانتوم التي تجهز الولايات المتحدة بها إسرائيل . وفي ١٧ أيلول ١٩٧٣ ، قام الإسرائيليون بغارة جوية ودمروا ١٣ طائرة سورية .

وكان الاتحاد السوفياتي قد وقع معاهدة مع مصر ، ومنذ وفاة الرئيس جمال عبد الناصر ، في ٢٨ أيلول ١٩٧٠ ، أصبح نائبه أنور السادات رئيس الدولة ، ووقع مع الاتحاد السوفياتي معاهدة صداقة في ٢٩ أيار ١٩٧١ . ولكن هذه المعاهدة لم تمنع قطيعة تدريجية . ففي تموز ١٩٧٢ ، صرف السادات الـ ٢٠٠٠٠ في وعسكري سوفياتي الذين كانوا يعلمون جيشه ويدربونه على استعمال الأسلحة الحديثة (ميغ ٢٣ ، صواريخ سام ٣ ، ٤ ، ٦) . وقام بحوار مع الولايات المتحدة .

وحررت المعاهدة السوفياتية ـ العراقية ، في ٩ نيسان ١٩٧٢ . حسب النموذج نفسه ، وتتضمن مصالحة بين حكومة بغداد (حيث كان الرئيس أحمد حسن البكر يمارس السلطة منذ انقلاب ٩ تموز ١٩٦٨) والأكراد الذين يوجههم البرزاني الذي كان يقود حرباً مدنية (أهلية) ضد العراق بالدعم السوفياتي .

وصلب الملك حسين سلطته في الأردن بحذف الفدائيين الفلسطينيين في ١٩٧٠ ـ ١٩٧١ ، بعد أن كانوا ، في نظره ، يؤلفون ، على أرضه ، دولة في الدولة . وكان ثمن هذا العمل عليه قطع العلاقات الدبلوماسية مع مصر وسورية وإغلاق الحدود مع هذا البلد الأخير .

وفي بداية أيلول ١٩٧٣ ، جرت عملية مصالحة عربية كبرى حول مصر . فقد استقبل أنور السادات ملك العربية السعودية ، وأميري الكويت وقطر . والرئيسين حافظ الأسد والقذافي ، وأخيراً الملك حسين ، الذي عفا عن ٧٤٥ فلسطينياً وأعاد توطيد العلاقات الدبلوماسية بعد قطعها . هل شجع الاتحاد

السوفيـاتي العرب على القيـام بـالهجوم ؟ لقـد أمر ، في كل الأحوال ، قبل الحرب بأيام قليلة ، بجلاء بعض مغتربيه القريبين من منطقة الحروب . وربما تساعده الحرب على مصالحة مع مصر ، لأن الاتحاد السوفياتي ظهر المجهز الوحيد بالأسلحة للعرب وحاول جمعهم في (جبهة معادية للامبريالية) .

أمام هذا الائتلاف ، كانت إسرائيل منعزلة أكثر فأكثر ، إذ رأت عديداً من الدول الإفريقية تقطع علاقاتها الدبلوماسية ، ولم تحتفظ بها بصورة أساسية إلا مع ساحل العاج ، وزئير وأثيوبيا . والرحلة التي قامت بها السيدة غولدا ماير ، في كانون الثاني ١٩٧٣ ، إلى باريس وروما وجنيف ، لم تكف لكسر هذه العزلة . ولم يستطع الإسرائيليون الاعتماد إلا على مساندة ناقصة من الولايات المتحدة وعلى جيشهم الخاص .

وتلاحقت الأحداث العنيفة بين المعسكرين بنفس الإيقاع . ففي ٢١ شباط ١٩٧٣ ، أسقط الإسرائيليون طائرة بوينغ مدنية ليبية تاهت فوق سيناء ، ووقع ضحيتها ١٠٦ أشخاص . ودعيت منظمة الأمم المتحدة إلى جلسة استثنائية ، وشجبت إسرائيل بـ ١٠١ صوت ضد صوت واحد لإسرائيل ، وصوتين امتناع (كولومبيا ومالاوي) ، وفي الوقت نفسه ، قام الإسرائيليون بغارة جوية ضد المخيمات الفلسطينية في شمال لبنان ، وكان ضحيتها ١٠٠ شخص .

وبناء على طلب مصر ، جرى نقاش على الشرق الأوسط من ١٤ إلى ١٨ أيار ١٩٧٣ في مجلس الأمن . وطالب الاتحاد السوفياتي بانسحاب كامل للقوات الإسرائيلية ، وعارضته الولايات المتحدة . واستعمل الممثل الفرنسي لويس دوغيرنغو[1] صيغة مبهمة : « لاانسحاب دون تعهد سلام ، لاتعهد سلام دون انسحاب » . وأعلن أيضاً بأن أي تسوية يجب ألا تتجاهل قضية الشعب

---

(١) لويس دو غيرنغو : Louis De Guiringaud .

الفلسطيني . وأجل النقاش بعد ذلك إلى شهر تموز . وفي ٢٦ تموز ، حصل نصٌّ غامض على ١٣ صوتاً ضد ١٥ وامتنعت الصين . واستعملت حق النقض (الفيتو) ، ولم يحصل تقدم ولو بخطوة . وربما يجب أن نرى ، في هذا الإخفاق أصل القرار العربي .

العمليات العسكرية ووقف إطلاق النار

كانت الحروب العربية ـ الإسرائيلية ، منذ ١٩٥٦ ، قصيرة دوماً ، لسببين : من جهة لأنها تستهلك كمية عظيمة من الأسلحة الحديثة التي لا يستطيع المتحاربون إنتاجها (باستثناء إسرائيل لحد ضعيف) ولأن استمرار النزاع يتعلق بالتجهيزات الجديدة الأميركية أو السوفياتية التي يمكن أن يرفضها الكبيران أو يقبلا بها ، حسب سياسة كل منهما . ومن جهة أخرى ، لأن مجلس الأمن لا يلبث أن يتدخل ، وإذا اتفق الكبيران ، أمكن فرض وقف إطلاق النار .

لقد دامت (حرب كيبور) أقل من ثلاثة أسابيع ، أي ثلاث مرات أكثر من (حرب الستة أيام) .

على جبهة الجولان ، قلب الإسرائيليون الوضع من ٨ تشرين الأول ، واحتلوا مجمل الجولان ، وتجاوزوه ، ووصلوا إلى مسافة ثلاثين كيلومتراً عن دمشق .

وعلى جبهة سيناء ، كان القلب أكثر بطءاً . ويبدو أن الرئيس السادات أراد أن يكتفي بعملية محدودة تخلص قناة السويس وتجبر الكبيرين على التدخل . أما الجنرال شاذلي ، القائد الأعلى للجيش ، فكان يريد ، بالعكس ، بلوغ شعاب سيناء ولا سيا المتلا . وبينما كان المصريون (الجيش الثاني في الشمال ، والثالث في الجنوب) يستمرون في تقدمهم ، منذ ٨ تشرين الأول ، أوغلت فرقة احتياطي الجنرال (آريل شارون) في ركن بينهما ، وبتعزيزات

قوية ، أوغل الإسرائيليون في هذه الثغرة وبلغوا القناة . وفي الليل من ١٤ إلى ١٥ تشرين الأول ، اجتازوها . وعلم الاتحاد السوفياتي بذلك ، بفضل أقمار المراقبة ، قبل مصر .

وحتى هذا التاريخ ، كان الاتحاد السوفياتي ، في مجلس الأمن (المنعقد منذ ٨ تشرين الأول) ، يرفض وقف إطلاق النار الذي قد يخضد حمية العرب . وحاول الحصول على تدخل مباشر من الجزائر في الحرب ، وذهب الرئيس بومدين إلى موسكو (١٤ ـ ١٥ تشرين الأول) . وأوفد الاتحاد السوفياتي كوسيغين إلى القاهرة ونصح مصر بقبول وقف إطلاق النار . وفي ١٦ تشرين الأول ، رفض السادات . ثم اقتنع . وكان الكبيران قلقين ، ويرغبان تجنب اتساع النزاع ودعا بريجنيف وزير الخارجية الأميركية ، هنري كيسنجر ، إلى موسكو في ٢٠ تشرين الأول .

وانطلاقاً من هذا التاريخ أصبح وقف إطلاق النار ممكناً . وإن ما يرغب به الاتحاد السوفياتي القلق جداً من رؤية توسع رأس الجسر الإسرائيلي في مصر ، هو تفادي النكبة . وما ترغب به الولايات المتحدة هو الحفاظ على توازن في الشرق الأدنى . وفي الليل من ٢١ إلى ٢٢ تشرين الأول ، صوت مجلس الأمن على قراره الرقم ٣٣٨ بـ ١٤ صوتاً على ١٥ (امتناع الصين) : بوقف إطلاق النار في الـ ١٢ ساعة إثر صدور القرار وتطبيق القرار رقم ٢٤٢ الصادر في تشرين الثاني ١٩٦٧ . ومفاوضات من أجل سلام عادل ودائم . وفي نفس اليوم ٢٢ تشرين الأول ، جاء كيسنجر من موسكو ووصل القدس لإقناع الإسرائيليين بالقبول . وقبلت مصر وقف إطلاق النار في ٢٢ تشرين الأول .

وقبل الإسرائيليون أيضاً . ولكن بحجة حوادث ، استمروا في العمليات الحربية حتى ٢٣ . وساعدهم ذلك على إحراز نجاح كبير . فقد طوقوا الجيش المصري الثالث كاملاً ، وعزلوا السويس . وفي الغرب ، وجدوا على ٧٠ كم من

القاهرة . وفي الشمال ، بلغوا ضاحية الإسماعيلية . وانقطع الجيش المصري الثالث عن مؤخره في قلب الصحراء وأوشك أن يرى نفسه مضطراً للاستسلام لفقدان الماء . وفي ٢٣ تشرين الأول ظهراً صوت مجلس الأمن من جديد على وقف إطلاق النار ، بناء على اقتراح أميركي ـ سوفياتي (قرار رقم ٣٣٩) . وأمر المتحاربين بالرجوع إلى مواقعهم في ٢٢ تشرين الأول . قبلت مصر وإسرائيل . ولم تقبل سورية إلا في ٢٦ تشرين الأول . ولكن كان يكفي لإسرائيل أن تتمهل في التطبيق بضعة أيام ليرد الجيش الثالث إلى الاستسلام .

الأزمة السوفياتية ـ الأميركية والاتفاقات العسكرية

في ٢٢ تشرين الأول وعندما لم يجد الاتحاد السوفياتي وسيلة أخرى لإنقاذ مصر ، أفهم بأنه سيتدخل مباشرة . وأعلنت الولايات المتحدة بأنها تعارض ذلك . وعندما رأى الأميركيون حركات البحرية والطيران السوفياتي عقدوا في واشنطون (مجلس الأمن القومي) وأعلنوا (إشارة الخطر) للقوات الأميركية . وكان على بريجنيف أن يلقي خطاباً في موسكو في الـ ٢٥ من الشهر نفسه في (المؤتمر العالمي لقوى السلام) . وكان ينتظر منه خطاب فظ . ولا شك في أنه اقتنع بالقرار الأميركي بطريق (الخط الأحمر) ، (« توجد حدود لا يجب تجاوزها » ، كما صرح كيسنجر) ، وأرجأ بريجنيف خطابه إلى ٢٧ تشرين الأول . ولكن ، كما كانت الحال أثناء قضية صواريخ كوبا في تشرين الأول ١٩٦٢ ، كان المهم ألا يفقد الاتحاد السوفياتي هيبته . ولذا وجد مخرج وهو : إرسال قوات عاجلة من منظمة الأمم المتحدة (٨٠٠ رجل ، نمساويين ، سويديين ، فنلانديين وجدوا في قبرص تحت قيادة الجنرال الفنلاندي سيلاسفو)[1] . وتقرر هذا المخرج بالقرار رقم ٣٤٠ لمجلس الأمن . وسترفع هذه القوة ، قوة (العمرات الزرقاء) إلى ٢٣٠٠ رجل .

---

(١) سيلاسفو : Silaasvuo .

عندئذ قبلت إسرائيل ومصر مبدأ الاتصالات العسكرية المباشرة لتأمين تبادل الأسرى وتموين الجيش الثالث . والتقى الجنرالان ياريف[1] (الإسرائيلي) والجمصي (المصري) في قلب الصحراء ، عند الكيلومتر (١٠١) ، واستولى كيسنجر على هذا النحو على زمام القيادة . وذهبت السيدة ماير إلى الولايات المتحدة من ٣١ تشرين الأول إلى ٤ تشرين الثاني . وذهب وزير الخارجية الأميركية من ٥ إلى ١٦ تشرين الثاني إلى الرباط ، وتونس والقاهرة وعمان ، ووطد العلاقات الدبلوماسية الأميركية ـ المصرية المنقطعة في ١٩٦٧ ، وأرسل مساعده جوزيف سيسكو[2] إلى القدس .

كانت النتيجة (اتفاق الكيلومتر ١٠١) الموقع في ١١ تشرين الثاني . وذلك بأن يطبق إطلاق النار كاملاً . وأن يعود الجيشان إلى مواقع ٢٢ تشرين الأول ؛ وأن تموّن السويس ؛ وألا يقيم الإسرائيليون عائقاً لتموين الجيش الثالث حتى عبر خطوطهم ؛ وأن يتأمن الإشراف بقوى الأمم المتحدة . وأخيراً ، أن يجري تبادل الأسرى (٢٣٠ إسرائيلياً ، ٨١٠٤ مصريين . وفوق ذلك ، قبل الرئيس أنور السادات مبدأ مؤتمر يعقد في جنيف .

٢ ـ البترول والأزمة الغربية

كان لحرب كيبور تأثير عظيم على العلاقات الدولية . بالنسبة للعرب ، ورغم الحالة الخطرة النهائية ، كشفت عن قابلية استعمال الأسلحة الحديثة والقيمة القتالية المساوية لقيمة الجيش الإسرائيلي . وعليه ، فمن وجهة النظر النفسية حذفت الإذلال ، الذي كان نفسه مصدراً لروح الثأر العاطفية . ولكن بخاصة ، ساعدت على تحريك عملية سياسية ـ اقتصادية من سعة عالمية ، لعبت فيها البلاد العربية المنتجة للبترول دوراً جازماً سيقلب على الدوام الاقتصادات الغربية .

---

(١) ياريف : Yariv .

(٢) جوزيف سيسكو : Joseph Sisco .

البترول مصدر الطاقة الأساسي

حتى ١٩٦٠ تقريباً ، كانت قضية استغلال مناجم البترول قد حلت بصورة أساسية من قبل الدول الصناعية الكبرى ، وبصورة خاصة ، الشركات العملاقة التي أنشأتها . وقد تنازلت البلاد التي تضع يدها عليها إلى الشركات ـ الأنغلو ـ ساكسونية بصورة أساسية ـ مقابل (عائدات) . ومن حين لآخر ، كانت تقوم منازعات لتحرير الدول من سيطرة الشركات : وهكذا كان الأمر بالنسبة للمكسيك بين الحربين ؛ ولإيران مصدق من ١٩٥١ إلى ١٩٥٣ . وبصورة عامة ، على الأكثر ، كانت الدول تكتفي بالكفاح للحصول على (عائدات) أعلى . وفي ١٩٤٨ ، حصلت الفينيزويلا على (مناصفة) . وفي الوقت نفسه ، في الشرق الأوسط ، لم يكن مستوى العائدات بعد غير ١٢,٥ ٪ .

ومن جهة أخرى ، كان البترول الباقي هكذا بسعر منخفض يقوم تدريجياً مقام مصادر الطاقة الأخرى في العالم . ففي ١٩٥٠ ، يمثل الفحم ٥٥,٧ ٪ من استهلاك الطاقة العالمية ، والكهرباء الأولية (المائية بصورة أساسية) ٦,٥ ٪ ، أي مجموع ٦٢,٢ ٪ . والبترول يمثل ٢٨,٩ ٪ ، والغاز الطبيعي ٨,٩ ٪ أي ٣٧,٨ ٪ . وفي ١٩٦٠ ، كان التغير تاماً . فالفحم (٤٤,٢ ٪) والكهرباء الأولية (٦,٤ ٪) لا يؤلفان أكثر من ٥٠,٦ ٪ . والبترول (٣٥,٨ ٪) والغاز الطبيعي (١٣,٥ ٪) بلغا ٤٩,٤ ٪ وانضما عملياً إلى المصادر الأخرى . وفي ١٩٧٢ ، الفحم (٢٨,٧ ٪) والكهرباء الأولية (٦,٩ ٪) بلغ مجموعها ٣٥,٣ ٪ . والبترول (٤٦ ٪) والغاز ١٨,٤ يمثلان ٦٤,٤ ٪ .

وانتقلت مائيات الفحم من ثلث إلى ثلثي الطاقة المستهلكة . وتضاعف عملياً الاستهلاك التام للطاقة من ١٩٥٠ إلى ١٩٦٥ وبلغ الثلاثة أضعاف من ١٩٥٠ إلى ١٩٧٢ .

والإنتاج القومي للدولتين الأعظم ، مرتفع جداً ، وقلما تهددهما (أزمة

الطاقة) . فقد كان الاتحاد السوفياتي يستعمل لاستهلاكه من الطاقة ٣٧ ٪ من مائيات الفحم في ١٩٦٠ و ٦٣,٧ ٪ في ١٩٧٥ . وهذا يعني أنه لحق تقريباً قليلاً الإيقاع العالمي . فقد أنتج ٤٩٠ مليون طن من البترول في ١٩٧٥ متجاوزاً على هذا النحو الولايات المتحدة . والاحتياطيات الحقيقية والمحتملة تقدر لـ ٢٥ عاماً (الرقم باق سرياً) . والولايات المتحدة نفسها أنتجت ٤٢٠ مليون طن في ١٩٧٥ . ولكن لما كان إنتاجها الصناعي الإجمالي مرتفع أكثر بكثير من إنتاج الاتحاد السوفياتي ، واحتياطياتها (حتى إذا أخذنا بعين الاعتبار احتياطيات آلاسكا وكندا) تتضاءل ، فقد انتهت بها الحال ، في ١٩٧٥ ، إلى استيراد ٤٠ ٪ من البترول الذي تستهلكه ، وتتوقع ٥٠ ٪ لعام ١٩٨٠ .

أما البلاد الأخرى المصنعة ، اليابان ، أوربة الغربية فهي رهن وارداتها تقريباً تماماً . إلا أن بريطانيا ـ العظمى والسويد وحدهما بدأ بأن يكونا مستثنين بفضل المناجم التي وجدت تحت بحر الشمال . والتبعية للأجنبي ، من أجل ثلثي الطاقة المستعملة على الأقل ، تعني حالة دقيقة اقتصادياً ، وخطرة سياسياً .

وسبق لنا أن درسنا أصول (منظمة البلاد المنتجة للبترول O. P. E. P.) وأعمالها الأولى(١) . فقد قامت بحرب لاتنقطع على الشركات وساعدها إغلاق قناة السويس الذي أجبر على زيادة أبعاد السفن البترولية ، وأخذت تحقق النجاح تلو النجاح . وفي مؤتمرها الواحد والعشرين في كاراكاس (٩ ـ ١٢ كانون الأول ١٩٧٠) حددت بـ ٥٥ ٪ الحد الأدنى لـ (العائدات) . وفي طهران ، في ١٤ شباط ١٩٧١ ، وفي طرابلس ، في ٢ نيسان ١٩٧١ ، أجبرت الشركات على الإذعان وأكثر من ذلك أن منظمة البلاد المنتجة للبترول طالبت بتأميم تدريجي للإنتاج . وأحرزت ليبيا والجزائر على النجاحات الكبرى الأولى على هذا الصعيد .

(١) راجع : قضايا العالم الثالث : العامل الاقتصادي ، ص ١٤٢ .

في الجزائر ، أعلن الرئيس بومدين ، في ٢٤ شباط ١٩٧١ ، إن الجزائر أخذت الأكثرية ٥١ ٪ في الشركات الفرنسية التي تعمل على ترابها . وأممت مناجم الغاز الطبيعي وأنابيب البترول . على أن تسير المجموع الـ (سوناتراش)[١] ، أي هيئة خاصة في الدولة الجزائرية . وهذه السياسة تعارض السياسة التي كانت قد حاولتها فرنسا منذ استقلال الجزائر : تعاون بين الشركات الفرنسية والحكومة الجزائرية . وكان يقصد بالعكس ، بالنسبة للجزائر ، البلد الذي يؤكد نفسه بأنه (تقدمي) ، و (اشتراكي) ، أن تستعيد بيدها مواردها الخاصة وتحذف نفوذ الرأسمال الخاص الأجنبي . وأدت احتجاجات الحكومة الفرنسية ، ومحاولاتها للتفاوض (وبخاصة محاولات ـ هرفه الفاند[٢] ـ الأمين العام لوزارة الشؤون الخارجية) ، وسياسة مقاطعة الشركات الفرنسية ، إلى تسويات تفصيلية ، ولكن المبدأ العام حوفظ عليه . ويلاحظ بأن الحكومة الليبية وحدها هنأت الجزائر على حزمها . أما المنتجون العرب الآخرون وإيران ، الذين حكوماتهم محافظة ، فقد ظلوا صامتين . وفي كل الأحوال ، كان البترول الأداة التي تحررت بفضلها الجزائر من آخر بقايا الاستعمار .

وكذلك ، أعلنت ليبيا في الفاتح من أيلول ١٩٧٣ التأميم بـ ٥١ ٪ للشركات الأجنبية المقيمة على أرضها .

قرارات تشرين الأول ١٩٧٣

وحتى قبل نهاية حرب كيبور ، اتخذت البلاد العربية وأنصار إسرائيل عدة إجراءات كانت أهميتها السياسية ـ الاقتصادية رئيسية . ففي ١٦ تشرين الأول ، في الكويت ، قرر المنتجون الأساسيون الستة في الخليج العربي (أبو ظبي ، إيران ، العراق ، الكويت ، قطر والعربية السعودية) أن ينتقل سعر برميل

---

(١) سونا تراش : Sonatrach .

(٢) هرفه الفاند : Hervé Alphand .

البترول الخام من ٣,٠٠١ دولارات إلى ٥,١١٩ دولارات . وفي الغداة أعلن المنتجون العرب الخمسة بأنهم يريدون استعمال (سلاح البترول) للكفاح ضد إسرائيل . وتصوروا بادئ بدء الحظر الذي أعلن بعد قليل ضد الولايات المتحدة ، والبلاد المنخفضة ، ثم ضد البرتغال ، وروديسيا ، وجنوب إفريقية . ومن جهة أخرى قرروا تخفيض ٥ ٪ كل شهر من إنتاجاتهم نحو الدول غير الصديقة . واعتبرت فرنسا بلداً صديقاً . وقد أعلن وزيرها للشؤون الخارجية ، ميشيل جوبير ، في ٨ تشرين الأول ، بصيغة حاذقة ، بأنه لا يعتبر البلاد العربية عدوانية : « هل إرجاع الشيء إلى أصله يؤلف عدواناً غير متوقع » .

وفي الواقع ، لقد ظهرت بسرعة إجراءات الحظر وتخفيض الإنتاج بأنها غير قابلة للتطبيق . رفع الحظر عن الولايات المتحدة في آذار ١٩٧٤ ، وعن البلاد المنخفضة في ١١ تموز . وهكذا اتخذت (الأوبيك) بمجموعها في آخر ١٩٧٣ (مؤتمر طهران : ٢٢ ـ ٢٤ كانون الأول) قراراً من سعة أخرى . قررت رفع سعر البرميل إلى ١١,٦٥١ دولاراً من تاريخ الأول من كانون الثاني ١٩٧٤ . وبالنسبة إلى الأسعار المطبقة في بداية تشرين الأول ، كان هذا على وجه التقريب يعادل الأربعة أضعاف . وفي الحقيقة ، كان يوجد في آب ١٩٧١ وفي شباط ١٩٧٣ تخفيضان في سعر الدولار . ولكن بلاد (الأوبيك) بخاصة ، تتمتع بموقع شبه حصري ، وتستفيد من المساندة السوفياتية ، لأن الاتحاد السوفياتي يعتبر عملها عنصراً لـ (النضال ضد الامبريالية) ويهيئ نفسه ليكون مصدراً ، ولذلك شعرت أخيراً بأنها حرة في التأثير على الأسعار كما تريد . ولأول مرة في تاريخ اقتلاع الاستعمار ، وجدت بعض البلاد المتخلفة في موقع قوة .

وهكذا فإن المحاولات، التي أجريت منذ ١٩٧٥ للوصول إلى تسوية بين البلاد المصنعة والبلاد المنتجة للبترول ، قد أخفقت بصورة عريضة .

كان أول رد فعل رد هنري كيسنجر . فأمام بلاد (الأوبيك) حاول إقامة

جبهة من المستهلكين الأساسيين . ونجم عن ذلك إنشاء (الوكالة الدوليـة للطـاقـة A. I. E.) . وتضم الـ ٩ أعضاء في المجموعة الاقتصادية الأوربية (السوق المشتركـة الأوربية ـ دون فرنسا) ، الولايات المتحدة ، اليابان ، كندا ، السويد ، النمسا ، وتركيا . وعارض الرئيس الفرنسي (جيسكار ديستن) هذه السيـاسـة لـ (كارتل المستهلكين) .

اقترح بـالعكس ، في نيســان ١٩٧٥ ، مـؤتمراً في الطـــاقـــة يضم منتجين ومستهلكين . الاجتماع الأول تحضيري ، عقــد في بـــاريس في ٧ نيســـان ١٩٧٥ وأخفق . أرادت بلاد الوكالة الدولية للطاقة (A. I. E.) أن تحدد جدول الأعمال على مسائل الطـاقـة . وبلاد (الأوبيـك) أرادت امتـداده على قضيـة المواد الأوليـة ، وعلى إصلاح النظام النقدي الدولي وعلى التنمية . وتجـدر الإشـارة إلى أنـه في هـذا الاجتماع التحضيري الذي حضره ١١ بلداً متقدماً (منها بلاد المجموعة الاقتصـاديـة الأوربيـة التسع بممثل واحـد) و ٧ بلاد متخلفـة (نـاميـة) ، ولم تستطع الجزائر خلق جبهة عالم ثالث . وبالفعل أشارت الهنـد والبرازيل ، وهمـا بلـدان ينتجـان القليل من البترول ، إلى أن ازدياد سعر البترول يضطرهمـا إلى تخصيص ٨٠ ٪ من صادراتها السنوية لدفع قائمة الواردات البترولية .

وعقـد مؤتمر شمال ـ جنـوب في بـاريس من ١٦ إلى ١٨ كانـون الأول ١٩٧٥ . وضم ٧ بـلاد من دول الأوبيـك ، و ١٢ بلـداً متخلفـاً غير منتـج أو قليـل الإنتـاج (الهنـد ، البـاكستـان ، مصر ، يـوغـوسـلافيـا ، الكمرون ، زئير ، زامبيـا ، الأرجنتين ، البرازيـل ، المكسيـك ، ألبيرو ، جـامـايكا) ، و ٨ بـلاد صنـاعيـة (المجموعـة الاقتصـاديـة الأوربيـة لهـا ممثل واحـد) . وأسيء التفـاهم على جـدول الأعمال : فقد ظلت البلاد المتخلفة و (منظمة البلاد المصدرة للبترول) تصر على المواد الأولية . والدول المتقدمة تستبعدهـا عن النقـاش ، وتصر على الطـاقـة وعلى القضايا المالية الـدوليـة . وعليـه أخفق المؤتمر . ومع ذلـك فقـد ظهر تضـامن بين

(التسعة عشر = ٧ من الأوبيك و الـ ١٢ الأخرى المتخلفة) . والسنة ١٩٧٦ ، المدموغة بتوتر متزايد بين فرنسا والجزائر بسبب الصحراء الإسبانية سابقاً ، شهدت مؤتمر باريس يراوح مكانه ، وتلاحقت جلساته في آذار وحزيران . ومن الممكن القول إنه أخفق عملياً في بداية ١٩٧٨ .

وكذا الحال في مؤتمر (الكنوسيد) : (مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والاقتصاد والتنمية) الرابع الذي عقد في نيروبي ، في كينيا ؛ من ٣ إلى ٣١ آذار ١٩٧٦ . والمحاولات الفرنسية ، لإثارة تسوية بين البلاد المصنعة والبلاد في طريق التنمية باستعمال (الدولار البترولي)[1] لتمويل استثمارات في العالم الثالث ، تحت ضمان البنك العالمي ، اصطدمت بمعارضة الولايات المتحدة الحازمة . وكذا حال الفكرة لإنشاء صندوق ثبات المواد الأولية . فقد اطرحتها بحزم بريطانيا ـ العظمى وألمانيا .

النتائج الهامة لقرارات (الأوبيك)

ونظراً لفقدان اتفاقات شاملة ، فإن الزيادة الفظة والهائلة لأسعار المصدر الأساسي للطاقة المستعملة في العالم ، كان لها في السنوات التالية انعكاسات عظيمة ، ولا سيما زيادات جديدة قررت فيما بعد (مبدئياً للحفاظ على الأسعار رغم ضعف الدولار) . ولا نستطيع هنا إلا الدلالة على مظاهر التطور الكبرى .

أولاً : في كافة البلاد الغربية ، التي عرفت حتى ذلك الحين توسعاً اقتصادياً قوياً ، مرفقاً بتضخم نقدي معتدل ، نرى أن العجز الإضافي الجسيم في موازين الحسابات ، والارتفاع التدريجي لجميع المنتجات المتعلقة بالبترول ، قد سارعا التضخم بغتةً . فمن بين البلاد المصنعة ، نرى أن البلاد ، التي كان توسعها أقل قوةً من غيرها (المملكة المتحدة ، ومنذ ١٩٧١ إيطاليا) ، عرفت إيقاعات تضخم

---

(١) الدولار البترولي : Pétrodollar .

أعلى من ٢٠ ٪ في العام . وبواسطة سياسة (تقشف) شديدة كثيراً أو قليلاً ، حسبما تخفض حقيقةً أو تحاول تحديد مستوى متوسط الحياة ، حاولت كلها الخروج منه . وتوصلت سويسرا وحدها ، في ١٩٧٨ ، إلى ذلك قليلاً تقريباً . أما ألمانيا ، واليابان ، وبصورة أقل وضوحاً الولايات المتحدة ، فقد نجحت في الوصول بالتضخم إلى نسب قريبة من ٦ ٪ . وفي فرنسا بدا أخيراً أن (خطة بارّ)[1] التي دشنها في تشرين الأول ١٩٧٦ ، حصلت على نتائج جوهرية في بداية ١٩٧٨ . وفي بريطانيا ـ العظمى وفي إيطاليا أوصلت الحالة الدرامية النقابات (نقابات العمل[2] والمؤتمر العام الإيطالي للعمل) إلى التعاون طوعاً مع الحكومة لتطبيق سياسة تقشف .

ثانياً : توضع على التضخم تباطؤ التوسع ، وبالتالي ، تفاقم البطالة التي تجاوزت ٦ ٪ من اليد العاملة في بلاد المجموعة الاقتصادية الأوربية وفي الولايات المتحدة . ومن هنا أتى الاسم (كساد التضخم)[3] الذي أعطي لهذا الحادث . الأزمة واقعية ، ولكنها لا تشبه أزمات الماضي (الدورية) المرتبطة بفائض الإنتاج وانهيار الأسعار . ومن البديهي أن التضخم والبطالة ينتجان استياءات من شأنها أن تسبب تقلبات سياسية .

ثالثاً : إن البلاد المتخلفة غير المنتجة للبترول ، والأقل تسلحاً من البلاد الصناعية لامتصاص ارتفاع أسعار البترول ، هي الضحايا الأساسية لقرارات (الأوبيك) . ويقدر عجز ميزان المدفوعات للبلاد المتخلفة دون بترول بـ ٩ مليارات دولار في ١٩٧٣ ، و بـ ٣٥ ملياراً في ١٩٧٥ ، وهو بالنسبة لها عبء لا يحتمل .

---

(١) بار ، ريمون : Raymond Barre ، رئيس وزراء فرنسا .

(٢) نقابات العمال في إنكلترا : Trade Unions (T.U.) وفي إيطاليا يرمز لها بـ (C.G.I.L.) .

(٣) كساد التضخم : (Stagflation) .

رابعاً : نشأت فئة جديدة من الدول . فعوضاً عن منظومة (ثلاثية) بصورة شاملة : بلاد مصنعة غربية ، وبلاد شرق مصنعة ، وعالم ثالث ، لوحظ ظهور بلاد ذات صناعات جديدة : بلاد بترولية تستعمل أرباحها من أجل التصنيع ؛ وأيضاً بلاد (في طريق الخروج من التخلف) ، أنشأت ، بفضل رؤوس أموال أجنبية ، ويد عاملة رخيصة ، صناعات حديثة غاية في الحداثة (نسيجية ، ومنشآت بحرية ، ومعامل للفولاذ) ، وغمرت البلاد الصناعية بإنتاجات رخيصة الثمن (كوريا الجنوبية ، فورموزا ، هونغ كونغ ، سنغافورة ، إلخ ... وكذلك المكسيك والبرازيل) .

خامساً : إن موجهي (الأوبيك) يعون الواقع أكثر فأكثر وهو أن أسعار البترول العالية سلاح ذو حدين . فإذا كان مستوى الأسعار عالياً كثيراً ، فإن مصادر أخرى للطاقة تصبح مربحة . وحتى في المستوى الحالي ، أنجز عمل عظيم على صعيد البحث والتجهيز بالمعدات . ويبدو أن المصدر الأساسي للطاقة في المستقبل سيكون مصدر المراكز النووية ، بالرغم من المقاومة الهائجة ، وفي الغالب غير المعقولة لقسم من الرأي العام . وبعد كل شيء ، يبدو البترول ، هو أيضاً ، ملوثاً كما تثبت ذلك النكبات الكبرى (بالنسبة لفرنسا غرق توري كانيون[١] ، وفي آذار ١٩٧٨ آموكو قادس[٢] في عرض شواطئ إقليم بروتانيا) . أما استعمال المولدات النفاثة فيعوض عدم كفاية احتياطيات الأورانيوم ، والطاقة الشمسية ، وطاقة المد والجزر ، وطاقة حرارة الأرض ، وطاقة الريح ، والطاقة التي تجهزها نفايات المصانع والنظافة وإعادة استعمال الفحم ، والشيست البيتومي ، الغنية بمائيات الفحم ، إلخ ... تعوض بسعة البترول في مهلٍ يمكن أن تكون متسارعة . ومع ذلك لا يوجد بعد تضامن بين الغربيين لتخطيط هذه القضية . ورفضت

---

(١) توري كانيون : Torry Canyon .

(٢) آموكو قادس : Amoco Cadiz .

فرنسا المشاركة في (الوكالة الدولية للطاقة) ، التي أنشأها هنري كيسنجر وبدت له كأداة نضال ضد (الأوبيك) . واطرح المؤتمر الأميركي معظم بنود (الخطة الطاقية) التي أطلقها الرئيس الأميركي كارتر .

الاضطراب النقدي

إن ارتفاع أسعار البترول بما يبلغ الأربعة أمثال ليس هو الإيضاح الوحيد للأزمة الغربية ، بل يضاف له اضطراب نقدي كبير .

حتى آب ١٩٧١ ، كان النظام النقدي العالمي مؤسساً على (عيار القطع الذهبي) ، أي أن العملات كانت مبدئياً مرتبطة بوزن محدد من الذهب ، ولكن دولارات الولايات المتحدة ، وبصورة ثانوية جداً ، الجنيه الاسترليني ، كانا يعتبران معادلين للذهب في احتياطيات البنوك المركزية (٣٥ دولاراً مقابل الأونسة الذهبية)[١] وكان الجنرال دوغول تحت تأثير جاك روئيف[٢] مناصراً للعيار الذهبي ، فانتقد بشدة هذا النظام . وأسهمت شراءات فرنسا من الذهب بزعزعته . ولكن ، بخاصة ، أسهمت عدة عوامل في جعله يوحي بالثقة قليلاً قليلاً : منذ ١٩٥٨ ، يرى أن خسائر الذهب السنوية لـ (بنك الاحتياطي الاتحادي)[٣] الأميركي ، والاستثمارات العظيمة للشركات (المتعددة الجنسيات) الأميركية بخاصة في أوربة ، قد أسهمت في هذا الأفول . وأرباحها العائدة لأوطانها أحياناً ، كانت في الغالب تستثمر من جديد ميدانياً أو تحفظ احتياطياً كـ (رؤوس أموال عائمة) من قبل حائزيها الأميركيين أو الأوربيين : وهذه هي (الدولارات الأوربية) . وإلى الدولارات الأوربية (الأورودولارات) تضاف

---

(١) الأونسة : Once ، مقياس وزن إنكليزي يساوي ٢٨,٣٥ غراماً .

(٢) جاك روئيف : Jacques Rueff .

(٣) بنك الاحتياطي الاتحادي : Fédéral Reserve Bank .

البترودولارات التي تقبض بدفع البترول من قبل بلاد (الأوبيك) . وفي ١٩٧٨ ، يقدر مجموع (الأورودولارات) و (البترودولارات) بـ ٥٠٠ مليار دولار . ومنذ ١٩٧١ بلغت كتلتها درجة كان من المستحيل على بنك الاحتياطي الاتحادي دفعها ذهباً .

وهذا يوضح أولاً القرار ، المتخذ في ١٩٦٧ ، بخلق سوق مزدوج للذهب ، ثم القرار الرئيسي للرئيس نكسون في آب ١٩٧١ : ويقضي بفصل الدولار عن الذهب - في الواقع تخفيض قيمته - لأن أونسة الذهب في السوق (الحر) تعادل من قبل أكثر من ٤٠ دولاراً . وكانت هذه الحال نهاية (عيار القطع الذهبي) . ثم إن تخفيضاً جديداً أميركياً ، في شباط ١٩٧٣ ، لم يكن منه سوى توكيد وتثبيت هذه المعطاة ٤٢,٥ دولار من أجل أونسة واحدة ذهباً .

وإذا كان نقد أقوى دولة اقتصادية عالمية ، الولايات المتحدة ، عائماً ، فمن الصعب جداً أن يكون هنالك نظام نقدي دولي ثابت . والنظام الذي أحدثه مؤتمر بريتون وودز[١] في ١٩٤٤ ، مع صندوق النقد الدولي[٢] والبنك الدولي للتعمير والتنمية[٣] عانى ضربات شديدة (تخفيض عدة عملات ، إعادة تقويم قيمة المارك) . وفي هذه المرة مات .

والسياسة الفرنسية ، التي تقوم على توطيد جديد للعيار الذهبي ، اصطدمت بمعارضة رسمية علنية من الولايات المتحدة التي عملت على ظفر وجهة نظرها في مؤتمر جامايكا (كانون الثاني ١٩٧٦) . وقد أنهى هذا المؤتمر دور الذهب . وتقرر حذف كل مرجع نقدي للذهب . والعيار النقدي الجديد الذي لا يمكن أن يكون

---

(١) بريتون وودز : Bretton Woods .

(٢) صندوق النقد الدولي : (F. M. I.) .

(٣) البنك الدولي للتعمير والتنمية : (B. I. R. D.) .

الدولار العائم ، سيكون (حق سحب خاص)[1] تحسب قيمته حسب (سلة) العملات الأساسية في العالم التي تأخذ كل واحدة منها قيمة تمثل وزنها الاقتصادي الخاص . وألغي التزام الدول بدفع ربع (الكوتا) المخصصة لها ذهباً إلى (صندوق النقد الدولي) . كما تخلي عن سعر ٤٢,٢٠ دولاراً للأونسه المثبت من أجل عمليات البنوك المركزية . وصندوق النقد الدولي الذي كان يحتفظ ، في حزيران ١٩٦٧ ، بـ ٤٧٧١ طن ذهباً ، كان عليه أن يبيع ثلثها على عدة مراحل . وقد أجريت هذه البيوع في السوق الحر . وفي بداية ١٩٧٨ تم تجاوز الـ ١٨٠ دولاراً لأونسة الذهب الواحدة .

وهذا النظام مؤسس على مبدأين قبل بها الأميركيون : من جهة ، يجب زيادة (السيولات) النقدية . والذهب قليل الوفرة ليلعب هذا الدور . ومن جهة أخرى ، لا يمكن مطلقاً تأسيس النظام النقدي الدولي على الميكانيكية الناظمة للذهب ، الذي هو (أعمى) ويتعلق في الواقع بصدف الإنتاج الذهبي . والحل يجب أن يكون (ذريعياً) و (إرادياً) . وعلى هذا النحو تتصرف كل دولة بنقدها . ومع ذلك فالحكومات ملزمة بالتدخل لتجنب (الحركات المتقطعة وغير المنتظمة) للعملات ، تحت مراقبة صندوق النقد الدولي (الاتفاقات الفرنسية ـ الأميركية في رامبويّه ، بفرنسا ، في تشرين الثاني ١٩٧٥) .

وهذا النظام يضر التجارة الدولية بخطورة . فعلى مثال الدولار ، إذا فقدت عملة عائمة قيمتها ، فهذا ينشط صادرات البلد ، موضع النظر ، بخلق أسعار اصطناعية . وتحدث خلافات لاعد لها (مثلاً من أجل الخمر بين فرنسا وإيطاليا) ، في كل لحظة . والإرادة الألمانية في خلق مجموعة عملات أوربية تعوم معاً (الثعبان الأوربي)[2] ، اصطدمت بضعف بعض العملات (الجنيه

---

(١) حق سحب خاص : (D. T. S.) .

(٢) الثعبان : Serpent هو الخط البياني الذي يظهر الحدود العالي منها والداني التي يجب ألا تتجاوزها قيم مختلف العملات المرتبطة باتفاق يحدد التقلبات .

الاسترليني ، الليرالإيطالي ، بل والفرنك الفرنسي) . وقد دخل هذا الفرنك في (الثعبان النقدي) ، في أيار ١٩٧٥ ، وخرج منه في كانون الأول ، مرتبطاً بأعجاز موازين الحسابات . وفي ١٩٧٨ اضطرب النظام النقدي الدولي ، ويكفي حركات نفسية (انخفاض الفرنك قبل الانتخابات التشريعية في آذار ١٩٧٨) ، أو بشكل أبسط ، اقتصادية ، لإحداث الاضطراب في مجموع المبادلات .

الأولوية الجديدة للدبلوماسية الاقتصادية

إن الأهمية القصوى للمفاوضات الاقتصادية والمالية في الغرب تتأتى نهائياً عن هذين الحادثين الأساسيين ، وهما الاضطراب النقدي وارتفاع أسعار البترول . ويكفي أن نذكر بعض الشواهد . فقد صرح المستشار الألماني شميت[1] الاقتصادي الشهير ، في ١٧ كانون الثاني ١٩٧٥ بقوله : « السياسة الخارجية ليست بالنسبة لنا نظاماً خاصاً للدبلوماسيين السريين ذوي اللحية البيضاء . إنها في الوقت ذاته سياسة اقتصادية عالمية ، سياسة عالمية للمواد الأولية ، سياسة نقدية عالمية ، سياسة عالمية للتنمية ، سياسة عالمية للأمن » . ويؤكد وزيره للشؤون الخارجية . (هانس ديتريش غنشر)[2] هذه النقطة في خطابه في منظمة الأمم المتحدة ، في أيلول ١٩٧٥ ، بقوله : « القضايا الاقتصادية توضع منذ الآن في مركز الدبلوماسية الدولية . والتوفيق بين خلافات المصالح الاقتصادية أصبح اختباراً للفن في السياسة الخارجية » . وزايد على ذلك أيضاً وزير الخارجية الأميركية ، هنري كيسنجر .

٣ ـ العلاقات شرق ـ غرب منذ ١٩٧٣

تطور الكبيرين

ظل الاتحاد السوفياتي يحكمه ليونيد بريجنيف ، الأمين الأول ل للحزب

---

(١) شميت : Schmidt .

(٢) هانس ديتريش غنشر : Hans Dietrich Genscher .

الشيوعي في الاتحاد السوفياتي ، وقد رفع إلى رتبة ماريشال . وكان عملياً أكثر منه نظرياً . ولا يبدو مطلقاً أنه يتأثر بالتطلعات إلى الحرية الفردية التي يظهرها مفكرون يتكاثرون عدداً ، ويقوم تجاههم بالقمع أو النفي (العالم الرياضي ليونيد بليوش(١) والكاتب الكبير ألكسندر سولجينيتسين ، والعالم اندريي زخاروف) . وتبدو الاحتجاجات ، التي تصدر عن الأحزاب الشيوعية الغربية ، أنها تتركه بارداً . وقوة الحزب ـ المكرسة بالدستور الجديد لعام ١٩٧٧ ـ ، والقوة العسكرية ، المتزايدة دون انقطاع على جميع الأصعدة ، النووية والتقليدية ، البرية ، الجوية ، والبحرية ، والأولوية المعطاة للسياسة الاقتصادية ، وفكرة التفوق في السياسة الخارجية في نزاع الطبقات ـ القوة الأساسية التي تمثل الطبقة العاملة هي في نظره الاتحاد السوفياتي وجيشه ـ كل هذا ساقه إلى نظام المركزية السلطوية الذي يجعل (النموذج السوفياتي) أقل فأقل جذباً . وفي فرنسا ، دل استطلاع الرأي (السبر) ، الذي أجرته (جمعية التحقيقات الفرنسية بالسبر)(٢) وتكرر شهراً فشهراً ، على أن ٢ ٪ فقط من الأشخاص المسؤولين يرجون نظاماً من النوع السوفياتي ، و ٤ ٪ نظام الديموقراطية الشعبية من نوع أوربة الشرقية ، و ٢٠ إلى ٢٥ ٪ نظاماً اجتماعياً ـ ديموقراطياً كما في ألمانيا أو في السويد ، وأكثر من ٦٠ ٪ نظاماً حراً من النموذج الفرنسي ، أو ، أفضل أيضاً ، من النموذج السويسري أو الأميركي .

وفي السنوات الأخيرة أفاد الاتحاد السوفياتي من ضعف موقت للنظام الأميركي بعد أن ألمّ ما ألمّ بالرئيس ريشارد نكسون من فضيحة (ووترغيت) ، واضطر للاستقالة في آب ١٩٧٤ . ولم يستطع خلفه جيرالد فورد أن يلعب غير

---

(١) ليونيد بليوش : Leonid Pliouch .

(٢) جمعية التحقيقات الفرنسية بالسبر (استطلاع الرأي) :
. Societé Française D’enquête Par sondage (S O. F R. E. S.)

دور انتقال . وفي الحقيقة ، إن هنري كيسنجر ، أحد وزراء الدولة الأكثر نشاطاً وتصوراً الذين تملكهم الولايات المتحدة ، لعب دوراً عظيماً ، من أيلول ١٩٧٣ ، تاريخ تسميته وزيراً إلى كانون الثاني ١٩٧٧ . ومع ذلك فقد كبح ببعض انعزالية الكونغرس الذي رفض ، تحت تأثير الإخفاق في فيتنام ، الاعتمادات عندما تصور التدخل العسكري . وكانت الحالة نفسها ، في آب ١٩٧٣ ، عندما منع الكونغرس الاستمرار في قصف كامبوديا ، أو عندما رفض استئنافه في نيسان ١٩٧٥ ، وعندما منع كل تجهيز بالأسلحة للحركات المعادية للشيوعية في تحرير آنغولا . وفي كل حالة ، احتج كيسنجر عبثاً .

هل انتخاب الديموقراطي جيمي كارتر ، الجيؤرجي ، البالغ من العمر اثنين وخمسين عاماً ، الرئيس التاسع والثلاثين للولايات المتحدة ، في تشرين الثاني ١٩٧٦ ، قادر على تحسين الحالة ؟

من السابق لأوانه ، في هذا الحين الذي نكتب فيه هذه السطور ، الحكم في ذلك . لقد كان الرئيس الجديد يعتمد على وزير الخارجية سايروس فانس[1] ، وعلى مستشاره لشؤون الدفاع زبيغنيو برزيزنسكي[2] ، وأدخل من جديد الأخلاقية التقليدية في الدبلوماسية الأميركية . وأمر بالتخلي عن كل سياسة هيمنة ، والارتقاء بحقوق الإنسان ، والانفراج مع الاتحاد السوفياتي والصين ، والنضال ضد فقر العالم المتخلف ، والتعاون الدولي . وهو واقعي كأخلاقي ، يرى من الضروري احتواء التوسع السوفياتي وتعزيز الحلف الأطلسي . وأخيراً تعهد بألا يدعم أنظمة الدكتاتورية بحجة أنها معادية للشيوعية .

محادثات سولت الثانية

لقد رأينا سابقاً ختام المحادثات المسماة (سولت الأولى) في تحديد الأسلحة

---

(١) سايروس فانس : Cyrus Vance .

(٢) زبيغنيو برزيزنسكي : Zbigniew Brzezinski .

الستراتيجية : (اتفاق لا سابق له) ، هذا ماقاله هنري كيسنجر بعد اتفاقات ٢٣ حزيران ١٩٧٣ التي وقعت نهائياً في فلاديفوستوك في ١٩٧٤ . وهذه الاتفاقات تعترف بمساواة تامة في الأسلحة الستراتيجية بين الكبيرين ولا تنص على نزع السلاح ، وإنما التوقف في السباق الكمي والنوعي (الكيفي) لوسائل إطلاق الصواريخ (أوجيف)[١] النووية والحرورية النووية . وكان الأميركيون يملكون صواريخ (إنجين)[٢] أكثر دقة . كما كان من المقبول أن يتصرفوا بحد أدنى بصورة خفيفة من المركبات القادرة على نقل شحنة نووية (فكتور)[٣] ، ومن الغواصات . وفي الواقع كانوا متقدمين في الصواريخ المتعددة الرؤوس[٤] . واتفق على أن يؤسس ، حول موسكو ونيويورك ، قواعد للصواريخ المضادة للصواريخ[٥] .

وعندما افتتحت مفاوضات بشأن سولت الثانية المخصصة لبلوغ اتفاق شامل على الأسلحة الستراتيجية ، أخذت القضية شكلاً جديداً . أولاً ، لقد أنجز السوفياتيون الصواريخ المتعددة الرؤوس (ميرف) وحسنوا الصاروخ العملاق SS 19 بمحروق صلب . وفي ١٧ تشرين الأول ١٩٧٥ ، أعلن وزير الدفاع جيمس شليزنجر[٦] بأن السوفياتيين يقومون بوضع برنامج (مسرحي ـ عظيم) . وكان باستطاعة الأميركيين أن يقوموا برد فعل بزيادة عدد الصواريخ (انجين) ،

---

(١) أوجيف : Ogive أو رأس نووي .

(٢) إنجين : Engin .

(٣) فكتور : Vecteur .

(٤) الصواريخ المتعددة الرؤوس : Multiple independently targetable reintry vehicles (M.I.R.V.) .

(٥) الصواريخ المضادة للصواريخ : Anti Ballistic Missiles (A.B.M.) .

(٦) جيمس شليزنجر : James Schlesinger .

وفضلوا زيادة الدقة ، وحسنوا بخاصة صاروخ (كروز)[١] ، الصاروخ السريع أو (الصاروخ الزاحف) وصنفوه بين الأسلحة التعبوية (التاكتيكية) أي الأسلحة المستثناة والخارجة عن نطاق مفاوضات (سولت) . وفي الوقت نفسه حسَّنَ السوفياتيون طائرة قاذفة حديثة للغاية يسميها الأميركيون (باكفاير)[٢] ، (المرتدة النار) . وفي كانون الثاني ١٩٧٦ ، في المحادثات بين كيسنجر وبريجنيف ، رفض هذا الأخير وقف إنتاج (الباكفاير) مقابل تحديد مدى (الكروز) .

وبعد الحملة الانتخابية الأميركية ، التي أفاد السوفياتيون منها للإكثار من صنع صواريخ (ميرف) والـ (SS 19) ، إلخ ...، استؤنفت المناقشة بين السوفياتيين وسايروس فانس ، إثر ذهابه إلى موسكو في آذار ١٩٧٧ ، وفي ١٩٧٨ أيضاً . وللقيام بفعل إرادة طيبة ، وباقتصاد ، قرر الرئيس كارتر عدم الصنع بعدد عظيم لطائرة أميركية حديثة للغاية وهي ألـ (B1) التي تستطيع نقل ٤٥ طن من الأسلحة لمسافة ١٥٠٠٠ كم وبسرعة ٢٣٠٠ كيلومتر ـ ساعي . ولكن الولايات المتحدة ، في الوقت نفسه ، حسنت (القنبلة النوترونية ـ قنبلة ذات مفعول متزايد الإشعاع) . احتج السوفياتيون بعنف . وفي نيسان ١٩٧٨ ، أعلن كارتر من جانب واحد بأنه عدل عن القنبلة النوترونية . وهذا ماأقلق كثيراً من البلاد الأوربية ، لأن هذه القنبلة كانت وسيلة دفاع ضد التفوق العسكري التقليدي للشرق . وصرح بريجنيف بأن الاتحاد السوفياتي لن يصنعها إذا فعلت الولايات المتحدة الشيء نفسه . وسرى الخبر بأن فرنسا كانت تحوز على تقنيتها .

ومنذ ١٩٧٧ ، كانت المفاوضات عسيرة . وأمكن فقط تجديد الاتفاق (سولت) الأولى . والوصول إلى اتفاق يعدل عن التجارب النووية تحت

(١) كروز : Cruise .

(٢) باكفاير : Backfire .

الأرض ، حتى ولو كانت للاستعمال المدني . واقترح بريجنيف ، في ٢ تشرين الثاني ١٩٧٧ « أن تكف جميع الدول معاً عن إنتاج الأسلحة النووية » . ولكن هذا أفاده ، نظراً للتفوق السوفياتي في الجنود وفي الأسلحة التقليدية ، وفوق ذلك ، لم يقبل الاتحاد السوفياتي أبداً بالإشراف (الرقابة) على أرضه .

وهكذا ، استمر سباق التسلح ، وبلغت النفقات العسكرية للكبيرين أرقاماً خرافية (أكثر من ١١٠ مليار دولار للولايات المتحدة ، أي ما يقارب قليلاً كامل الموازنة الفرنسية . وخصص الاتحاد السوفياتي ، حسب مجلة منظمة حلف شمالي الأطلسي ، ١١ إلى ١٣ ٪ من إنتاجه القومي الخام (الإجمالي) لنفقات الدفاع . وهذه النفقات تزداد ٤ ٪ في العام .

مؤتمر هيلسنكي

لقد فكر الجنرال دوغول ، الذي لم يدع إلى مؤتمر يالتا في ١٩٤٥ بأن هذا المؤتمر كان قد آل إلى تقسيم العالم إلى مناطق نفوذ ، بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة . وفي الواقع ، كان الرئيس روزفلت معادياً جداً لهذا المفهوم ، ولم تعترف الولايات المتحدة أبداً ورسمياً وعلناً بحالة الواقع التي توطدت في أوربة على جانبي (الستار الحديدي) . ويبدو أن هذا كان ، منذ ١٠ شباط ١٩٥٤ في مؤتمر قمة برلين ، رغبة السوفياتيين . اقترح مولوتوف عندئذ لأول مرة عقد (مؤتمر في الأمن الأوربي) ، يأخذ فيما بعد ، شكل اجتماع بين أعضاء ميثاق الأطلسي وميثاق وارسو ، ويصبح (مؤتمر الأمن والتعاون في أوربة)[1] . واستغرق الأوربيون زمناً طويلاً لتبني المبدأ . وانطلاقاً من ١٩٦٩ ، وضعوا أربعة شروط : مشاركة الولايات المتحدة وكندا . إبرام اتفاق رباعي بشأن برلين ، وهذا ما أجري في ١٩٧١ . التفاوض في تخفيض متقابل ومتوازن للقوى . الموافقة

---

(١) مؤتمر الأمن والتعاون في أوربة : (C. S. C. E.) .

على جدول أعمال قضية الحريات الفردية ، وحرية انتقال الأشخاص والأفكار . وتجاه السوفياتيين الذين يحاولون تمتين الوضع الراهن في معسكرهم ، وتأمين حدودهم الغربية في حالة حرب مع الصين ، حاول الغربيون مضاعفة الروابط التجارية والثقافية ، على أمل ضعيف لتشجيع التحرير في شرق أوربة . وحيا السوفياتيون تبني المبدأ كنجاح كبير لدبلوماسيتهم .

وجرت مفاوضات طويلة وكانت ضرورية للحصول على نتيجة . وعقد مؤتمر تحضيري للخبراء من ٢٢ تشرين الثاني ١٩٧٢ إلى ٨ حزيران ١٩٧٣ . ثم اجتمع وزراء الشؤون الخارجية في هيلسنكي من ٣ إلى ٧ تموز ١٩٧٥ . وشكلوا ثلاث لجان ، اهتمت إحداها (وتسمى : السلة الثالثة) بحريات وحقوق الإنسان . وأتمّ الخبراء التحضيرات من ١٨ أيلول ١٩٧٣ إلى ٢١ تموز ١٩٧٥ . وأخيراً ، جاء رؤساء الدولة والحكومة إلى هيلسنكي في آخر تموز ١٩٧٥ ووقع الصك (العمل) النهائي المعدّ بجد ، في الأول من آب ١٩٧٥ . وفيه مثلت ٣٥ دولة ، أعضاء الحلفين ، محايدة وحتى الدول الصغيرة (سان مارَنْ ، ليشتنشتاين ، موناكو ، الفاتيكان) . وحضر الاجتماع جيرالد فورد ، ليونيد بريجنيف ، فاليري جيسكار ديستن .

« السلة الأولى » تتعلق بالأمن : وهي تعداد لمبادئ مجردة : مساواة ، عدم اللجوء إلى التهديد أو إلى القوة ، حرمة الحدود ، عدم التدخل في الشؤون الخارجية . واتخذت بعض قرارات محسوسة تتعلق بالإخطار مقدماً عن المناورات والحركات العسكرية .

« السلة الثانية » : تعالج وتبحث في التعاون الاقتصادي ، والعلمي ، والفني . وتتوقع إبلاغ الإحصائيات التي تعتبر غالباً سر دولة في البلاد الاشتراكية .

« السلة الثالثة » : تعدد مبادئ مطبقة بسعة في الديموقراطيات الغربية ، على احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية .

مؤتمر بلغراد

لقد بدت نتائج هيلسنكي مخيبة جداً . من جهة ، إن بلاد الشرق لم تغير شيئاً في أنظمتها القسرية ، ولم يزدد إمكان مواطنيها من السفر إلى الخارج . واستمر السوفياتيون يستعملون ضد اليهود ، تعاملات تمييزية ، تبعدهم عن الإدارات ، والجيش ، وبعض الأعمال العلمية ، وتشجب الصهيونية ، ولكن أيضاً (المواطنية الكونية ، التي لاقومية لها) . وتلاحق شجب الكتاب ونفي العلماء ، أو الحجر عليهم في ملجأ الأمراض العقلية .

ومن جهة أخرى ، نما توسع النفوذ السوفياتي فيما وراء البحر ، وبخاصة في المستعمرات البرتغالية السابقة .

وأخيراً ، يشاهد زيادة تسلح سوفياتي والحفاظ على أكثر من ٦٠ ٪ من قوات حلف وارسو في أوربة الوسطى . وكما يقول الشيوعي البولوني (جان زيدلاك) : « الانفراج شكل حركي لا يمكن أن يتطابق وتعزيز الوضع الراهن ، ولكنه يحتوي حظوظاً كبرى من أجل تحويلات ثورية لاحقة » . وبتعبير آخر ، إن (التنافس العقائدي) ، المخنوق في الشرق سيلاحق في الغرب بعنف متزايد .

وفي آذار ١٩٧٦ ، احتج هنري كيسنجر وصرح : « التعاون يتطلب المقابلة بالمثل . ولا يمكن أن يعيش على محاولات ثابتة في البحث عن فوائد من جانب واحد » .

وقرر مؤتمر هيلسنكي الدعوة إلى مؤتمر جديد . وقد افتتح هذا المؤتمر في بلغراد ، في ٤ تشرين الأول ١٩٧٧ . وانتهى بإخفاق كامل تقريباً . ولم يتساهل السوفياتيون بأن يذكروا بحرمانهم من الحريات ، كما فعل فاليري جيسكار ديستن في موسكو ، في تشرين الثاني ١٩٧٥ ، وبشدة أكثر بكثير ، جيمي كارتر . ولنضف بأن الاتحاد السوفياتي بحاجة إلى البلاد الغربية لإنشاء صناعة خفيفة أو

لشراء القمح في السنوات العديدة جداً ذات المحاصيل السيئة . والدول الغربية تتنافس لتجهزه بهذه التجهيزات ، وتخوله اعتمادات . وقد بلغ دين أوربة الشرقية حيال الغرب ٤٠ مليار دولار .

وحتى قبل هيلسنكي كتب ألكسندر سولجينيتسين مقالاً تحت عنوان : (حرب عالمية ثالثة) ، في صحيفة (العالم) في ٣١ أيار ١٩٧٥ . فهو يرى : أن (العالم الحر) مغلوب من قبل . فأجابه ريمون آرون ، في صحيفة الـ (فيغارو ، في ١٢ حزيران ١٩٧٥) بأن (الحرب العالمية الثالثة لم تقع) ولكن الغرب كان بخاصة مهدداً بـ (فقدانه الإيمان بنفسه) .

الاتحاد السوفياتي والأحزاب الشيوعية الأوربية ، مؤتمر برلين

إن التشدد المذهبي عند الشيوعيين السوفياتيين يعني أيضاً الأحزاب الشيوعية الأخرى . وعلى هذا الصعيد لاقى بعضاً من خيبات الأمل وأخطأ في ظنه . إن إرادته بالفعل توكيد (الأممية الكادحة) ، التي تقتضي التضامن الكامل للأحزاب الشيوعية مع الاتحاد السوفياتي ، والوحدة المذهبية ، وتفوق الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي على الأحزاب الأخرى . وهذا التفوق مؤمن في أوربة الشرقية ، في كل مكان حيث الجيش الأحمر حاضر . وبالمقابل ، إن الحزب الشيوعي الروماني ، ولا سيما رابطة الشيوعيين اليوغوسلافيين ، والحزب الشيوعي الألباني تطرح هذا التفوق .

ويحاول السوفياتيون الحفاظ على مبادئهم بعقد مؤتمرات أوربية جامعة للأحزاب الشيوعية . فقد عقد المؤتمر الأول في تشيكوسلوفاكيا ، في كارلوفي - فاري[1] ، في نيسان ١٩٦٧ . وقاطعته الأحزاب الشيوعية : الحزب الشيوعي

---

(١) كارلوفي - فاري : (Karlovy - Vary) .

الألباني واليوغوسلافي والروماني ، وفي الغرب ، الأحزاب الشيوعية : الهولاندي ، والإيسلاندي ، والنورفيجي .

في تشرين الثاني ١٩٧٣ ، أطلقت فكرة مؤتمر ثان من قبل أحزاب مناصرة - سوفياتية (في ألمانيا الغربية ، هونغاريا ، بلغاريا) . ولزم ثلاثة أعوام من المفاوضات غير المنقطعة حتى أمكن انعقاده في برلين ، في ٢٩ و ٣٠ حزيران ١٩٧٦ .

وهذه المفاوضات ، التي لن ندرسها بالتفصيل ، تدعم قضية أساسية ، وهي : هل يعترف ، كما يريد بريجنيف ، بوجود خط مشترك ، وبتفوق الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي ؟ في هذه الحالة ، وجد أن أحزاباً عديدة متعلقة أكثر فأكثر باستقلالها ، وبالطرق المختلفة التي تبناها كل بلد في مسيرته نحو الاشتراكية ، رفضت أن تشارك في المناقشات . أو عندئذ ، يجب على الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي أن يقبل بأن يمرر بصمت المبادئ العزيزة عليه ، وأن يكتفي الإعلان النهائي بالتعبير عن موافقته على شجب الرأسمالية والامبريالية . وهذا ما كان له قليل أهمية .

وكان فريق (المستقلين) يسيره الحزب الشيوعي الإيطالي الذي يوجهه أنريكو برلينغر[1] . إلا أن هذا ، أثناء الانتخابات العامة الإيطالية ، في ٢٠ حزيران ١٩٧٦ ، حصل على ٣٣,٧ ٪ من الأصوات الشعبية ، وانضم تقريباً للحزب القائم على السلطة منذ ثلاثين عاماً ، وهو حزب الديموقراطية المسيحية . ومنذ الأصل ، كان الحزب الشيوعي الإيطالي قد أخذ حريات كبرى مع المذهب . وكان يرغب بإبرام (تسوية تاريخية) ، مع الأحزاب البورجوازية ، تساعده على الوصول إلى السلطة ، ويفضل الاشتراكية مع تعددية الأحزاب ،

---

(١) إنريكو برلينغر : Enrico Berlinguer .

والحريات التي يصفها الشيوعيون بسائق التقليد (صورية) ، وعلى وجه الدقة هذا ماحذفه السوفياتيون بالقوة في تشيكوسلوفاكيا ؛ ولم يتردد أبداً في انتقاد الاتحاد السوفياتي بشدة ؛ وقبل بقاء إيطاليا في الحلف الأطلسي ، وشجع تبعيته للأسرة الاقتصادية الأوربية . ومع الفارق ، كانت تدعمه الأحزاب الصغيرة : البريطاني ، والهولاندي ، والسويدي ، والنورفيجي ، والحزب الشيوعي الإسباني .

وفي الطرف الآخر يقع الحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي ، والألمانيان ، الشرقي والغربي ، والهونغاري ، والبلغاري ، والبولوني والحزب الشيوعي البرتغالي .

ووجد الحزب الشيوعي الفرنسي في وضع متوسط ، كثير التردد ، ولكن الاستقلال جذبه أكثر فأكثر . ويرجع تاريخ أول انتقاد له للسلوك السوفياتي إلى الحوادث التشيكوسلوفاكية في آب ١٩٦٨ . ومنذ ذلك الحين ، دفعه تحالفه ، مع الحزب الاشتراكي ، حسب (البرنامج المشترك) في عام ١٩٧٢ ، إلى التساهل مع ميثاق الأطلسي والأسرة الاقتصادية الأوربية ، ولكن أيضاً إلى الذهاب بعيداً جداً في اتجاه الحريات الفردية ، وتعددية الأحزاب في فرنسا الاشتراكية ، وأكثر فأكثر إلى شجب متواتر ، للاعتداءات على حقوق الإنسان في الاتحاد السوفياتي . وإن أمينه العام (جورج مارشيه)[١] ، ذهب ، في كانون الأول ١٩٧٧ ، حتى التوكيد في الحالة ـ غير المحتملة ـ التي قد يهاجم فيها الاتحاد السوفياتي فرنسا ، بأن الشيوعيين الفرنسيين سيكونون على رأس الكفاح . بينا ، في ١٩٤٧ ، كان أحد أسلافه ، موريس توريز[٢] ، يؤكد بأن الشيوعيين الفرنسيين لن يشكوا السلاح ضد الاتحاد السوفياتي . ولنشر إلى أن قوة الحزب الشيوعي في مجموع الناخبين

(١) جورج مارشيه : Georges Marchais .

(٢) موريس توريز : Maurice Torez .

كانت ٢١,٣ ٪ من الأصوات في ١٩٧٣ (٢٠,٦ ٪ في ١٩٧٨) . ولنشر أخيراً ، إلى أن الحزب الشيوعي الفرنسي ، أثناء انعقاد مؤتمره الثاني والعشرين ، في كانون الأول ١٩٧٦ ، اتخذ قراراً أثار انتقادات شديدة في الاتحاد السوفياتي : وهو التخلي عن منظور (دكتاتورية الطبقة الكادحة) .

وبالإجمال ، فقد تغلب (المستقلون) شيئاً فشيئاً بعد مساندة الحزب الشيوعي الفرنسي لهم . واشترك ٢٩ حزباً في مؤتمر برلين (وامتنع الألبانيون والإيسلانديون وحدهم) . ولكن ، بعد خطب مختلفة النبرة جداً في الصوت ، لم يستعمل البلاغ النهائي الكلمة (الأممية الكادحة) ، واكتفى بذكر (التعاون والتضامن الطوعي ، على أساس الأفكار الكبرى لماركس وأنغلز ولينين) واعترف - وهذه نقطة أساسية - بـ (مبادئ المساواة والاستقلال ذي السيادة لكل حزب) ، وكذلك (احترام الخيار الحر لمختلف الطرق في النضال ... في سبيل الاشتراكية) .

البرتغال ، إسبانيا

لقد تخلص هذان البلدان الأوربيان ، في دورنا ، من نظاميهما الدكتاتوريين وخطوا خطواتها الأولى في طرق الديموقراطية . وكان لهذا التحويل نتائج دولية لا في إفريقية فحسب - استقلال المستعمرات البرتغالية والصحراء الإسبانية - وإنما في أوربة أيضاً .

بعد وفاة الدكتاتور الأبوي سالازار ، قلبت حكومة مارسيللو كيتانو[(١)] المتسلطة على يد فريق من الضباط المقتنعين بأن الحروب ضد القوميين في المستعمرات عابثة وخطرة . واستلم السلطة الجنرال أنطونيو دوسبينولا ، والجنرال فرانشيسكو داكوستا غوميز في نيسان ١٩٧٤ ، معتمدين على (حركة القوات

---

(١) مارسيللو كيتانو : Marcello Caetano .

المسلحة) المؤلفة من الضباط الشبان واليساريين غالباً . والحزب الشيوعي ، الممنوع منذ ١٩٢٦ ، سمح له من جديد . وكان أمينه العام ألفارو كونهال[1] لينينياً مؤمناً ومذهبياً ، وقد قبل هو وشيوعي آخر في الحكومة المؤقتة ، وهذا ما كان فريداً في أوربة الغربية . وفي ٢٨ أيلول ، ضغط اليسار على سبينولا ، واتهم بأنه يشجع عودة اليمين بالقوة ، واضطر إلى الاستقالة من (خونتة[2] ـ زمرة ـ السلامة القومية) ، وأخذ العسكريون بالأمثلة التي ضربها البيروفيون والجزائريون ، وقرروا الحفاظ على السلطة . وكان الحزب الشيوعي الفرنسي مع النقابات التي استطاع بأن ينجح في فرض سلطته عليها ، يريد التحالف معه . وفي واشنطون بدئ بالكلام عن (التهديد الأحمر) في البرتغال . وكان الاشتراكيون ، الذين يوجههم ماريو شواريز[3] ، متهمين بـ (الانزلاق إلى اليمين) ، ولكنهم ، على الأقل ، استخدموا مؤقتاً في الائتلاف . وأخفقت جزئياً محاولة انقلاب يمينية ، في ١١ آذار ١٩٧٥ ، بفضل قوة يسارية ، (الكوبكون)[4] ، أي (قيادة العمليات القارية) ، التي يقودها أوتيلو دو كارفالهو[5] . وأمكن التفكير في ذلك الحين بأن البرتغال أبعد من أن تصبح ديموقراطية ليبرالية ، ودخلت في طريق الديموقراطية الشعبية . ومع ذلك ، ففي انتخابات نيسان ١٩٧٥ ، من أجل جمعية تأسيسية ، حصل الحزب الشيوعي البرتغالي بمشقة على ١٣ ٪ من الأصوات ، مقابل ٣٨ ٪ للحزب الاشتراكي ، و ٢٦ ٪ للحزب الديموقراطي الشعبي (حزب الوسط) .

---

(١) ألفارو كونهال : Alvaro Cunhal .

(٢) خونته : Junte .

(٣) ماريو شواريز : Mario Soares .

(٤) الكوبكون : (Le Copcon) أي Commendement des opérations continentales .

(٥) أوتيلو دو كارفالهو : Otelo de Carvalho .

وعندئذ ، بالرغم من أن الحزب الشيوعي أقلية ، حاول الاستيلاء على السلطة ضد الاشتراكيين الذين غادروا الحكم ، معتمداً على العسكريين اليساريين . واستخدم الشيوعيون النقابات ومنعوا الصحيفة الاشتراكية (الجمهورية) من الصدور . وكانت الحالة الاقتصادية في البلاد بائسة ، والبطالة فائضة عن الحد ، والبرتغاليون اللاجئون في إفريقية يتوافدون إلى لشبونة .

وفي بلد لاتريد أكثرية المواطنين الديموقراطية الشعبية ، وبدأ فيه العديد من الضباط يقلقون ، أدى هذا الموقف الجذري ، في تشرين الثاني ١٩٧٥ ، إلى إخفاق الانقلاب اليساري وأنهى الثورة البرتغالية . وأعطى الانتخاب البرلماني ، في نيسان ١٩٧٦ ، نسبة ٣٧,٩ ٪ من الأصوات للاشتراكيين ، و ١٤,٦ ٪ للشيوعيين . واستلم الحزب الاشتراكي ، بمساندة الشيوعيين ، ولكن دون مشاركتهم ، ثم ضدهم ، إدارة البلاد ، مع ماريو شواريز وزيراً أول . وفي حزيران ١٩٧٦ توج انتخاب الأميرال إينيس[1] ، رئيساً للجمهورية ، نصر الديموقراطية الغربية .

وفي إسبانيا ، على نقيض الكثير من التنبؤات ، مرّ كل شيء بنظام . وأنهى موت الجنرال فرنكو ، في ٢٠ تشرين الثاني ١٩٧٥ ، الدكتاتورية . وكان كل شيء متوقعاً لتوطيد ملكية آل بوربون ، وأصبح خوان كارلوس ملك إسبانيا ، وأعطت الانتخابات للحزب الشيوعي الذي رخص له من جديد ، ويوجهه سنتياغو كاريللو ١١ ٪ من الأصوات .

وسنتياغو كاريللو[2] ، على نقيض الفارو كونهال ، واحد من أكثر الشيوعيين معارضة لسيطرة موسكو ، ومن أكثرهم تقبلاً لتعددية الأحزاب والديموقراطية

---

(١) إينيس : Eanes .

(٢) سنتياغو كاريللو : Santiago Carillo .

الليبرالية . وفي المؤتمر الخامس والعشرين للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي ، في شباط ١٩٧٦ ، والذي رفض جورج مارشيه حضوره ، أوفد كاريللو مكانه المناضلة السابقة العجوز دولوريس إيبارّوري[١] (الشغفة) بحرب إسبانيا ، والتي كانت تقيم في موسكو . وهو يرى أن الاشتراكية السوفياتية ما زالت بعد في (مرحلة بدائية) . وفي مؤتمر برلين ، في حزيران ١٩٧٦ ، شجب بوضوح التفوق السوفياتي ودعا بصراحة الاتحاد السوفياتي إلى سحب جيوشه من تشيكوسلوفاكيا .

الأوربية الشيوعية[٢]

إن موقف الأحزاب الشيوعية : الإيطالي ، والإسباني ، ولحد ما الفرنسي دفع بعض المراقبين إلى الإيحاء بظهور نوع جديد من الشيوعية ، مستقل عن الاتحاد السوفياتي وليبرالي كثيراً ، في البلاد اللاتينية ، باستثناء البرتغال . ويشار إلى أن الحزب الشيوعي الفرنسي ، بالرغم من علاقاته الطيبة مع الحزب الشيوعي الإسباني والحزب الشيوعي الإيرلاندي ، كان يحترس منها دوماً .

أثارت (الشيوعية الأوربية) شكاً قوياً في الغرب كله ، ولا سيا في الولايات المتحدة التي تخامرها الفكرة في أن الشيوعيين يمكن أن يدخلوا في حكومات البلاد الأعضاء في الحلف الأطلسي . وبكثير أو قليل من انتهازية ، أخذ الموجهون الأميركيون والألمان الغربيون قرارهم ضد هذا الاحتمال . وفي ١٣ نيسان ١٩٧٦ ذكر هنري كيسنجر بـ (التنظيم الداخلي اللينيني) ، لهذه الأحزاب . (وأنها تسلك سياسة خارجية تختلف ، بطابعها ، عن السياسة الخارجية المناصرة للغرب التي ميزت العلاقات الأطلسية) . ففي سنوات الـ ٦٠ كان الجنرال دوغول يحكم فرنسا ، وكان من الصعب للغاية أن تتفاهم معه الولايات المتحدة . ولكن دوغول في

---

(١) دولوريس إيباروري : Dolores Ibarruri .

(٢) الأوربية الشيوعية : L'Eurocommunisme .

ساعات الأزمة ، كان رجلاً من الغرب (غربياً) . وكل موجه شيوعي ، في أوربة ، حتى ولو كان مستقلاً عن موسكو ، سيكون بدقة في وضع معكوس) . وفي ١٢ كانون الثاني ١٩٧٨ ، نشرت وزارة الخارجية الأميركية مذكرة (ربما طلبها سراً الديموقراطيون المسيحيون الإيطاليون) تقول : « إن بلاد أوربة الغربية ذات سيادة ، ولكن من واجبنا ، تجاه أصدقائنا ، أن نعبر عن موقعنا ؛ لسنا مشجعين لمشاركة الشيوعيين في الحكومة الإيطالية ، وبودنا أن نرى نفوذهم يتحجم في أوربة الغربية كلها » . ولننشر أخيراً إلى أن المستشار الألماني هلموت شميت[١] صرح ، في ١٦ تموز ١٩٧٦ ، بأن السبعة (كبار) الغربيين المجتمعين في ٢٧ و ٢٨ حزيران في بورتو - ريكو ، قرروا فيها تعليق كل مساعدة اقتصادية إلى إيطاليا شيوعية .

وبالإجمال ، إن سلوك الحزب الشيوعي الفرنسي في هذه القضية يبدي أهمية كبرى . فابتداءً من أيار ١٩٧٧ ، قام بهجوم ضد الحزب الاشتراكي ، الذي ، كما يقول ، باشر بعملية (انزلاق إلى اليمين) . وفي الـ ٢٤ و ٢٢ أيلول ، أخفقت المفاوضات من أجل (تكييف البرنامج المشترك من جديد مع الحاضر) . وهيأ الحزب الشيوعي والحزب الاشتراكي الانتخاب في حالة انشقاق . وكانت النتيجة في الانتخابات الفرنسية ، في آذار ١٩٧٨ ، إخفاقاً واضحاً لليسار . أما الاشتراكيون ، من جهتهم ، فقد اتهموا في ذلك الشيوعيين المشبوهين بالحفاظ على روابط وثيقة بعد مع موسكو . ومهما يكن من أمر ، فقد أظهرت القضية البرتغالية والانتخابات الفرنسية أنها أبعدت الحين الذي يمكن فيه مشاركة شيوعية في حكومات الغرب . وإيطاليا وحدها ، التي عكرها عنف اليساريين ، يمكنها أن ترى نجاح هذا الحل . وستعزز الانتخابات الفرنسية ولا شك نجاح خصومه .

شلل البناء الأوربي

بعد أن خضعت أوربة الغربية للأزمة ، أظهرت تعلقها بالمجتمع الليبرالي

(١) هلموت شميت : Helmut Schmidt .

وبقيت علاقاتها مع الولايات المتحدة طيبة أو حتى ـ وهذه حالة فرنسا ـ تحسنت . ولكنها لم تحاول حل الأزمة بتعزيز الدمج الأوربي . وعلى الصعيد السياسي سار توالي الحكومات جيداً بين معتدلة واجتماعية ـ ديموقراطية في أوربة الشمالية . ففي بريطانيا ـ العظمى ، حَلَّ ادوارد هيث الوزير الأول المحافظ مجلس العموم . وأوصلت الانتخابات العامة ، في شباط ١٩٧٤ ، العماليين إلى السلطة مع الوزير الأول هارولد ولسون الذي خلفه جيمس كالاهان وزيراً للشؤون الخارجية . وفي ألمانيا ، بقي الائتلاف الاجتماعي ـ الديموقراطي في السلطة . وفي أيار ١٩٧٤ ، استقال المستشار ڤيللي برانت لأسباب سياسة داخلية . وحل محله وزير الاقتصاد في وزارته ، هلموت شميت . وكذا الحال ، في اللوكسمبورغ ، غلب الاجتماعيون ـ الديموقراطيون المسيحيين ـ الاجتماعيين الذين ظلوا في السلطة منذ ١٩٢٥ . وباتجاه معاكس ، غُلب الاجتماعي ـ الديموقراطي السويدي أولاف بالمه[١] على يد ائتلاف محافظ في انتخابات ١٩٧٦ . وخسر الاجتماعيون ـ الديموقراطيون السلطة أيضاً في النورفيج . وفي البلاد ـ المنخفضة ، أوصلت أزمة وزارية طويلة ، في ١٩٧٧ ، إلى السلطة وزيراً أول ، مسيحياً ـ ديموقراطياً .

وفي أوربة المتوسطية ، أثار وجود أحزاب شيوعية قوية بالعكس من جانب الأكثرية حادث (طرح) كانت ضحاياه التحالفات مع الاشتراكيين (في فرنسا ، إيطاليا ، إسبانيا) . وبالمقابل ، في البرتغال ، توجد حكومة اشتراكية ، ولكن هذه الحكومة كانت في مقدمة النضال ضد الشيوعيين .

وتعززت السوق المشتركة عدداً بانضمام بريطانيا ـ العظمى ، بعد سنين من المفاوضات ، استؤنفت بكثير من القوة في ١٩٧٤ ، وهدفت بخاصة إلى المشاركة

---

(١) أولاف بالمه : Olaf Palme .

البريطانية في مالية المجموعة الاقتصادية الأوربية . وأخيراً ، قررت حكومة ولسون تنظيم استفتاء على قبول بلدها في السوق المشتركة . وتم ذلك في حزيران ١٩٧٥ وأعطى ٦٧,٢ ٪ (نعم) .

ولكن من جهة أخرى ، لم يتقدم البناء . فكل بلد يميل إلى البحث عن حلول قومية للأزمة . وعندما ينخفض نقده (عملته) عليه أن يدفع (مبالغ تعويضية) من أجل صادراته . وحلت وحدة حساب أوربية جديدة محل الدولار . ودشن نظام مشابه لنظام (حق سحب خاص) (D. T. S.) : (سلة) تحتل فيها كل عملة مكاناً محدداً تبعاً للإنتاج القومي الخام (الإجمالي) ومكانته في التجارة الأوربية : ٢٧,٣ ٪ من أجل الدوتشمارك ، ١٩,٥ ٪ من أجل الفرنك الفرنسي ، ١٧,٥ ٪ من أجل الجنيه الاسترليني ، ١٤ ٪ من أجل الليرالإيطالي ، إلخ ....

والنقطتان الوحيدتان الهامتان هما : إنشاء (المجلس الأوربي) ومشروع انتخاب برلمان أوربي بالتصويت العام .

وتضاعفت لقاءات قمة الخمسة ، ثم التسعة بالرئيس بومبيدو . وتقرر في هذه القمم أن تقوم مجموعة ثلاثة لقاءات سنوية مؤسسية . وهذا هو (المجلس الأوربي) . كان اللقاء الأول في باريس في ٩ و ١٠ كانون الأول ١٩٧٤ . وهدفه تنظيم تبادل وجهات نظر غير رسمية بين زعماء دولة أو حكومات مرفقين بوزرائهم في الشؤون الخارجية . ويحضرها رئيس اللجنة الأوربية . ومنذ هذا التاريخ جرى عقد ١٠ اجتماعات . وبفضلها أمكن دراسة تقرير وضعه الوزير الأول البلجيكي ليو تينديمانس[1] ، وسلم في كانون الأول ١٩٧٥ ، وكان هدفه دراسة وسائل انطلاقة الفكرة الأوربية . ومن هذا التقرير تستخلص بخاصة

---

(١) ليو تينديمانس : Leo Tindemans .

فكرة انتخاب البرلمان الأوربي بالتصويت العام . ولكن التاريخ المحدد مبدئياً ، في أيار ١٩٧٨ ، أخره البريطانيون عاماً .

ولنشر أخيراً إلى أن جان مونيه[١] الموحي وصاحب النفوذ المؤثر بصورة فائقة في الدمج الأوربي ، قرر ، في ١٩٧٥ ، حل (لجنة العمل من أجل الولايات المتحدة الأوربية) التي أنشأها قبل عشرين عاماً . وصحب هذا القرار نشر (مذكرات) استخلص فيها جميع دروس حياة مهنة مفعمة بثراء .

٤ ـ البحر المتوسط والشرق الأوسط

في ١٩٧٣ ، كانت قناة السويس ماتزال محاصرة مجمدة بعد . ودور البحر المتوسط في التجارة العالمية الكبرى وجد معرضاً للخطر ، ولكن دوره الستراتيجي لم يَزُل بهذا القدر ، فضلاً عن أن الاتحاد السوفياتي ، منذ ١٩٦٤ يقيم فيه أسطولاً حربياً هاماً جنباً إلى جنب مع الأسطول السابع للولايات المتحدة ، ومع أسطولين لا يهمل شأنها وهما الأسطولان الفرنسي والإيطالي . أما دعائم الأسطول الأميركي فهي بلاد (الأوتان = منظمة حلف الأطلسي) ـ فرنسا ، إيطاليا ، اليونان ، تركيا ـ ولكن الأميركيين يتمتعون أيضاً بمساندة الدول المعتدلة : إسبانيا ، المملكة المغربية ، تونس ، مصر منذ ١٩٧٣ ، لبنان ؛ وظلوا ، رغم الكثير من المشاكل ، سنداً أساسياً لإسرائيل . ويعتمد الاتحاد السوفياتي ، بالعكس ، على البلاد التي تعتبر نفسها (تقدمية) : الجزائر ، وليبيا ، وسورية . وفي هذه الأخيرة يستطيع أن يستعمل ميناء اللاذقية ، ولا سيا ميناء طرسوس . ويوجد أخيراً دول غير ملتزمة : يوغوسلافيا ، مالطا ، قبرص ـ ، ودولة منعزلة جداً وهي ألبانيا أنور خوجا التي بردت علاقاتها مع الصين وترفض مع ذلك عروض الاتحاد السوفياتي . وحالة ليبيا ، التي انتقلت من عداء السوفياتية العنيف

---

(١) جان مونّيه : Jean Monnet .

إلى سياسة نصيرة لروسيا ، تظهر مرتبطة بالمزاج الخيالي لزعيمها العقيد معمر القذافي . ويعلم أيضاً أن هذا الزعيم حاول عبثاً اتحاداً مع مصر في ١٩٧٢ ، وفعل الشيء نفسه مع تونس في كانون الثاني ١٩٧٤ . وهذه المشاريع ، وبخاصة الثاني ، كانت عابرة .

قضية قبرص

وعدا عن المنظور الذي ذكرناه أعلاه ، من رؤية الشيوعيين يشاركون في الحكومات في إيطاليا ، وحتى في فرنسا ، جوبهت الولايات المتحدة والحلف الأطلسي بأزمة جديدة وخطيرة في قبرص ، البؤرة الدائمة للنزاع بين اليونان وتركيا .

في ١٩٦٧ ، حدث في اليونان انقلاب ، يسمى انقلاب الكولونيلات ، وأقر دكتاتورية . وعرف هذا النظام مشاكل متنامية . ففي تشرين الثاني ١٩٧٣ ، بعد حوادث دامية حين ثورات الطلاب ، اضطر (رجل الانقلاب القوي) ، بابا دوبولوس إلى التخلي عن إدارة الحكومة . والعلاقات ، التي كانت مع تركيا مقبولة حتى ذلك الحين ، تدهورت بسرعة ، وبخاصة بعد أن وجدت آثار مناجم بترولية في جزيرة تازوس . وفي الغالب ، حسب الخطة التي تدعو الدكتاتوريين إلى تخفيف الصعوبات الداخلية موقتاً بمغامرات خارجية ، تبنت الدكتاتورية اليونانية خطاً عدوانياً أكثر بكثير من قبل حيال المونسنيور ماكاريوس ، رئيس قبرص . فقد شكا هذا من موقف الضباط اليونان في الحرس الوطني القبرصي وطلب إرجاعهم . فكان الرد عليه ، في ١٥ تموز ١٩٧٤ ، انقلاب نظمه الحرس الوطني ضده . وكانت مشاركة اليونان في هذا الانقلاب واضحة .

وغادر المونسنيور ماكاريوس الجزيرة وحل محله إرهابي سابق وهو نيكوس سامبسون[١] ، وطلبت بريطانيا ـ العظمى وتركيا عودة الحالة السابقة . ولكن

(١) نيكوس سامبسون : Nicos Sampson .

الأتراك ، بموجب معاهدة الضمان لعام ١٩٦٠ ، نزلوا في شمال قبرص وأقاموا فيه رأس جسر . وفي الوقت نفسه ، اتخذت اليونان وتركيا إجراءات تعبئة . وقرر مجلس الأمن وقف إطلاق النار . وعقد مؤتمر في جنيف ، ولكنه أخفق . وفي ١٢ آب ، وجه وزير الشؤون الخارجية التركي توران غونس[1] إنذاراً حقيقياً : وأخطر اليونان بقبول حل فدرالي خلال ٢٤ ساعة ، وإثر رفضهم ، أنزل الأتراك نجدات كثيفة ، واحتلوا ٤٠ ٪ من الأرض القبرصية وقصفوا نيقوسيا ، في ١٤ آب . وأمر مجلس الأمن بوقف إطلاق النار ثانية في ١٦ آب . وعارض الأتراك عقد مؤتمر دولي بشأن قبرص .

وأنهت هذه القضية في اليونان نظام الكولونيلات . ضغط قسم من الجيش على الموجهين العسكريين فسلموا السلطة للمدنيين . وترأس الحكومة قسطنطين كارامانليس الذي كان رئيس الوزارة من ١٩٥٣ إلى ١٩٦٣ ، ثم عاش أحد عشر عاماً في المنفى في باريس . وطد الدستور الديموقراطي لعام ١٩٥٢ ونظم استفتاءً شعبياً يلغي الملكية بما يقارب ٧٠ ٪ من الأصوات . وأدرك كارامانليس الضعف النسبي للجيش اليوناني ، واطرح كل سياسة قوة ضد الأتراك وأمر بالتسريح التدريجي .

وكان لدى اليونان في قبرص انطباع في أن الأميركيين كانوا شركاء في جرم الانقلاب . وفي ١٩ آب ١٩٧٤ ، قامت مظاهرة عنيفة في نيقوسيا كلفت حياة السفير الأميركي . أما المونسنيور ماكاريوس ، فقد عاد إلى نيقوسيا في ٧ كانون الأول ١٩٧٤ ، وتوفي في ٣ آب ١٩٧٧ وعندئذ حل محله رئيس الجمعية الوطنية ، كيبريانو . وقررت اليونان ، على نسق فرنسا ، أن تغادر الهيئات العسكرية لمنظمة معاهدة شمالي الأطلسي (أوتان) .

---

(١) توران غونس : Turan Günes .

ومنذ ذلك الحين تقدمت الحالة قليلاً . طلبت جمعية الأمم المتحدة ، في ٢ تشرين الثاني ١٩٧٤ . انسحاب الأتراك وعودة اللاجئين اليونان إلى مناطقهم الأصلية ـ دون نجاح ـ وبالعكس ، لم يحصل الأتراك من المونسنيور ماكاريوس على إنشاء دولة إقليمية ـ مزدوجة . وحاول الأميركيون الحفاظ على توازن بين حليفي ميثاق الأطلسي . وبدؤوا أولاً بوضع الحظر على تسليم الأسلحة إلى تركيا (في ١٠ كانون الأول ١٩٧٤) . ومن ثم ، بدافع من هنري كيسنجر ، أبرمت الولايات المتحدة اتفاقين في ١٩٧٦ . أحدهما ، في ٢٦ آذار ، مع تركيا ، وينص على وضع ٢٦ قاعدة أميركية تحت القيادة التركية ، وعلى مساعدة (١) مليار دولار في أربعة أعوام ؛ والآخر ، في ١٥ نيسان ١٩٧٦ ، ينص على مساعدة من ٧٠٠ مليون دولار إلى اليونان في أربعة أعوام ، ومنح تسهيلات إلى الأميركيين في أربع قواعد يونانية . وفي الحقيقة ، لقد خاب ظن اليونان ، واتهموا الأميركيين بتفضيل الأتراك عليهم . وبالإجمال ، كانت القضية إخفاقاً خطيراً للسياسة الأميركية .

وتحسنت العلاقات قليلاً في بداية ١٩٧٨ . فقد أصبح زعيم (حزب السلامة القومية) في تركيا ، بولانت أجاويد وزيراً أول وأبدى رغبة شديدة في التفاوض في القضية دون عصبية قومية . ولم تسفر لقاءاته مع كارامانليس ، في آذار وفي نيسان ١٩٧٦ ، حتى الآن ، عن أي نتيجة .

السويس وسيناء

وفيما كانت الحالة بعد حرب الأيام الستة مجمدة كلياً ، فقد اتبعت حرب كيبور ببعض اتفاقات ومحاولات جريئة . ويجب أن نعزو هذا الاختلاف إلى عدة أسباب : الإعياء حيال الجهود المكلفة ، وشخصية الرئيس المصري أنور السادات ، ومهارة وزير الخارجية الأميركية هنري كيسنجر . فقد ذهب هذا إلى الشرق الأوسط ثلاث مرات ، في تشرين الثاني وكانون الأول ١٩٧٣ ، وفي كانون

الثاني ١٩٧٤ . ومن جهة أخرى ، إن مؤتمر السلام الذي نص عليه الاتفاق المسمى اتفاق (الكيلومتر ١٠١) عقد في ١٠ كانون الأول ١٩٧٣ في جنيف ، بدعوة الأمين العام للأمم المتحدة ، وتحت رئاسة متعاونة من غروميكو وكيسنجر . إلا أن سورية رفضت المشاركة فيه .

وفي ١٨ كانون الثاني ١٩٧٤ ، وقع اتفاق جديد في (الكيلومتر ١٠١) ، بحضور الجنرال سيلاسفوو[١] ، قائد قوة الطوارئ الدولية للأمم المتحدة . وتقرر فك الاشتباك العسكري . ففي خلال أربعين يوماً ، على الإسرائيليين أن ينسحبوا ثلاثين كيلومتراً إلى الشرق من قناة السويس . وتنشأ بين الجيشين منطقة ١٠ كم على أن تحتلها (العمرات الزرقاء) . وعلى أن يخفض المصريون قواهم في شرق القناة إلى ٨٠٠٠ رجل وثلاثين دبابة . وأخيراً اتخذت قرارات لتحضير إعادة فتح قناة السويس على أن تقبل السفن الإسرائيلية فيها أخيراً . وفي شباط ١٩٧٤ ، استأنفت مصر علاقاتها الدبلوماسية مع الولايات المتحدة .

والمفاوضات الموازية التي قام بها كيسنجر بشأن الجولان ، انتهت فقط في ٣١ أيار ١٩٧٤ ، في إطار مؤتمر جنيف (قام كيسنجر بثلاث عشرة رحلة مكوكية بين القدس ودمشق) . وتراجع الإسرائيليون بضعة كيلومترات ، على أن تحتل المنطقة المتوسطة بالعمرات الزرقاء ، كما هي الحال في سيناء .

ويلاحظ أن جميع البلاد العربية أوضحت بأنها تبعد كل شكل لسلام منفصل ، وأصرت أيضاً على حقوق الشعب الفلسطيني وعلى الإرادة العربية في استرجاع مدينة القدس القديمة .

وفي المفاوضات مع مصر ، كان الاتحاد السوفياتي عملياً غائباً . والأمل ، الذي

---

(١) سيلاسفوو : Silassvuo .

خامره بتقارب مع مصر التي حاربت بأسلحة سوفياتية ، كان عابثاً ، بالرغم من عروض المساعدة التي قدمها غروميكو إلى القاهرة في آذار ١٩٧٤ . وفي الواقع ، انطلقت منذ الآن بشراء الأسلحة الأميركية والفرنسية . وبالمقابل ، لعبت دوراً هاماً في الاتفاق الإسرائيلي ـ السوري . وبخاصة ، ظهرت تراهن على الفلسطينيين .

الفلسطينيون

ظهرت القضية الفلسطينية أكثر فأكثر بأنها المشكلة العظيمة التي تقاوم حل النزاع الإسرائيلي ـ العربي . وقد عرف (الميثاق القومي الفلسطيني) ، في ١٩٦٨ ، الفلسطينيين بأنهم (مواطنون عرب يقيمون عادةً في فلسطين حتى ١٩٤٧) ، وهذه حالهم إن غادروها أو بقوا فيها ، وكذلك من ولدوا بعد هذا التاريخ من أب فلسطيني في فلسطين وخارج فلسطين . فعلى حوالي ١,٢٠٠,٠٠٠ فلسطيني قبل ١٩٤٨ ، بقي ١٥٠,٠٠٠ في إسرائيل (الأرض المحتلة) ، وغادرها ٣٠٠٠٠ ثم عادوا إليها . وبقي منهم حسب إحصائيات وكالة الأمم المتحدة ٩٦٠,٠٠٠ لاجئ . وفي ١٩٧٧ ، كان التقدير هو الآتي : ٣,٢٠٠,٠٠٠ ، منهم ٤٠٠,٠٠٠ في إسرائيل ، ٧٠٠,٠٠٠ في الضفة الغربية التي تحتلها إسرائيل ، و ٤٠٠٠٠٠ في قطاع غزة المحتل أيضاً ـ أي ١٥٠٠٠٠٠ تحت السيطرة الإسرائيلية ـ ، ١٠٠٠٠٠٠ في الأردن ، ٣٠٠٠٠٠ في لبنان ، و ٤٠٠٠٠٠ مشتتين . ولنشر إلى أن اسم فلسطين ، في ١٩١٩ ، لم يكن مقبولاً لا من العرب ولا من اليهود .

ولنذكر أن (منظمة التحرير الفلسطينية O. L. P.) قد تألفت في ١٩٦٥ . فكيف تطورت درجة الاعتراف الدولي إزاءها ؟ يجب أولاً أن نلاحظ أن عديداً من الفلسطينيين أرادوا إبادة تامة لدولة إسرائيل . ولم تذهب (منظمة التحرير الفلسطينية) وزعيمها ياسر عرفات إلى بعيد . ولكنهما بقيا في الغموض والإبهام . وفي الأمم المتحدة ، في ١٣ تشرين الثاني ، اقترح ياسر عرفات ، على جميع اليهود

الذين يعيشون حالياً في فلسطين ، إنشاء (دولة واحدة ديموقراطية في فلسطين) ، يستطيع فيها المسيحيون واليهود والمسلمون العيش في العدل والمساواة والإخاء والتقدم) . ومن الواضح أنه توجد هوة بين هذا المفهوم الذي لم يكد يتغير منذ ذلك الحين إلا قليلاً ، وإرادة إسرائيل بأن يعترف بها كدولة .

اعترفت البلاد العربية بمنظمة التحرير الفلسطينية الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني .

والاتحاد السوفياتي ، مع قبوله بوجود دولة إسرائيل ، يطالب بإنشاء (دولة فلسطينية) .

وفي الأمم المتحدة ، اتخذت غالبية دول العالم الثالث موقفاً مناصراً للفلسطينيين . وفي أيلول ١٩٧٤ ، وضعت الجمعية العمومية على جدول أعمالها (المسألة الفلسطينية) ولم تضع (قضية اللاجئين) . وهذا ماساعد ياسر عرفات على أن يستقبل بها استقبال الظافرين في ١٣ تشرين الثاني . وفيها أكد بأن (الشعب الفلسطيني جزء أساسي لإقامة سلام عادل ودائم في الشرق الأدنى) . ومنعت الجزائر وسورية أن تضاف ، كما طلبت فرنسا ، إشارة لوجود دولة إسرائيل . وصوت على القرار بـ ٨٩ صوتاً ضد ٨ (وبخاصة الولايات المتحدة وإسرائيل) و ٣٧ امتناعاً (وبخاصة بلاد المجموعة الاقتصادية الأوربية CEE) . واستعمل العالم الثالث أيضاً غالبيته لـ (شجب) إسرائيل في (الأونيسكو) . ولكن أموال هذه الهيئة لا تأتي من العالم الثالث ، وفي ١٩٧٥ ، لطفت الأونيسكو موقفها .

وصرحت الولايات المتحدة بأنها ترفض الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية مادامت هذه الهيئة لا تقبل بوجود دولة إسرائيل (كانون الثاني ١٩٧٦) . ولذا لم تذهب إلى أبعد من الاعتراف بـ (كيان فلسطيني)

و بـ (شكل من تقرير المصير من أجـل الفلسطينيين) . ووضـع الرئيس كارتر خطة ، على أن يقبل الفلسطينيون بموجبها الاعتراف بسيادة إسرائيل في حدود مقبولة ، وأن تقبل إسرائيل الاعتراف بحق الفلسطينيين في تقرير المصير . وعليه يمكن حلان : دولة مستقلة . دولة متحدة فدرالياً بحرية مع الأردن .

وتكلم بعض الأوربيين ، مثـل الفرنسيين ، عن (وطن فلسطيني) (تعبير فاليري جيسكار ديستن) .

وأخيراً رفضت إسرائيـل الاعتراف بمنظمـة التحرير الفلسطينيـة ورأت أن الأردن وحدها أهل لتمثيل المصالح الفلسطينية .

ونشير إلى أنـه ، في الأول من تشرين الثـاني ١٩٧٧ ، وعلى مرأى من استيـاء إسرائيل العظيم ، أعلن الأميركيون والسوفياتيون تصريحاً قريناً يعترف (بالحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني) وآل الأمر بـالولايـات المتحـدة قليلاً قليلاً إلى قبول منظمـة التحرير الفلسطينيـة كممثـل شرعي للشعب الفلسطيني ، كما قبلت بـأن منظمـة التحرير الفلسطينيـة (م . ت . ف .) يمكن أن تمثـل في مـؤتمر جنيف الذي قطع في ١٩٧٤ ، على أن يستأنف في كانون الأول ١٩٧٧ .

قضية لبنان

وفي الحين الـذي نجـح الملـك حسين ، ملـك الأردن ، بحـذف الفـدائيين الفلسطينيين من أرضه ، لم يكن لبنـان الـدولـة المسلمـة والمسيحيـة معاً ليتصرف بأكثر من جيش ضعيف ، وترك المجـال ، بـالقرب من بيروت وفي جنوب البلاد ، بين نهر الليطـاني والحـدود الإسرائيليـة ، لإقـامـة مخيمـات عسكريـة للفلسطينيين (سميت هذه المنطقة : منطقة فتح) . ولم تحذف سلطة الدولة اللبنانيـة عملياً في

هذه المنطقة فحسب ، بل إن حوادث الحدود الخطيرة كانت تدور فيها . وفي كل محاولة فلسطينية ، كان الإسرائيليون يردون عليها بعمليات دقيقة ومباشرة (كما في ١٧ و ١٨ أيلول ١٩٧٢ بعد اعتداء مونيخ على الفريق الأولمبي الإسرائيلي ؛ وكذلك في كانون الثاني ، وفي حزيران ١٩٧٥) . والسكان المقيمون في هذه المنطقة على طول حدود إسرائيل وفي الجنوب المباشر من بيروت ، وجدوا أكثر فأكثر مهددين من جانب وآخر . وكانت النتيجة نشوب حرب أهلية فظيعة في لبنان ، متعددة الأسباب ، بين المسيحيين (المحافظين) والمسلمين (التقدميين) . وهذه العمليات التي لاتنتهي ، والمنقطعة بالعديد من وقف إطلاق النار ، وسرعان ما ينتهك ، أدت ، في ٣١ أيار ١٩٧٦ ، إلى تدخل الجيوش السورية ، في بيروت وفي شمال الليطاني ، بمساعدة الفدائيين المساقين في سورية والمراقبين بصورة وثيقة من قبل الحكومة السورية . ومحاولات الوساطة الفرنسية التي قام بها جورج غورس[١] وموريس كوف دو مرڤيل[٢] (نيسان ١٩٧٦) ، أخفقت أيضاً . وعندما اقترح الرئيس الفرنسي جيسكار ديستن ، في ٢١ أيار ١٩٧٦ ، إرسال قطعتين أو ثلاث قطعات من الجيش الفرنسي إلى لبنان ، كان رد الفعل سلبياً تماماً ، إن من الجهة العربية ، وبخاصة الجزائر ، أو الإسرائيلية .

وفي آذار ١٩٧٨ ، جرى اعتداء قاتل بخاصة قام به المقاومون الفلسطينيون ضد سيارة نقل (أوتوكار إسرائيلية) في ضاحية تل أبيب ، فأثار عملية إسرائيلية واسعة النطاق ، في جنوب الليطاني ، وطرد الفدائيون منه وتجمعوا في الشمال . وفي الوقت الذي نكتب فيه هذه السطور لم يبدأ الإسرائيليون بعد بالجلاء عن هذه الأرض . وإن إنشاء قوة تدخل للأمم المتحدة تضم فرقة قوية فرنسية ، لم يكف على ما يبدو لمنع متابعة النزاع والقتال . وهكذا ، لم يبت بشيء ما بعد .

(١) جورج غورس : Georges Gorse .

(٢) موريس كوف دو مرڤيل : Maurice Couve de Murville .

مبادرة السادات

لقد كان الرئيس المصري أنور السادات مقتنعاً بأنه يجب تبني موقف جريء في القضية الإسرائيلية ـ العربية ، واقترح في ٩ تشرين الثاني أن يذهب إلى القدس للمناقشة بالسلام أمام البرلمان الإسرائيلي (الكنيست) . وفي إسرائيل ، أدت انتخابات أيار ١٩٧٧ إلى انتصار اليمين الوطني (الليكود) وأصبح مناحيم بيغن ، الزعيم السابق للآرغون وزيراً أول ، وغُلب العماليون (حزب العمل) الذين كانوا يحتلون السلطة منذ ١٩٤٨ .

قبل بيغن اقتراح السادات ، وعلى مرأى من دهشة العالم كله ، جاء السادات إلى القدس (١٩ ـ ٢١ تشرين الثاني) واستقبل فيها بحرارة . وأمام الكنيست ألقى خطاباً مؤثراً ، ولكنه حازم ، ولم يتردد بالكلام عن (الدولة الفلسطينية) . ورد بيغن له الزيارة في ٢٥ ـ ٢٦ كانون الأول في الإسماعيلية . واقترح السادات عقد اجتماع في القاهرة لتحضير مؤتمر جنيف . وجرت محادثات بين الزعماء العسكريين المصريين والإسرائيليين .

وحتى الآن ، لم تعط هذه المبادرة نتائج محسوسة جداً . أولاً لم يتنازل بيغن عن شيء . وتقضي خطته في السلام فقط تخويل الاستقلال الذاتي للضفة الغربية (يهودا والسامرة) في إطار إسرائيل ، وحكومة دينية للأماكن المقدسة . ويبدو أنه يريد الحفاظ على الضفة الغربية وقطاع غزة ، كما تدل على ذلك تشجيعاته لإنشاء كيبوتزات إسرائيلية على أرضه .

ومن بعد ، لم يحصل السادات على مساندة تامة من البلاد العربية (المعتدلة) العربية السعودية ، الأردن . وفوق ذلك ، إن البلاد العربية (التقدمية) ، سورية ، الجزائر ، ليبيا ، العراق ، اليمن الجنوبي ، ومنظمة

التحرير الفلسطينية استاءت وشجبت بعنف ماتعتبره كتهديد بـ (سلام منفصل) من جانب مصر ـ ولنشر بأن السادات قليل العروبة كثيراً ، وأنه وطني مصري أكثر بكثير من سلفه جمال عبد الناصر ـ وعقدت مؤتمراً يسمى (مؤتمر الرفض) في طرابلس الغرب (٢ ـ ٥ كانون الأول ١٩٧٧) ، ونظمت المقاومة . ودافع السادات عن نفسه باستياء وقطع العلاقات الدبلوماسية مع هذه البلاد . وفي المؤتمر الذي عقده في القاهرة حضرت فقط مصر ، وإسرائيل ، والولايات المتحدة وممثلون عن منظمة الأمم المتحدة والفاتيكان .

واستصوبت الولايات المتحدة بحرارة مبادرة السادات ، ومارست عبثاً ـ ضغطاً قوياً على بيغن ليلين موقفه . أما الاتحاد السوفياتي ، فعلى العكس ، شجب المبادرة ودعم (بلاد الرفض) .

٥ ـ إفريقية الغربية والجنوبية : (عدم الاستقرار)

لم تكن سنوات الـ ٦٠ وبداية سنوات ١٩٧٠ هادئة في إفريقية . فقد دمغتها قضية الكونغو ، وقضية بيافرا وانقلابات لاعدّ لها . ولكن الدولتين الأعظم أظهرتا بأنها تلتزمان البقاء جانباً . ومنذ ١٩٧٣ ، يشاهد بالعكس عودة الاتحاد السوفياتي إلى التدخل بالقوة ، بينما الولايات المتحدة ، بالرغم من هنري كيسنجر ، حافظت على عدم التدخل . إلا أن فرنسا وحدها ، من الجانب الغربي ، طبقت في موريتانيا ، وفي تشاد ، وفي زئير ، سياسة متواضعة في دعم الحكومات المعتدلة . وسنعالج في الفقرة التالية ، بمناسبة المحيط الهندي ، قضايا (القرن الإفريقي) .

استقلال المستعمرات البرتغالية

نشبت الثورة البرتغالية ، صنع الجيش ، في نيسان ١٩٧٤ ، من خيبة الآمال

وتبدد الأوهام التي ركمها هذا الجيش في نزاعه ضد الحركات الوطنية . ففي ٦ أيار ، اقترحت الخونته (الزمرة) العسكرية وقف إطلاق النار في غينه البرتغالية ، وفي أنغولا ، وفي موزامبيق . وفي ٢٦ آب ، وقع ، في الجزائر ، اتفاق على استقلال غينة وجزر الرأس الأخضر . وفي ٥ أيلول كان دور اتفاق لوساكا على استقلال موزامبيق . وتوصلت غينة ـ بيساو إلى الاستقلال في ١٠ أيلول . وفي ٢٦ تشرين الثاني كان دور جزيرتي ساؤ تومه(١) والبرنس (الأمير)(٢) أو إيلهادو برنسيب ، وتؤلفان أرخبيلاً في خليج غينة .

وكانت حالة أنغولا معقدة أكثر بكثير . وتنازعت السلطة فيها ثلاث حركات وطنية : (الجبهة الوطنية لتحرير أنغولا)(٣) التي سيطرت على المنطقة الشمالية ؛ و (الاتحاد الوطني لاستقلال أنغولا التام)(٤) ، التي كانت تناضل في الجنوب ، وكانت متهمة بتلقي أسلحة من جنوب ـ إفريقية . وأخيراً حركة يسارية (تقدمية) ، (الحركة الشعبية لتحرير أنغولا)(٥) ويدعمها الاتحاد السوفياتي . وأعلنت هاتان الحركتان الأخيرتان الجمهورية في ١١ تشرين الثاني ١٩٧٥ .

وهنا يوضع تدخل ، تساء معرفته بعد ، وهو تدخل الاتحاد السوفياتي بمساعدة جنود كوبيين . وبعد أن جربت الحكومة السوفياتية ، وبخاصة في مصر ، ضعف الاتفاقات التي لا تعتمد على حضور عسكري بصورة خاصة ، يبدو أنها اخترعت هذه الصيغة الجديدة التي تقتضي تسلحاً هاماً وتمويلاً لأنصارها ،

---

(١) ساؤ تومه أو ساؤ توم : Sao Tomé أو Sao Tome .

(٢) البرنس : Prince ، أو : إيلها دو برنسيب Ilha de Principe ، أو : برنسيب .

(٣) الجبهة الوطنية لتحرير أنغولا : (F. N. L. A.) .

(٤) الاتحاد الوطني لاستقلال انغولا التام : (U. N. I. T. A.) = (أونيتا) .

(٥) الحركة الشعبية لتحرير أنغولا : (M. P. L. A.) .

ولكن أيضاً استعمال محاربين حلفاء ـ كوبيين في هذه الحالة ـ لتمتين سيطرتها . وقد تأتى هذا التحول من مذهب جديد حضّره ، منذ ١٩٦٤ ، (معهد الاقتصاد العالمي) ، وبموجبه ، من الممكن ، في البلاد التي لاتوجد فيها طبقات كادحة صناعية ، أن توجد (ديموقراطيات ثورية) تعتمد على طبقات وسيطة ، بل وحتى عسكرية . وتشجعت هذه البلاد بالاتحاد السوفياتي على المضي في (طريق غير رأسمالي) .

ومنذ بداية ١٩٧٦ ، أمن التدخل الكوبي نصر (الحركة الشعبية لتحرير أنغولا) التي تدعي بأنها ماركسية . وبعد أن سيطرت على العاصمة لواندا والمدن الرئيسية ، أنشأت (جمهورية أنغولا الشعبية) . وبالرغم من إيحاء السنغال بتحضير حكومة مع ممثلين عن الحركات الثلاث ، قبلت (منظمة الوحدة الافريقية L'O. U. A.) ، في ١٢ شباط ، بناء على اقتراح نيجيريا ، الجمهورية الشعبية عضواً مشاركاً لها تحت الرقم ٤٧ . وبقيت حاميات كوبية قوية في مكانها . ولكن (الاتحاد الوطني لاستقلال أنغولا التام) عاودت النضال تحت شكل عصابات . وكان هنري كيسنجر مشجعاً لمساعدة كثيفة بالأسلحة للحركات غير الشيوعية . وفي ٢ كانون الثاني ١٩٧٦ ، احتجت وزارة الخارجية الأميركية على إرسال جنود كوبيين وأسلحة سوفياتية . ولكن الكونغرس الأميركي الذي سيطرت عليه القضية الفيتنامية ، رفض التصويت على الاعتمادات من أجل المساعدة العسكرية التي طالب بها الرئيس فورد . ولم يخف كيسنجر لومه إزاء الكونغرس . وهذه هي المرة الأولى التي يجمد فيها هذا الكونغرس مثل هذا العمل ، والمرة الأولى أيضاً ، التي يتدخل فيها الاتحاد السوفياتي من مسافة طويلة . وعبر وزير الخارجية الأميركية عن قلقه حيال التوازن ، ورفضت الولايات المتحدة ، على نقيض فرنسا ، الاعتراف بالدولة الجديدة ووضعت (الفيتو) على قبولها في منظمة الأمم المتحدة .

وتجدد هذا التدخل السوفياتي ـ الكوبي ، في ١٩٧٧ ، في أثيوبيا . ويلاحظ ، في آذار ١٩٧٧ ، أن بودغورني[1] قام بجولة في إفريقية السوداء ـ وهي الأولى التي قام بها رئيس للدولة السوفياتية ـ وفي الشهر نفسه ذهب الزعيم الكوبي فيديل كاسترو إلى ليبيا ، والصومال ، وأثيوبيا ، وموزامبيق ، وآنغولا . فهل يجب أن يرى فيها ، وبخاصة في موزامبيق ، أرضية عمل مستقبلية لعمل جديد سوفياتي ـ كوبي موجه ضد روديسيا وجنوب إفريقية ؟ في ربيع ١٩٧٨ ، قدر الأميركيون بأربعين ألفاً عدد الكوبيين في إفريقية (٢٥٠٠٠ في آنغولا ، منهم ١٠ إلى ٢٠٠٠٠ جندي ، ١٦ إلى ١٧٠٠٠ في أثيوبيا ، ٨٠٠ في موزامبيق ، ١٠٠ إلى ٣٠٠ في تانزانيا) .

جبهة بوليساريو

إن استقلال الصحراء الإسبانية سابقاً ، هذا المجال الصحراوي الواسع المأهول بأقل من مئة ألف نسمة ، وضع وما يزال يضع عدة قضايا تتجاوزه بشكل عريض . في أيار ١٩٧٠ ، قررت المملكة المغربية وموريتانيا تنسيق جهودهما لانتزاع الاستعمار من هذه الأرض . وكذلك فعلت موريتانيا والجزائر ، في أيلول ١٩٧٠ ، في لقاء انواذيب[2] . ودام هذا التجمع الثلاثي حتى تشرين الأول ١٩٧٤ . وفي هذا التاريخ ، اجتمعت القمة العربية ، في الرباط ، وصوتت على قرار بموجبه تكون المملكة المغربية وموريتانيا (الطرفين المعنيين بمستقبل الصحراء الغربية) . عندئذ انسحبت الجزائر من المشاورة الثلاثية .

وفي أيار ١٩٧٣ ، تأسست ، بعد بعض السوابق (الجبهة الشعبية لتحرير

---

(١) پودغورني : Podgorny .

(٢) أنواذيب Nouadhi Bou .

الساقية الحمراء ووادي الذهب) . وهذه الجبهة ، التي كانت في البدء مواتية لموريتانيا ، تقربت من الجزائر . وعندما كان الجنرال فرنكو في حالة احتضار ، وقع ، في ١٤ تشرين الثاني ١٩٧٥ ، اتفاقاً ثلاثياً في مدريد ، بين إسبانيا والمملكة المغربية وموريتانيا ، لتقرير مصير هذا البلد .

عندئذ بدأ النزاع . فقد أعلنت الجزائر وجبهة البوليساريو ، التي سلحتها الجزائر ، أنها لصالح الاستقلال . وبعد قليل ، أطلقت الجبهة هجماتها الأولى على الجيش الموريتاني الصغير ، وتقاسم المغربيون والموريتانيون البلاد في ١٤ نيسان ١٩٧٦ . ونظمت المملكة المغربية مسيرة شعبية لاحتلال منطقتها (المسيرة الخضراء) في تشرين الثاني ١٩٧٥ .

وقامت جبهة بوليساريو منذ ذلك الحين تناضل تحت شكل غارات وإحباطات ، وبخاصة ضد موريتانيا ، وأخذت رهائن من بين الـ ٢٦٠٠ فرنسي المقيمين في موريتانيا . والأغرب من ذلك أن هذه الجبهة المجهزة عن سعة بأسلحة روسية ، ادعت جمع ١٠٠٠٠ رجل . وهذا يظهر ، من أجل شعب يقدر بـ ٧٤٠٠٠ نسمة ، حسب التعداد الإسباني لعام ١٩٧٤ ، أنه يبرهن على تدخل جزائري مباشر . وتدخلت مصالح ضخمة (مناجم الفوسفات) في الموضوع . ويوجد أيضاً مظهر عقائدي . ومهما تكن درجة الصحة ، فالجبهة ترمز (التقدمية) . وأعلنت ، في ٢٧ شباط ١٩٧٦ (الجمهورية الصحراوية الديموقراطية) ، واعترف بها ١١ عضواً من منظمة الأمم المتحدة على ١٤٨ ،. ولقائمتهم دلالتها : الجزائر ، أنغولا ، غينة ـ بيساو ، موزامبيق ، بنينْ ، روانـدا ، بروندي ، مدغسكر ، سيشيل ، توغو ، وكوريا الشمالية .

وبالنسبة لفرنسا ، تضع هذه المشكلة قضية علاقاتها مع الجزائر . فبتجهيز

أسلحة ومساعدة فنية عسكرية للمملكة المغربيـة (اتفـاق أيلـول ١٩٧٦) ، وبمساعدة موريتانيا بطائراتها الفرنسية المرابطة في داكار (قصف فيالق البوليساريو في ١٣ و ٢١ كانون الأول ١٩٧٧ ، أثارت استياء الجزائر . إلا انه ، في هذا الحين ، الذي نكتب فيه هذه السطور ، يرتسم تقارب بين الطرفين .

السياسة الفرنسية في إفريقية

إن الشلل الظاهر للسياسة الأميركية في إفريقيـة ، فسح المجال لإمكانيات عمل لفرنسا . فلها قواعد في السنغال ، وفي ساحل العاج ، وفي الغابون ، واتفاقات دفاع مع هذين البلدين الأخيرين . ومع ١٩ دولة تطبق التعاون العسكري (مدربون ، تجهيزات) . وتلعب دوراً خاصاً في تشاد لتساعد الحكومة في نضالها ضد متمردي جبهة التحرير الوطني ، الذين تدعمهم ليبيا ، وفيما عدا موريتانيا ، تتجنب التدخلات المباشرة ، وبالإجمال ، يوجد ١٩٠٠٠ عسكري فرنسي في إفريقية ، منهم ٦٠٠٠ في الشرق (جيبوتي ، مايّوتّ وريؤنيون) . والدور الأول مرتبط بغزو شابا ، في جنوب زئير ، من قبل متمردين جاؤوا من أنغولا . وقد قرر الملك الحسن الثاني ، عاهل المملكة المغربية ، أن يساعد نظام الجنرال موبوتو المعتدل ، فأرسل إليه ألف رجل . ووضعت فرنسا تحت تصرفه طائرات ترانسال[1] ، لا لنقل الرجال ، وإنما لنقل عتادهم (٨ ـ ١٥ نيسان ١٩٧٧) . وقد قال الرئيس جيسكار ديستن : إن هذا « مؤشر لتضامن بين أوربة وافريقية » . ووافق الرئيس الأميركي كارتر على هذه العملية التي شجبتها البلاد الافريقية وحدها المسماة (تقدمية) ويدعمها الاتحاد السوفياتي . وعندما توصلت جيبوتي إلى الاستقلال ، في ١٧ حزيران ١٩٧٧ ، ذكر الرئيس الفرنسي إمكان (ميثاق تضامن) بين اوربة وافريقية . وهذه السياسة التي وضعها وزير

(١) طائرات ترانسال : Transall .

التعـاون ، بيير ابلان[1] ، في حكـومـة شيراك ، كانت نتيجتهـا الأسـاسيـة اتفـاق لومه[2] (توغو) ، في شبـاط ١٩٧٥ . ووسع هـذا الاتفـاق المسـاعـدة التي خولتهـا المجموعـة الاوربيـة إلى عـدد من البلاد الأوربيـة بـاتفـاق يـاؤنـده[3] . وضم هـذا الاتفاق الدول الست في المجموعة الاقتصادية الاوربية ، و ١٩ بلداً افريقيـاً تنطق كلها باللغة الفرنسية بـاستثنـاء الصومـال . وفي هـذه المرة اشترك ، مع التسعـة في المجموعـة الاقتصـاديـة الأوربيـة ، ٤٦ بلـداً من إفريقيـة والبحر الكريبي والمحيـط الهادئ (إ . ك . هـ .)[4] : ١٨ بلداً من افريقية السوداء النـاطقـة بـالفرنسيـة ، ٢١ بلداً من رابطة الشعوب البريطـانيـة (كومنولث) : (١٣ في افريقيـة ، ٥ في الكريبي ، ٣ في المحيط الهادئ) وفوق ذلك اثيوبيا ، والصومال ، وغينة ، وغينـة الاستوائية (الإسبانية سابقاً) ، وغينة بيساو (البرتغـاليـة سـابقـاً) ، وليبريـا ، والسودان .

وينص اتفاق لومه على مساعدة مالية بمقدار أربعة أضعاف المساعدة التي نص عليها في ياؤنـده ؛ وبعض الثبـات في أسعـار ١٢ إنتـاجـاً تصـدرهـا بلاد افريقيـة والكريبي والهـادئ ؛ والـدخـول الحر إلى السـوق المشتركـة من أجـل ٩٩,٢ ٪ من الإنتـاجـات الآتيـة ، من هـذه البـلاد ؛ والتعـاون الصنـاعي . ويشـار أيضـاً إلى الاجتماع السنوي لـ (مؤتمرات فرنسية ـ افريقيـة) للقمـة منـذ ١٩٧٤ . وانضم إلى الفريـق النـاطـق بـالفرنسيـة عـدة مستعمرات برتغـاليـة سـابقـاً . وكانت البـلاد (التقدمية) : مدغسكر ، غينة ، الكونغو ، فيها غائبة .

---

(١) بيير ابلان : Pierre Abelin .

(٢) لومه : Lomé .

(٣) ياؤنده : Yaoundé .

(٤) إ . ك . هـ = A. C. P. .

وسياسة التعاون المتعددة الجوانب هذه بين فريقين هي في خط السياسة الفرنسية منذ نزع الاستعمار .

وبالمقابل ، إن معظم الأفارقة لا يفهمون بأن فرنسا أخذت بعين الاعتبار استفتاء جزيرة مايوت الذي قرر بـ ٩٩ ٪ من المصوتين (٨٤ ٪ من المسجلين على قوائم الانتخابات قد صوتوا) بألا تتبع جزر القمر في الاستقلال ، وأن تبقى مرتبطة بفرنسا (٨ شباط ١٩٧٦) . لاسيما وأن تسليم أسلحة إلى جنوبي افريقية ومشروع تسليمها عتاد نووي قد شجبا بشدة وخاصةً بمؤتمر الـ ٨٢ بلداً غير المنحازة التي اجتمعت في كولومبو في آب ١٩٧٦ .

قضية الحكومات الأقلية البيضاء : جنوبي افريقية وروديسيا

لقد أثيرت أخطر قضية وضعت لافريقية على يد سلطة الأقليات البيضاء القوية في روديسيا ولا سيما في جنوبي افريقية . وهذه دولة صناعية ، ولكن البيض يمارسون فيها (التفرقة العنصرية) . ومنذ سنوات الـ ٥٠ مافتئت الأمم المتحدة تضاعف شجب هذه الممارسة غير المبنية على المساواة . وما يزال ضغط بلاد افريقية السوداء يزيد عزلة جمهورية جنوبي افريقية . وبعد ثورات في تشرين الأول ١٩٧٧ ، اتخذ مجلس الأمن ، في ٤ تشرين الثاني ، قراراً يعلن بأن تصدير الأسلحة إلى جنوبي افريقية يؤلف تهديداً للسلام . والولايات المتحدة وفرنسا ، المجهزان الأساسيان لهذه الأسلحة في السنوات السابقة ، استسلمتا تدريجياً لضغط الرأي الافريقي . و (الكونغرس الوطني الافريقي) ، وهو أهم حزب زنجي في جنوبي افريقية ، كان قد صرح في ١٩٧٦ : « لقد أصبحت فرنسا أخطر عدو للقارة الافريقية » . لذا أعلن الرئيس الفرنسي وقف تصديرات الأسلحة نحو هذا البلد ـ ماعدا الطلبات الجارية ـ وكذلك صرح الرئيس الأميركي كارتر .

أما إنشاء دول جديدة زنجية في جنوب افريقية (ناميبيا ـ جنوب غربي افريقية سابقاً ـ التي أخذت اسم ترانسكاي ، وقطعت العلاقات الدبلوماسية مع

حكومة بريتوريا ، بوفوتاتسوانا ـ بلد القِطَع السبع الحبيسة في جنوبي افريقيـة ـ ڤاندا) ، فلم ينجح في حل القضية الأساسية .

أمـا **روديسيـا** التي تطورت ، تحت اسم زمبـابويـه ، في بـدايـة ١٩٧٨ ، نحو شكل حكومة ذات أكثرية سوداء ، فقد اشترك فيها البيض مع الزنوج المعتـدلين . وهذا الحل ، الذي أوحى به هنري كيسنجر في ١٩٧٦ ، شجبتـه بـالطبع الأحزاب (التقدمية) ، وذكر بعضهم إمكان حملة جديدة سوفياتية ـ كوبية ضد هذا البلـد عبر موزامبيق . ويلاحـظ أن بعض البلاد الافريقيـة تفضل التفـاوض مع جنوبي افريقية ، وأن عدداً من جيرانها العنيفين يتعاطون معها تجارة مثمرة .

٦ ـ المحيط الهندي وجنوب ـ شرقي آسيا

أهمية المحيط الهندي

إن امتداد دائرة المحيط الهندي من جنوبي افريقيـة إلى قنـاة السويس ، ومن عدن إلى الهند ، إلى اندونيسيا ، وإلى اوستراليا ، كان ومايزال يبدي أهمية واسعـة سياسية : ـ نظراً للمناطق الكثيفة السكان جداً في جنوبي آسيا ـ ، واقتصـاديـة . ولم تقم إعادة فتح قناة السويس إلا بدور تكملـة . وفي الواقع ، إن الطريق الكبير لمرور شاحنات البترول العملاقة الآتية من الخليج العربي ، يمر في شرق مـدغسكر ويصل المحيط الأطلسي عن طريق رأس الرجاء الصالح ، في اتجاه اوربـة ، وأكثر فأكثر ، الولايات المتحدة . وبتنازل فرنسـا لمـدغسكر عن الحقوق التي كانت لهـذا البلد على قاعدة دييغو ـ شواريز[١] البحرية الرائعة ، وتخلت عنهـا ، وبـاستقلال جيبوتي وجزر القمر ، لم تعـد فرنسـا لتمتلـك من مقـاطعـات مـاوراء البحـار غير جزيرة ريئونيون (سـابقـاً جزيرة بوربون) ، وربمـا من بعـد جـزيرة مـايّـوتّ المهورة بميناء طبيعي ممتاز . وبريطـانيـا ـ العظمى احتفظت ببعض النفوذ على

(١) دييغو ـ شواريز : Diego - Suarez .

بعض بلاد من ساحل افريقية الشرقي ، ولكن ليس لها اتفاق عسكري إلا مع كينيا . وقد تنازلت في ١٩٧٣ للولايات المتحدة عن القاعدة دييغو غارسيا[١] الهامة ، التي كانت قد أنشأتها في أرخبيل جزر شاغو[٢] ، في وسط المحيط . والولايات المتحدة تستعمل أيضاً قواعد على الساحل الغربي من أوستراليا وفي سنغافورة . والاتحاد السوفياتي يعتمد على (الأنظمة التقدمية) : العراق في عمق الخليج العربي ، والجمهورية الشعبية اليمنية ، أو اليمن الجنوبي . الذي ، على ما يبدو ، خول الاتحاد السوفياتي حقوقاً هامة في جزيرة سقطرة ، إلى الشرق من هذا السنان الذي يسمى (القرن الافريقي) . وتؤلف الصومال جزءاً في هذا الفريق في ١٩٧٣ ، والاتحاد السوفياتي يستعمل ميناء بربرة . وأخيراً تانزانيا ، موزامبيق ، مدغسكر ، تفضل الاتحاد السوفياتي أيضاً .

وقد بذلت دولتان هامتان من الدول البترولية العالمية ، العربية السعودية وإيران ، أقصى جهدهما ، بتقديم المال والأسلحة ، وأحياناً بضغط سياسي قوي ، لإيقاف تقدم السوفياتيين . وهكذا ، على الحدود ، بين اليمن الجنوبي وسلطنة عمان ، في إقليم ظفار ، حدث تدخل إيراني قوي ضد العصابات الثورية من إيحاء ماركسي . وتسيطر عمان في الواقع على مضيق هرمز ، عند مخرج الخليج العربي .

وإيران والعربية السعودية يمكنهما الاعتماد على مصر ، والسودان ، وجيبوتي واليمن الشمالي والإمارات العربية في الخليج . ويلاحظ أن منطقة الخليج ، بالنسبة للغواصات الستراتيجية الأميركية ، في مرمى صواريخ الأرض السوفياتية الواسعة ، بينما الاتحاد السوفياتي قليل مصلحة لإقامة غواصات في منطقة خارج مدى الأهداف الهامة في نظره .

---

(١) دييغو غارسيا : Diego Garcia .

(٢) شاغو ، جزر : Chgos .

النزاع الصومالي ـ الاثيوبي والقرن الافريقي

لقد رأينا أن نزاعاً عتيداً كان بين اثيوبيا والصومال . وفي الواقع ، تملك اثيوبيا هضبة اوغادن الواسعة والنصف صحراوية ، والمأهولة أساساً بـ ٨٥٠٠٠٠ صومالي ، وتتعمق كركن بين الجزأين الأصليين للصومال (المؤلفة من الصومال البريطاني ـ سابقاً والصومال الإيطالي ـ سابقاً أيضاً . وقد حدث فيها انقلاب عسكري في شباط ١٩٧٤ أطاح بالامبراطور العجوز هايله سيلاسيه . واتجه النظام الجديد ، ولا يخلو الأمر من هزات ، نحو (التقدمية) . وهي بلد يسكنه ٢٨ مليون نسمة أمام الصومال التي تكاد تحسب ٣ ملايين . وهي أكثر إغراء ، من هذه الأخيرة ، للطموحات السوفياتية . وقد قامت أثيوبيا بحروب مريرة ضد حركات المقاومة في اريتريا . وكانت تتلقى أكثر فأكثر أسلحة سوفياتية . ولذا شوهد في ١٩٧٧ تطور عظيم . فقد كانت العصابات الصومالية تقاتل في اوغادن وفتحتها قليلاً قليلاً بصورة كاملة . ومن جهة ، أرسل الاتحاد السوفياتي أسلحة ومرتزقة كوبيين إلى اثيوبيا . ومن جهة أخرى ، أوقفت باريس ولندن وواشنطون ، الوفية لمبدأ ثبات الحدود ، تسليم الأسلحة إلى الصومال ، في الأول من ايلول ١٩٧٧ . وطرد الرئيس سياد بري ، في ١٣ تشرين الثاني ، الخبراء السوفياتيين وقطع علاقاته الدبلوماسية مع كوبا . ولكن في بداية ١٩٧٨ ، أجبر الهجوم المعاكس ، من الأثيوبيين والكوبيين ، الصومال على سحب جيشها من اوغادن . وتلاحقت فيها حرب العصابات . وحذرت الحكومة الأميركية خصوم الصومال من غزو أرضها . وإذ حرم السوفياتيون من ميناء بربرة (في شمال الصومال في خليج عدن) فيمكنهم أن يتوطدوا فيها من جديد . ومن جهة أخرى ، كانت الصومال تشعر بمرارة أمام عدم قيام الغربيين بعمل .

توحيد فيتنام

والحادث الهام في جنوب ـ شرقي آسيا ، كان توحيد الفيتنام ، تحت السيطرة الشيوعية .

على إثر اتفاقات باريس بشأن الفيتنام ، تلاحق النزاع بين الفيتنام الشمالية و (الحكومة الثورية الموقتة .G. R. P) من جهة ، وفيتنام الجنوبية من جهة أخرى . واتسعت (البقع) الشيوعية في (جلد الفهد) أكثر فأكثر . وفي بداية ١٩٧٥ ، كان من الواضح أن الشيوعيين سيغلبون . وفي ١٠ نيسان ، طلب الرئيس فورد ، من الكونغرس اعتماداً بـ ٢٥٠ مليون دولار من أجل (مساعدة إنسانية) ، و ٧٢٢ مليون من أجل (مساعدة عسكرية عاجلة) ـ لا تقضي بالبداهة تدخل القوات الأميركية . رفض الكونغرس ، بالرغم من إصرار هنري كيسنجر الذي اتهم الاتحاد السوفياتي والصين بخرقهما اتفاقات باريس . وتحققت تسوية (حل وسط) في ٢٤ نيسان بين السلطة التنفيذية والكونغرس . وخصص اعتماد من ٣٢٧ مليون دولار لتأمين الجلاء . وبالنسبة للولايات المتحدة ، هذا الإخفاق النهائي الذي خلف اخفاقاتٍ أخرى قد شعر به بشدة . وقال الرئيس فورد : « لقد انتهت حرب الهند الصينية بالنسبة لنا » ، وأعلن أن الأولوية ستعطى منذ الآن إلى التعاون العالمي . ولكن الولايات المتحدة لم تفقد إرادتها في الدفاع عن الحرية .

واستقال الجنرال ثيو وهرب إلى فورموزا (تايوان) ، في ٢١ نيسان . والمحاولة التي قامت بها فرنسا للوصول إلى تسوية (حل وسط) بين الشيوعيين وحكومة الجنرال منه الجديدة (المحايدة) دامت طويلاً . وفي ٣٠ نيسان ، دخل الفيتناميون الشماليون و (الحكومة الثورية الموقتة .G. R. P) سايغون . واستسلم الجنرال (منه) دون شروط . ولم يستطع الأميركيون غير نقل جزء من مئات ألوف الأشخاص الذين يخشون النظام الشيوعي .

كامبوديا (كامبودج أو كامبوتشيا) وفيتنام

كانت نهاية الجمهورية المحافظة ، التي أسسها الجنرال لون نول في كامبوديا ، محزنة أكثر بكثير . ففي آب ١٩٧٣ ، بالرغم من احتجاجات الرئيس نكسون ، علق الكونغرس الأميركي الاعتمادات التي تساعد الطيران الأميركي على قصف الخمير

الحمر الذين كانوا يحاصرون أكثر فأكثر بصورة وثيقة مدينة فنوم بينه الكبرى . واعترف كثير من البلاد ، ومن بينها فرنسا ، عندئذ بـ (الحكومة الملكية لاتحاد كامبوتشيا الوطني)[1] أي الخمير الحمر الذين يتزعمهم پول پوت . وفي ١٧ نيسان ١٩٧٥ ، فر لون نول ، وأخذت المدينة . وفرض نظام استثنائي على البلاد . ويبدو أن الزعيم السابق (نورودوم سيهانوك) عاش فيها زمناً طويلاً في إقامة مراقبة ، بالرغم من تضامنه مع الخمير الحمر . وعزلت البلاد تماماً . ولاقت السفارات نفسها عنتاً في مغادرة البلد مع مغتربيها . ويبدو أن المدن قد أخليت بالقوة ، وأن عدد الضحايا كان واسعاً . وتؤكد الزيارة الأولى للصحافيين (يوغوسلافيون في ١٩٧٨) الصفة الشرسة لهذا النظام الجديد . وتدخل الأميركيون عندما فتشت إحدى سفنهم الشاحنة ، المايا غيز[2] ، في ١٢ أيار ١٩٧٥ في خليج سيام . وساعد القصف وفرقة المغاوير (كوماندو) على إنقاذها وبحارتها .

وشهدت اللاؤس أيضاً أن الباتيت لاو الشيوعي استحوذ على السلطة الكاملة التي كانت للأمير سوڤانوڤونغ[3] . ومنذ توحيد الفيتنام وانتصار الخمير الحمر أمكن ملاحظة حوادث عظيمة ؛ أولاً : البرودة الواضحة جداً بين الفيتنام والصين ، التي انطلقت ، في بداية ١٩٧٨ ، حتى حوادث الحدود . واحتجت الفيتنام أيضاً على احتلال الصينيين لجزر باراسيلس[4] . ولا ننسى أن الصين ، خلال قرون ، حاولت أن تجعل الفيتنام تابعاً لها ، وأن الفيتنام قاومتها . ومن بعد أمدت الصين كامبوديا بدعم أصبح واضحاً في ١٩٧٧ . وبالرغم من أن كلاً من كامبوديا

---

(١) الحكومة الملكية لاتحاد كامبوتشيا الوطني (G. R. U. N. C.) .

(٢) المايا غيز : Maya Guez .

(٣) سوڤانوڤونغ : Souvannouvong .

(٤) باراسيلس : Paracels .

والفيتنـام شيوعيتـان ، كانت علاقـاتهما كريهـة . وأدت هـذه العلاقـات في كانون الثاني ١٩٧٨ إلى حرب حقيقية . وكان هدف جيش الفيتنام الجنوبية القوي ـ وهو أقوى جيش في جنوب ـ شرقي آسيا ، دحر الخمير الـذين يقيمون الاضطرابـات على الحـدود . وتوقف الفيتنـاميون على بعـد أربعين كيلومتراً من فنـوم بينـه . وتـدل هذه القضية بكل وضوح على أن الفكرة ، التي بموجبها لا يمكن أن تكون تناقضات بين دول حذفت ربح رأس المال ، إنمـا هي أسطورة . ودخلت في التوتر الصيني ـ السوفياتي ، وأخذت الصين جانب كامبوديا ، والاتحاد السوفياتي جـانب فيتنـام . وفي الـوقت نفسـه ، جرى بعض التقـارب بين الـولايـات المتحـدة والفيتنـام . والـولايـات المتحـدة التي كانت قـد رفعت (الفيتـو) عن دخـول أنغـولا في الأمم المتحدة (تشرين الثاني ١٩٧٦) ، فعلت نفس الشيء من أجل الفيتنام في ١٩٧٧ . وأصبحت هـذه العضـو الـ ١٤٩ في منظمـة الأمم المتحـدة . ووطـدت الـولايـات المتحـدة العـلاقـات الـدبلـومـاسيـة . وحصلت على معلـومـات عن بعض الجنـود الأميركيين المختفين ، ورفعت الحظر التجـاري . وبـالمقـابـل ، اطرحت بشـدة المطلب الذي أذاعته الفيتنام بأن تدفع الولايات المتحدة لها (تعويضات) .

الهند ورابطة أمم الجنوب ـ الشرقي الآسيوي (L'A.S.E.A.N.)

ومـع تحمـل انعكاسـات هـذه الحـوادث بقـوة ، ومـع الخضـوع لاضطرابـات داخلية ، لم تعرف البلاد الأخرى في جنوب شرقي آسيا خلافات خـارجيـة خطيرة بين ١٩٧٣ و ١٩٧٨ . وتجـدر المـلاحظـة أن الـولايـات المتحـدة إذا خسرت نقطـة الاستنـاد المكلفـة هـذه التي كانت بـالنسبـة لهـا فيتنـام الجنـوبيـة ، فـإن نظريـة (الـدومينو) ، التي أفـادتهـا تبريراً لحرب الفيتنـام ، ظهرت غير صحيحـة . وأن (ميل) الفيتنام الجنوبيـة نحو المعسكر الشيوعي ، قـد ثبت حقـاً النصر الشيوعي في كامبوديـا ولاؤس . ولكن تـايـلانـد ، بـالرغم من مشـاكل الحـدود الخطيرة مـع كامبوديا ووجود العصابات الشيوعية في الشمال ، حافظت على نظام معتدل ، مع

تحديد تعاونها مع الولايات المتحدة . وأوصل انقلاب عسكري ، في ٢٠ تشرين الأول ١٩٧٧ ، إلى السلطة (خونته) وعدت بانتخابات في ١٩٧٨ .

وعدا اندونيسيا ، منذ الانقلاب الدموي المعادي للشيوعية في ١٩٦٥ ، ابتعد بلدان آخران بقوة عن الاتحاد السوفياتي في ١٩٧٧ ، إثر انتخابات . ففي الهند ، في ١٦ و ٢٠ آذار ، غُلب حزب المؤتمر الذي كان على السلطة منذ ١٩٤٧ ، بائتلاف معتدل . واضطرت السيدة أنديرا غاندي ، رئيسة الوزراء المشايعة لسياسة مناصرة للسوفياتيين ، إلى الاستقالة ، وحل محلها ديزاي[١] البالغ من العمر ٨١ عاماً . ورفع حالاً النظام الاستثنائي (حالة الطوارئ) الذي ساعد السيدة غاندي على ممارسة دكتاتورية حقيقية . وفي سيلان (سري لانكا)[٢] ، أدت انتخابات ٢٢ تموز إلى هزيمة (حزب الحرية) و (جبهة اليسار المتحدة) المناصرة للسوفياتيين ، التي تتزعمها السيدة باندانارايكه[٣] ، واستلام المحافظين السلطة . وفي الفيليبين ، يناقش نظام الرئيس ماركوس الدكتاتوري الأميركيين بشدة لسحب قواعدهم . ولكنه ظل مناصراً للغرب ، فضلاً عن أن سكان الجزر في الجنوب مسلمون ، وعليه أن يواجه تمرداً نظمته (جبهة مورو للتحرير الوطني)[٤] التي يوجهها نور موزواري[٥] .

ودعمت الـ ٤٢ أمة في المؤتمر الإسلامي جبهة مورو للتحرير الوطني . وهددت الأمم ، التي تنتج البترول ، الفيليبين بالحظر . وجرى تفاوض بوقف إطلاق النار ، في كانون الأول ١٩٧٦ ، ونظم استفتاء في نيسان ١٩٧٧ ، ولكن لم

---

(١) ديزاي : Desai .

(٢) سيلان : (سري ـ لانكا) : Sri - Lanka .

(٣) باندانارايكه : Mme Bandanaraïke .

(٤) مورو : Moro ، جبهة مورو للتحرير الوطني : (M. N. L. F.) .

(٥) نور موزواري : Nur Musuari .

تكن له أي نتيجة حاسمة . وقاطعته جبهة مورو .

وفك الاشتباك النسبي للولايات المتحدة من هذه المنطقة ملحوظ أيضاً بحل منظمة معاهدة جنوب شرقي آسيا (أوتاسيه)[1] . وعوضاً عن هذا الحلف ، الذي يتزعمه الغرب ، أنشئ تجمع محلي ، وهو (رابطة أمم الجنوب ـ الشرقي الآسيوي) (آسيان)[2] ويضم التايلاند ، ماليزيا ، اندونيسيا ، سنغافورة والفيليبين ، ويبدو أن هذه (الآسيان) حصلت على نجاحات هامة . وزار وزير الفيتنام للشؤون الخارجية ، نغوين دوي ترينه[3] ، في كانون الثاني ١٩٧٨ الكثير من عواصمها . وبدا من الممكن على هذا النحو إقامة تعاون اقتصادي وفني إقليمي . وحاولت الصين أيضاً إقامة علاقات طيبة مع (الآسيان) . ويلاحظ أخيراً المصلحة التي تعلقها هذه البلاد على اليابان التي تتفوق أكثر فأكثر على أسواق المنطقة . ويذهب بعضهم حتى الطلب منها زيادة قواتها لحماية الخطوط التجارية في جنوب ـ شرقي آسيا .

٧ ـ الشرق الأقصى ، المحيط الهادئ وأمريكا اللاتينية

ومهما تكن الاضطرابات الداخلية في البلاد التي درسناها ، فإن نصف الكرة الأرضية تقريباً ، الذي يضم الشرق الأقصى وأمريكا اللاتينية ، لم يعرف خلافات دولية خطيرة منذ ١٩٧٣ .

الصين

في الصين ، منذ أن فقد (لين بياؤ) حظوته وتوفي في ١٩٧١ ، كان الحادث الكبير وفاة ماو تسه تونغ في ٩ أيلول ١٩٧٦ .وقد سبقه إلى الوفاة في كانون

(١) منظمة معاهدة جنوب ـ شرقي آسيا : (L'O. T. A. S. E.) .

(٢) رابطة أمم الجنوب الشرقي الآسيوي : (L'A. S. E. A. N.) ، أو رابطة أمم جنوب ـ شرقي آسيا .

(٣) نغوين دوي ترينه : Nguyen Duy Trinh .

الثاني معاونه النافذ ، شو إن لاي . أما الظروف الداخلية التي أوصلت للسلطة (هوا كوو فنغ) رئيساً ، وبعد ذلك بقليل (تنغ هسياؤ بنغ) كنائب للرئيس ليست من صعيدنا . لأن الهام هو أن هذه الحوادث ، حتى الحين الذي نكتب فيه هذه السطور ، لم تثر تحويلات عظيمة في السياسة الخارجية الصينية . وبقيت هذه السياسة مطبوعة بالنضال ضد (الهيمنة) ، هيمنة الولايات المتحدة ، وأكثر من ذلك أيضاً هيمنة الاتحاد السوفياتي ، الأكثر خطراً مباشرة ولأنه يقيم جيوشاً هامة على حدودها . ويقارن الصينيون الامبريالية ـ الاجتماعية للاتحاد السوفياتي بـ الامبريالية ـ الأميركية . ودون أن يكون للصين سياسة خارجية نشيطة جداً (لأن الأولوية على ما يبدو معطاة للتنمية الاقتصادية) ، فهي تدعم كل ما يمكن أن يعاكس الاتحاد السوفياتي . وتشجع المجموعة الاقتصادية الأوربية (C. E. E.) على ممارسة سياسة موحدة متناسقة ، وتهنئ نفسها لسياسة (الاستقلال الوطني) التي تتبعها فرنسا ، وتحاول أن تتقرب من الهند منذ سقوط السيدة أنديرا غاندي ، ومن رابطة (الآسيان) ، وتدعم كامبوديا والعصابات الشيوعية في تايلاند ، وفي بورما (برمانيا) وفي ماليزيا ، ولكنها تشهر بالتدخلات السوفياتية ـ الكوبية في افريقية . وتستمر في المطالبة بأراضٍ سوفياتية : بامير ، وسيبريا الشرق الأقصى . ومن جهة الهند ، تطالب بـ ١٢٥٠٠٠ كم^{٢} : اللّدَخ[١] ، وهو الجزء الشرقي من كشمير الذي تحتل جزءاً منه ، أراضي صغيرة في غرب النيبال ، وبخاصة الآروناشا براديش ، (وكالة الحدود الشمالية ـ الشرقية[٢] القديمة) .

وفي نظر الموجهين الصينيين ، لا يوجد في العالم إلا خمسة بلاد اشتراكية

---

(١) اللدخ : Ladakh .

(٢) آروناشا براديش : L'Arounacha Pradesch ، وهي وكالة الحدود الشمالية الشرقية : (N. E. F. A.) North East Frontier A gency .

بحق : الصين ، كوريا الشمالية ، الفيتنام التي توحدت من جديد ، ألبانيا ، ورومانيا . ولا يوجد مطلقاً (معسكر اشتراكي) . والعالم ينقسم إلى ثلاث مجموعات وهي : الدولتان الأعظم المهيمنتان ، البلاد المتقدمة في أوربا الغربية والمحيط الهادئ ، البلاد المتخلفة (النامية) ، التي تتطلع لتوجيهها . وعلى هذين الفريقين الأخيرين أن يتحالفا لمنع محاولات سيطرة الدولتين الأعظم .

اليابان

لقد كانت اليابان بلداً مغامراً في سنوات الـ ٣٠ ، وأصبحت نوعاً لنموذج الحكمة في السياسة الخارجية . فهي تحكم دوماً بمعتدلين ، مع يسار يبدو أن له قليل حظ في الوصول إلى السلطة ، ولا تملك في الواقع جيشاً ، نظراً لدستورها ، إلا قوة حفظ النظام ، وأفادت من فقدان كلي تقريباً لنزاع الطبقات لتنطلق في جهد عظيم جعل منها كمياً ثالث دولة اقتصادية في العالم ، ومن حيث النوعية ، ثاني دولة . وتجدر الإشارة إلى أن اليابان ، من حيث الاختراع الفني ، فاقت ألمانيا ، وفرنسا وانكلترا مجتمعة ، دون الكلام عن الاتحاد السوفياتي ، الذي يعتبر متأخراً للغاية في هذا الصعيد .

وعلى الصعيد السياسي ، يعيّر اليابانيون علاقاتهم مع الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي والصين . وفيما يتعلق بالولايات المتحدة ، الحليف منذ ١٩٥١ ، فإن القضايا المعلقة بينهما هي ذات طابع اقتصادي . وبعد أن ترك الأميركيون الدولار عائماً تمنوا تقييماً جديداً للين[١] ، وميزانهم التجاري غير ملائم ، على حين أن الميزان التجاري لليابان ، التي تفتح السوق بعد السوق ، كان إيجابياً جداً في ١٩٧٧ . وقلق الأوربيون من غزو الفولاذ الياباني ، والسيارات اليابانية ، والأجهزة الكهربائية والالكترونية اليابانية وتوصلوا بصعوبة إلى إقناع توكيو

---

(١) ين Yen .

بوضع حصص (كوتات)[1] اختيارية .

وتوطدت العلاقات الدبلوماسية مع الاتحاد السوفياتي في ١٩٥٦ ، ولكن لا يوجد معاهدة سلام . والعقبة هي مطالبة اليابان بالجزر الأربع الجنوبية من أرخبيل الكوريل ، في شمال هوكايدو . ورفض الاتحاد السوفياتي التنازل عنها إطلاقاً . وحافظ فوكودا ، الوزير الأول الياباني منذ تشرين الثاني ١٩٧٧ ، كسابقيه تاناكا وميكّي ، على المزاعم اليابانية على هذه الجزر . وخلق توسع الاتحاد السوفياتي منطقة صيده الممتازة إلى ٢٠٠ ميل من السواحل ، مشاكل أيضاً . وبالمقابل ، إن اليابان ، الشريك التجاري الثاني للاتحاد السوفياتي بعد ألمانيا ، متأهبة لأخذ المكان الأول . وقد شاركها الاتحاد السوفياتي في البحوث البترولية في عرض ساخالين ، ويريد أن يؤمن لنفسه إسهامها في التنمية الضخمة التي يعتمد إعطاءها لسيبريا الشرقية . وكل شيء يصطدم بمسألة الجزر .

والوسيلة الأساسية لضغط اليابان على الاتحاد السوفياتي ، يمكن أن تكون إبرام معاهدة سلام وصداقة مع الصين . وترغب هذه أن يدخل في هذه المعاهدة البند (المعادي للهيمنة) ، الموجه ضد الاتحاد السوفياتي . ولكن هنا أيضاً توضع قضية الجزر في جنوب أوكيناوا . وظل السوفياتيون يعارضون المطالب اليابانية ، وتتجه اليابان حالياً ، وربما عن قناعة ، شطر الصين .

الكوريتان

إن الخط الحدودي الذي يفصل الكوريتين ـ تقريباً قليلاً خط العرض ٣٨° ـ يطابق منطقة منزوعة السلاح تعتبر أكثر منطقة مغلقة في العالم ، و « أكثر إحكاماً بكثير من سور برلين . فما من إنسان ، وما من رسالة ، وما من طرد يمر منذ ١٩٥٣ » (فرانسوا فيجتو)[2] .

---

(١) كوتا Quota .

(٢) فرانسوا فيجتو : François Fejto .

على الصعيد الاقتصادي ، أصبحت كوريا الجنوبية ، في سياق السنوات العشر الأخيرة ، من أقوى الدول الاقتصادية في آسيا ، بفضل الاستثمارات الجسيمة الأميركية واليابانية ، والأجور المنخفضة . والمنشآت البحرية ، ومعامل الفولاذ ، ومعامل النسيج إلخ ... تصنع إنتاجات ذات صفة عالية . ففي ١٩٦٩ ، كان الإنتاج القومي الخام (الإجمالي) لكل نسمة ٢١٦ دولاراً في الشمال ، و ٢٠٨ في الجنوب ، وفي ١٩٧٥ كانت الأرقام العائدة لكل منهما : ٣٩٨ و ٥٣٢ ، والتنمية في كوريا الجنوبية أسرع منها في الشمالية . ففي ١٩٧٥ كانت التجارة الخارجية للشمالية نحو ١٢ ٪ من التجارة الخارجية للجنوبية .

وعلى صعيد الأنظمة ، تشبه دكتاتورية كيم إيل سون[(١)] الشيوعية في الشمال دكتاتورية البلاد الأخرى من نفس النظام . كما أن زعيم الجنوب بارك شونغ هيا[(٢)] أسس نظاماً دكتاتورياً أيضاً منذ تشرين الأول ١٩٧٢ .

وتسيطر قضية إعادة توحيد الكوريتين على السياسة الخارجية . ويرجع تاريخ أول حوار ، بواسطة الصليب الأحمر ، إلى صيف ١٩٧١ ، وفي ٤ تموز ١٩٧٢ ، أعلن البلدان عن تشكيل لجنة تعاون بغية إعادة التوحيد . بيد أن كوريا الشمالية قطعت هذه المحادثات في ٢٦ نيسان ١٩٧٣ .

ومنذ الآن ، القوة وحدها يمكن أن تنجح . وأمام التهديد الدائم من كوريا الشمالية ، قاومت كوريا الجنوبية بإنشاء جيش قوي وبتربية المواطنين النفسية . وهل هذه الحالة تشبه حالة الفيتنامين ؟ في الولايات المتحدة ، وبخاصة منذ انتخاب الرئيس كارتر ، ينتقد نظام كوريا الجنوبية دوماً . ومنذ كانون الثاني ١٩٧٧ ، بدأ الأميركيون بالتفاوض على انسحاب تدريجي لجيوشهم (٤١٠٠٠

---

(١) كيم إيل سون : Kim Il Sun .

(٢) بارك شونغ هيا : Park Chung Hea .

رجل) في خمسة أعوام ، مقابل برنامج ضخم للمساعدة العسكرية (٥ مليارات دولار اعتباراً من ١٩٨٢ ، والمشكلة كلها ، كما في ١٩٥٠ ، هي معرفة ما إذا كانت كوريا الشمالية لا تعتبر الانسحاب الأميركي دعوةً للهجوم .

المحيط الهادئ

إن المحيط الهادئ ، الذي يسيطر عليه الأسطول السادس الأمريكي في الغرب ، والأسطول الأول في الشرق ، وضع قليلاً من القضايا . فالأرخبيلات أصبحت مستقلة الواحد بعد الآخر (وستكون هذه الحالة في ١٩٨٠ حالة جزر هبريد الجديدة الموضوعة تحت سيادة حكم مشتركة فرنسية ـ بريطانية) . ويبدو الزمن ، على الأقل ، أن الجزر الواقعة تحت (وصاية استراتيجية) أميركية (الألمانية ، ثم اليابانية) ، والأراضي الفرنسية فيا وراء البحار ، كاليدونيا الجديدة وبولينيزيا مستثناة من هذه الحركة . ومن الطبيعي ، أن جزر هاواي ، الولاية التاسعة والأربعين للولايات المتحدة ، في منأى عن هذه العملية تماماً .

والمشاكل التي أثارتها التجارب النووية الجوية لفرنسا في جزيرة موروروا ـ في بولينيزيا ، قد خفت منذ ١٩٧٤ ، وقررت فرنسا عندئذ بألا تقوم إلا بتفجيرات تحت الأرض . واليابان ، وأوستراليا ، وزيلاندة الجديدة ولا سيا البيرو ـ التي ذهبت حتى قطع العلاقات الدبلوماسية مع فرنسا ـ ما انفكت تحتج .

أمريكا اللاتينية

منذ نهاية حرب شاكو الرهيبة في ١٩٣٥ ، لم تعرف أمريكا اللاتينية غير حربين داخليتين ، حرب ١٩٤١ ، بين الأكوادور والبيرو ، وحرب ١٩٦٩ ، بين السلفادور والهندوراس . وفي الظاهر تتمتع إذن بالسلام . ومع ذلك ، على مساحتها البالغة ٢٠ مليون كم^2 ، وسكانها البالغين أكثر من ٣٠٠ مليون نسمة ، فإن

التخلف عـام . فزيـادة السكان الهـائلـة (٢,٨ ٪ في العـام) أمـام توسع متوسـط بـ ٥ ٪ في العام لا تسمح بتنبؤ تحسين سريع ، إلا من أجل بعض البلاد التي هي في طريـق (الخروج من التخلف) ، المكسيـك ، فينيزويـلا ، البرازيـل . والـدين العام حيال الخارج (الولايـات المتحـدة بصورة أسـاسيـة) انتقل من ٦ مليـارات دولار في ١٩٥٠ إلى ٢٠ ملياراً في ١٩٧٣ . والاستثمارات الأجنبية المباشرة ٢٠ مليـار دولار .

والاضطراب الـذي يسببـه البؤس هـو من شكل داخلي . فمنـذ الاستقـلال ، حسب في مجموع هـذه البلاد أكثر من ٣٠٠ انقلاب وثورات . ولكن العنف يـأخـذ أشكالاً أخرى : حرب عصابات كاسترية أو ماوتسيـة ، بؤر (قوة سوداء) في بلاد الكريبي . ونظام كوبا وحده اشتراكي . وقد عقد في كوبا في ١٩٦٦ « مؤتمر قـاري ثلاثي » (منظمة تضامن شعوب آسيا وافريقية وأمريكا اللاتينية) . وكانت كوبا مركز « منظمة أمن لاتينيـة ـ أميركيـة » . ومن ١٩٧٠ إلى ١١ أيلول ١٩٧٦ ، كان لشيلي نظام مـاركسي غير دكتـاتوري يوجهـه سلفـادور اللنـدي[١] . وأطيح بهـذا وقتل في انقلاب الجنرال بينوشه[٢] . والأنظمة الأكثر ديموقراطيـة هي : كوستـا ـ ريكا ، فينيزويلا ، المكسيك ، كولومبيا ، سوريـنـام ، الغويـانـة ، ترينيـداد ، بارباد ، الباهاما ، جامايكا .

وفي كل مكان غير ذلك ، أصبح دور الجيش متفوقاً في السنوات الخمس عشرة الأخيرة . ويقاوم العنف الثوري بعنف ثوري مضاد في بلاد عـديـدة (ولا سيما في شيلي والأرجنتين) .

وبمسـاعـدة عسكريـة جوهريـة (١,٥ مليـار دولار من ١٩٦١ إلى ١٩٧٧) ،

---

(١) سلفادور اللندي : Salvador Allende .

(٢) بينوشه : Pinochet .

بإرسال مستشارين عسكريين ، تلعب الولايات المتحدة دوراً هاماً ، وعلى العموم نافذاً ضد توسع الشيوعية .

وليس غرضنا أن ندرس هنا العنف الداخلي ، ولكن الخلافات العتيدة بين الدول . يوجد في الواقع ، إثر حروب ماضية ، خلافات أرضية . فالبيرو وبوليفيا تطالبان بأراض أخذتها شيلي منهما في ١٨٨٤ : واجهة بوليفيا البحرية والإقليم الجنوبي من بيرو . والأكوادور ، التي فقدت ، ببروتوكول ريو في ١٩٤٢ ، ما يقارب نصف أرضها لصالح بيرو ، لم تقبل « الديكتات » (المطالبة المطلقة التي يفرضها القوي دون أي مبرر آخر غير القوة) وتطالب بشدة بإرجاعها . وبين كولومبيا وفينزويلا ، يوجد خلاف على الحدود البحرية ، نظراً لاكتشاف مناجم بترولية هامة . وبين السلفادور ، المأهولة جداً ، والهوندوراس ، القليلة السكان ، توجد حركة هجرة سرية . وعندما أرادت الهوندوراس ، في ١٩٦٩ ، طرد السلفادوريين ، قامت حرب قصيرة بينهما . ومنذ ذلك التاريخ لم تستأنف العلاقات الدبلوماسية ، وحوادث الحدود عنيفة .

ومن جهة أخرى ، تخشى بلاد عديدة ، ولا سيا بلاد الكريبي ، تدخلاً عسكرياً كوبياً ، وبخاصة منذ التدخل الكوبي في أنغولا . والاتفاق الموقع في آخر ١٩٧٧ بين الولايات المتحدة والباناما لإرجاع تدريجي لمنطقة القناة ، انتهى بموافقة مجلس الشيوخ ، ولكن مع بعض التعديلات التي لم ترض الجنرال تورّيخوس[(١)] ، رئيس الباناما . وهنا أيضاً ، من الممكن تدخل كوبي . وكوبا تساند بوضوح الباناما .

وخوّل الاستقلال إلى ستة ممتلكات استعمارية بريطانية : (غويانا ، ترينيداد ، توباغو ، جامايكا ، برباد ، باهاما ، غرناطة) . وقررت بريطانيا

---

(١) توريخوس : Torrijos .

أن تفعل الشيء نفسه من أجل الهوندوراس البريطانية (بيليز)[1] التي تطالب بها غواتيمالا ؛ ومن أجل (دولها المشتركة) الخمس : (دومينيك ، سانتا لوكتشيا ، سان ڤانسان ، سان كيتس ـ نوفيس ، أنتيغوا ـ باربودا) ؛ ومن أجل مستعمرات التاج الخمس ـ وإحداها جزر فوكلاند ، في جنوب الأطلسي ، هدف أطماع الأرجنتين .

وعدا سورينام ، المستقلة منذ ١٩٧٥ ، تهيء البلاد المنخفضة استقلال الآنتيل الهولاندية الغنية بالبترول .

والولايات المتحدة تحافظ على سيادتها على الجزيرة الكبرى ، بورتوريكو (٥ ٪ استقلاليون) ، وعلى قاعدة غوانتانامو ، في كوبا ، بالرغم من مطالبات هذا البلد .

وفرنسا حولت ممتلكاتها الثلاث : مارتينيك ، غواديلوب ، غويانا ، إلى مقاطعات وراء البحار . ومستوى الحياة أقل انخفاضاً في الآنتيل الفرنسية منه في البلاد المجاورة . وهذا يوضح أن النزعة الاستقلالية فيها قليلة الانتشار . وبالمقابل ، توجد حركة استقلال ذاتي ، ولكنها ضربت بشكل واسع في الانتخابات الفرنسية في آذار ١٩٧٨ .

والاتحاد السوفياتي ، مثل كوبا ، يحاول أن يفتّر الروابط الممتازة بين الولايات المتحدة وأمريكا اللاتينية . وتحت تصرفه لهذا الغرض أحزاب شيوعية (حنيفة) ، وهي قليلة الأهمية ، والمساندة الكوبية . وكوبا تقدم الأسلحة إلى عدد من الفرق الهدامة ، وتدرب الإرهابيين . وفي ١٩٥٩ ، لم يقم الاتحاد السوفياتي علاقات دبلوماسية إلا مع المكسيك ، والأورغواي ، وكولومبيا .

---

(١) بيليز : Belize .

وأضيف إليها اليوم ١١ دولة . وبالإجمال ، تشعر هذه البلاد أكثر فأكثر بأنها متضامنة مع العالم الثالث ، وأقل فأقل مع الحلفاء المتازين للولايات المتحدة . والكثير منها تريد إصلاح (منظمة الدول الأميركية) .

٨ ـ الأمم المتحدة والمجموعة الدولية

لقد كان لجميع الحوادث الدولية اللاحقة لعام ١٩٤٥ انعكاسها في حياة منظمة الأمم المتحدة . فهل هذا يعني أنها حولت العلاقات الدولية ؟ إن الجواب على هذا السؤال ليس بسيطاً .

من جهة ، يخرج عن الشك أن منظمة الأمم المتحدة ، باستقبالها جميع البلاد المستقلة حديثاً ، التي حصلت فيها على أكثرية عريضة ، هي مركز ما يسمى (الرأي العام العالمي) . والولايات المتحدة ، التي كانت تتمتع فيها حتى نحو ١٩٥٥ ، بأكثرية موثوقة ، رأت أمامها ، أثناء حرب الفيتنام ، قيام عدد متزايد من الدول . وفرنسا ، التي عرفت هذه الهجمات خلال دور نزع الاستعمار ، رأت ، بالعكس ، حدوث بعض التغير المفاجئ والكامل لصالحها ، والمرتبط بسياسة (الاستقلال) للجنرال دوغول (الذي كان مع ذلك يحتقر منظمة الأمم المتحدة ويسميها « هذا الشيء » أو « هذه ») . ورأت إسرائيل قيام قسم كبيرٍ من العالم الثالث ضدها ، بدافع من البلاد العربية . وبالرغم من أن (الرأي العام العالمي) ، لا يمكن أن يكون مؤيداً إلا بـ (قرارات) الجمعية العمومية ، وأن هذه القرارات محرومة من كل التأييدات ، فقد شغل اهتمام الدبلوماسيين وألف قوة لا يمكن نكرانها لخدمة بعض الأطروحات : نزع الاستعمار ، وقف التجارب الذرية ، مساعدة البلاد المتخلفة .. إلخ .

وبالمقابل ، فيما يتعلق بالسلام ، فإن منظمة الأمم المتحدة عاجزة تماماً إذا كان القصد تجنب أو حل الخلافات المباشرة بين الكبيرين أو الخلافات التي يدخل فيها بلاد لها حق الفيتو . حتى إنه من الممكن القول بأن الخلافات غير المباشرة بين

الـدولتين الأعظم لا يمكن أن تحل إلا إذا كانتـا متفقتين ، مثل وقف إطـلاق النـار في الشرق الأوسـط . ومنظمـة الأمم المتحـدة غير قـادرة بصـورة عـامـة على منـع الخلافات ، والعالم يعيش ما يسمى (توازن الإرهاب) الـذي لا علاقـة لـه بـالأمن الجماعي . ورغم كل شيء ، نجحت أحياناً ، بفضل عمل الأمين العام ، في تخفيف أو تجنب بعض الأزمات بمهارة .

العمل المحلي لصالح السلام

دون الـدخول في التفصيل ، نلاحـظ أن فرق جنود الأمم المتحـدة استعملت لمحاولة حفظ السلام على حدود أو خطوط الحدود الفاصلة ، وهنا نذكر :

أولاً ـ قوة طوارئ الأمم المتحـدة التي شكلت في تشرين الثـاني ١٩٥٦ لفصـل الإسرائيليين والعرب ، وضمت مـا يقـارب ٦٠٠٠ رجـل ، (العمرات الـزرقـاء) ، سيقوا من عشر دول : البرازيل ، كندا ، كولومبيا ، دانيمارك ، فنلاندا ، الهنـد ، اندونيسيا ، النورفيج ، السويد ، يوغوسلاڤيا . وقد أثار انسحاب هذه القوة ، في ١٩٦٧ ، (حرب الأيام الستة) .

ثانياً ـ فرقة رقـابـة الأمم المتحـدة في لبنـان ، تـألفت ، في حزيران ١٩٥٨ ، من مراقبين بسطاء وانفكت عن العمل في ١٩ كانون الأول ١٩٥٨ .

ثـالثـاً ـ (عمليـة الأمم المتحـدة في الكونغو) الموضـوعـة تحت قيـادة الجنرال السويـدي كارل ڤـان هورن(١) (تموز ١٩٦٠) التي بلغت الرقم ٢٠٠٠٠ رجل (بلاد افريقيـة ، ٣ بـلاد آسيـويـة ، ثم السـويـد ، ايرلانـدا ، كنـدا) . وهـذه الجنـود المخصصة ، لتحل محل الجنود البلجيكيـة ، أسهمت في حفـظ الوحـدة الكونغوليـة (يلاحظ أن الاتحاد السوفياتي وفرنسا عارضا هـذه العمليـة ورفضـا المشـاركـة في تمويلها) . وقد انسحبت هذه الجنود تماماً في حزيران ١٩٦٤ .

---

(١) كارل فان هورن : Carl Van Horn .

رابعاً ـ (بعثة رقابة الأمم المتحدة في اليمن) المرتبطة بالحرب الأهلية حيث كانت مصر تدعم حكومة ثورية ضد الإمام مدعوماً من قبل العربية السعودية . وكانت تتألف من مراقبين ووجدت في ١٩٦٣ و ١٩٦٤ .

خامساً ـ (قوة الأمم المتحدة في قبرص) : وتقارب قليلاً ٦٠٠٠ رجل ، منهم ١٨٠٠ انكليزي ، مع فنلانديين ، وكنديين ، ونمساويين ، وايرلانديين ، وسويديين ، واستراليين ، ونيوزيلانديين ، ـ وما من افرو ـ آسي . وقد أنشئت في آذار ١٩٦٤ ، وعبر الأزمات (١٩٦٧ ـ ١٩٧١) بين اليونان والأتراك ، بين المونسنيور مكاريوس ، الرئيس ، والجنرال غريفاس[1] ، نصير (الاينوزيس)[2] (الاتحاد مع اليونان) ، ودامت حتى أيامنا .

سادساً ـ لا يوجد في كشمير إلا ٤٠ مراقباً للأمم المتحدة .

سابعاً ـ (قوة تدخل الأمم المتحدة في لبنان) تأسست في آذار ١٩٧٨ ورابطت في منطقة الجنوب ، بين نهر الليطاني وحدود إسرائيل ، وبلغت الرقم ٤٠٠٠ رجل ، وفوقهم أكثر من ١٠٠٠ فرنسي . هدفها أن تحل محل الإسرائيليين الذين اجتاحوا البلاد في آذار ١٩٧٨ ، كردٍّ إثر عملية اعتداء قاتلة ارتكبها الفلسطينيون . وأفاد منها الإسرائيليون لاحتلال المنطقة ، حيث كان يوجد ، إلى جانب القرى المسيحية عدة معسكرات فلسطينية (ومن هنا أتى اسم منطقة فتح) . وفي هذا الحين ، الذي نكتب فيه هذه السطور ، كانت القضية معرفة ما إذا كان الفدائيون سيقبلون هذا الحضور وما إذا كان الإسرائيليون سيجلون عن كل الأرض التي يحتلونها . وكان الأمين العام للأمم المتحدة كورت فالدهايم[3] يريد أن يرفع القوة إلى ٨٠٠٠ رجل .

(١) غريفاس : Grivas .

(٢) اينوزيس : L'Enosis .

(٣) كورت فالدهايم : Kurt Waldheim .

القبول في الأمم المتحدة

في آخر ١٩٧٧ ، ضمت منظمة الأمم المتحدة ١٤٩ عضواً . وخلال سنين طويلة ، وجد أن أصول القبول ، الذي يقتضي نقضاً محتملاً من قبل البلاد الكبرى في مجلس الأمن . قد منع قبول أعضاء جدد . ففي ١٦ حزيران ١٩٥٥ ، شايع الاتحاد السوفياتي ، في قرار عرض ، على المجلس ، نظام القبول (جملة) لـ ١٤ بلداً . وعارضت الولايات المتحدة مبدئياً هذا النظام . ولكنها ، بالمقابل ، اقترحت ، مع الثلاث الدول الكبرى الأخرى ، التخلي عن حق النقض (الفيتو) لقبول الأعضاء . وكان واحد وعشرون بلداً مرشحاً للقبول في ١٩٥٥ ، منها عشرة بلاد كانت أعضاء في (عصبة الأمم) . ومع ذلك ، فإن فكرة عمومية الهيئة حققت كسباً . وكان الاتحاد السوفياتي أكثر فأكثر حساساً بواقع أن قبول الدول ، غير الشيوعية ، لم يكن له ضاراً بالضرورة . وفي تموز ١٩٥٥ ، أعلن نهرو ، لدى عودته من موسكو ، أن الاتحاد السوفياتي صرح بأنه مستعد لدعم قبول جميع البلاد الأفرو ـ آسية التي شاركت في مؤتمر باندونغ . وكان ذلك مناورة حاذقة من جانب السوفياتيين لتشجيع خلق كتلة محايدة .

عندئذ قررت الدول الغربية بألا تعارض القبول جملةً . وفي ١٤ كانون الأول ١٩٥٥ ، تلقت الجمعية العمومية رأياً جوابياً ملائماً من مجلس الأمن ، وقررت أن تقبل معاً ١٦ عضواً جديداً ، مما رفع عدد أعضائها إلى ٧٦ عضواً : أربعة من هذه البلاد تنتسب للكتلة السوفياتية (ألبانيا ، هونغاريا ، رومانيا ، بلغاريا) . وآخر ، فنلاندا ، نظراً لموقعها الجغرافي الملائم لسياسة وفاق طيب (حسن تفاهم) مع الاتحاد السوفياتي ، و ٥ بلاد أخرى أوربية ، إما محايدة (النمسا) ، وإما أعضاء في ميثاق الأطلسي (البرتغال ، وإيطاليا) ، وإما مرتبطة بالولايات المتحدة باتفاق (إسبانيا) ، أو منعزلة (ايرلاندا) ، جاءت لتنضم إليها . وازدادت حصة أوربة بـ ١٠ وحدات . وكذلك قبل بلدان من جامعة الدول

العربيـة (الأردن وليبيـا) ، والـدولتـان الهنـد صينيتـان : دولـة كامبـودج (كامبوديا) ولاؤس ، ودولتـان كانتـا في السـابق تحت النفوذ البريطـاني : دولـة نيبـال وسيلان . وقبل التصويت بـ ٥٢ صـوتـاً مقـابـل ٢ (الصين وكـوبـا) و ٥ امتناع (الولايات المتحدة ، فرنسا ، بلجيكا ، اليونـان ، إسرائيل) . وسمي هـذا التصويت (الصفقة الشاملة)[١] .

في ١٩٥٦ ، ارتفع عـدد الأعضـاء إلى ٨٠ ، بقبول السودان ، تونس ، المملكـة المغربية ، واليابان . وفي ١٩٥٧ ، غـانـا ومـاليزيـا . وبلغ المجموع إذن ٨٢ عضواً . وفي ١٩٥٨ كان دور غينة . وكانت سنة ١٩٦٠ (سنـة افريقيـة) . قبلت ١٦ دولـة افريقية : ١٤ من الامبراطورية الفرنسية السـابقـة ، وواحـدة من الامبراطوريـة الانكليزية (نيجريا) ، والأخيرة كانت الكونغو البلجيكية سـابقـاً ، يضـاف لهـا دولة متوسطية (قبرص) . ووجد عندئـذ ٩٩ عضواً . وأكثر من ذلـك تمّ التوصل تقريبـاً إلى قبـول آلي . وصـوتت الجمعيـة على قرار ، في ١٤ كانـون الأول ١٩٦٠ . يعلن تصفيـة الاستعمار ، ويجَنّب اعتبـاراً كانت الـدول الاستعماريـة ، إمـا عن إخـلاص ، أو عن مصلحـة ، تعتمـد عليـه وتـذكره : وهـو درجـة (الأهبـة) للاستقلال . وفصل القرار لصـالح الاستقلال المبـاشر ، الـذي يحث على القبـول في منظمـة الأمم المتحـدة . ومنـذ ذلـك التـاريخ ، كانت الحـالات الوحيـدة لقبـول متـأخر : موريتـانيـا (حتى نفس التـاريـخ بنـاء على فيتـو الصين الـوطنيـة) ، وبنغلادش (حتى ١٩٧٤ بسبب الفيتو الصيني) .

ومن ١٩٦١ إلى ١٩٧٣ ، قبل ٣٥ عضـواً جـديـداً (سـوريـة التي انفصلت عن الجمهورية العربية المتحدة وقبلت ثـانيـة) ، ٢ في افريقيـة الشماليـة (موريتـانيـا والجزائر) ، عضـو واحـد في البحر المتـوسـط (مـالطـة) ، ٦ في الشرق الأوسـط

---

(١) الصفقة الشاملة : Package Deal .

(الكويت ، البحرين ، قطر ، عمان ، جمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية ، اتحاد الإمارات العربية) ، ٣ في الآنتيل (جامايكا ، ترينيته ـ توباغو ، بارباد) ، عضو واحد في أمريكا الجنوبية (غويانا) ، ٤ في آسيا (منغوليا ، سنغافورة ، بوتان ولا سيا الصين) ، ١٣ في افريقية السوداء ، ٣ في المحيطين الهندي والهادئ (جزيرة موريس ، جزر مالديف ، جزر فيجي) ، وأخيراً ٢ في أوربة في ١٩٧٣ : الألمانيتان .

وفي كانون الأول ١٩٧٣ ، بلغ عدد الأعضاء في منظمة الأمم المتحدة ١٣٥ عضواً . إلا أن اندونيسيا وحدها غادرتها في الأول من آذار ١٩٦٥ لتعود إليها في ايلول ١٩٦٦ .

وفي آخر ١٩٧٧ ، كانت الحالة التالية : منذ ١٩٧٣ كان عدد القبول ١٤ : ٧ في افريقية ، وهي ٣ مستعمرات برتغالية قارية : غينة ـ بيساو ، أنغولا ، موزامبيق . والآخر (بلد ما وراء البحار) فرنسي على القارة الافريقية ، جيبوتي ، وثلاثة أرخبيلات ، جزر الرأس الأخضر (البرتغالية سابقاً) ، جزر القمر (الفرنسية سابقاً) ، (جزيرة مايّوتْ ، إثر استفتاء ، قررت أن تبقى فرنسية وستصبح على وجه الاحتمال ـ مقاطعة ما وراء البحار ـ) ، جزر ساؤ تومه وبرنسيب ، ٣ في آسيا ، البنغلادش ، أرخبيل سيشيل والفيتنام (في تشرين الأول ١٩٧٧) ، ٢ في أوقيانوسيا ، البابوازي ـ الجديدة غينة (القسم الشرقي من جزيرة غينة الجديدة الجسيمة) ، وجزر ساموا . إذن يحسب في منظمة الأمم المتحدة ٢٧ دولة أميركية ، ٤٦ افريقية ، ٣٨ آسيوية ، ٢٠ دولة اوربية غربية ، الاتحاد السوفياتي ، عدا أوكرانيا وروسيا البيضاء ، ولها مقعدان رغم دخولها في الاتحاد ، ٦ حلفاء أوربيين للاتحاد السوفياتي ، ويضاف يوغوسلافيا والبانيا ، أي مجموع ٣٠ مقعداً اوربياً . وأخيراً ٨ دول من المحيط الهادئ .

ومنذ ١٩٧٣ ، يلاحظ قبول دول صغيرة ، وعلى العموم أرخبيلات . وجزر

الباهاما ، برباد ، جزر الرأس الأخضر ، جزر القمر ، جزر ساموا ، يبلغ عدد سكانها أقل من ٣٠٠٠٠٠ نسمة . وسكان جزر سيشيل ٥٥٠٠٠ ، وساؤ تومه وبرنسيب ٧٧٠٠٠ . وهكذا فإن هذه الأخيرة تملك بالضبط نفس حقوق الهند بـ ٦٠٠ مليون نسمة (لئلا نتكلم عن الصين العضو الدائم في مجلس الأمن) .

ويبقى خارجاً سويسرا ، بسبب حيادها ، كوريا الشمالية ، وكوريا الجنوبية ، فورموزا التي استعيضت بالصين الشعبية ، روديسيا الجنوبية ، وبلاد صغيرة مثل دولة الفاتيكان ، وإمارة موناكو ، وجمهورية سان مارن ، وأندورا ، وليشتنشتاين .

وتوجد مجموعات مختلفة لها تنظيمها الإداري الخاص : المجموعة الأميركية ـ اللاتينية ، المجموعة الأفرو ـ آسية (٧٧ عضواً) منظمة الوحدة الافريقية (٤٠ عضواً) ، مجموعة أو بالأحرى الكتلة الاشتراكية . وكل المجموعات الإقليمية (جامعة الدول العربية ، منظمة معاهدة شمالي الأطلسي (أوتان) ، البلاد الناطقة بالفرنسية ، (الكومنولث البريطاني) تمارس نفوذاً . ونحو ٣٠ بلداً تستعمل الفرنسية في منظمة الأمم المتحدة . وهذه اللغة تأتي على هذا النحو بعد الانكليزية وقبل الاسبانية .

عجز منظمة الأمم المتحدة

إن مجلس الأمن ، المقيد بنظام الفيتو ، غير قادر بشدة على اتخاذ قرارات في الحالات الخطيرة . وعلى هذا يوجد ميل ، في التعامل ، إلى زيادة مسؤوليات الجمعية العامة . ولكن هذه لاتستطيع أن تصدر إلا توصيات ، وأكثر من ذلك ، إن كل إصلاح لميثاق المنظمة يتطلب أغلبية الثلثين التي تضم الأعضاء الخمسة الدائمين في مجلس الأمن . والمثال الوحيد للعمل النافذ ، وقد أشرنا إليه ، كان مثال حرب كوريا . فقد قرر مجلس الأمن التدخل العسكري في غياب الاتحاد السوفياتي الذي كان يعترض دوماً على شرعية هذه العملية .

وبالإجمال ، هنالك عدة حالات ممكنة :

أولاً : إذا كان الكبيران ، الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة من رأي واحد ، ولكن القضية التي يتكلم عنها ثانوية . وفي هذه الحالة ، كل بلد ، مهما يكن صغيراً ، قادر تماماً على اطراح توصيات الجمعية . وهكذا لا يقيم اتحاد جنوب افريقية لها أي اعتبار .

ثانياً : إذا كانت آراء الكبيرين متعارضة . ففي هذه الحالة تكون الميكانيكية مجمدة تماماً . وكانت هذه حالة قضية هونغاريا .

ثالثاً : إذا كان الكبيران من رأي واحد ، ولكن القضية المطروحة خطيرة : مثل قضية التدخل الفرنسي ـ الإنكليزي في قناة السويس . ففي هذه الحالة يلعب نفوذ الكبيرين ، ولا يلعب نفوذ الأمم المتحدة . لذا لم يخضع الفرنسيون والإنكليز لتوصيات الجمعية ، وإنما للإنذار السوفياتي ، لأنهم كانوا غير متأكدين من مساندة الولايات المتحدة .

رابعاً : إذا تنازعت دولتان صغيرتان ، فديمومة هذا النزاع تتعلق بصورة أساسية بتدخل إحدى الدولتين الأعظم ، وبقاء الأخرى سلبية (حالة اثيوبيا والصومال) ، أو بتدخل كلتيهما (حالة الحربين الأخيرتين الإسرائيليتين ـ العربيتين) .

خامساً : في حالة حرب أو نضال تهديم ، تكون منظمة الأمم المتحدة عاجزة إطلاقاً ، ويكون لدى الكبيرين نفسهما قليل من وسائل التدخل .

وهناك شكل جديد للحرب يسميه بعض المؤلفين (الحرب الأهلية العالمية) (بيناتل[١] و ج . غرابّن[٢]) . وقد ظهر حديثاً . وبعضهم يرون أن له « رئيس

(١) بيناتل : Pinatel .

(٢) ج . غرابّن : J. Grappin .

فرقــة سري » (مثـل الصين) . ومن المحتمـل على الأكثر أن يكــون الكــلام عن جماعات صغيرة متعصبة تختلف كثيراً عن الذين يـدافعون عن قضيـة نوعيـة . إن عصابـة بـادر[١] ، في ألمـانيـا ، وقـد أبيـدت في ١٩٧٧ ، و (الألويـة الحمراء)[٢] في إيطـاليـا ، وبعض الفلسطينيين المتطرفين أو اليـابـانيين ، يبــدو أنهم يريــدون بـالعنف تخريب المجتمعـات الوطنيـة ، ويهـاجمون أيـاً كان في أي مكان . فخطف الطائرات ، وأخذ الرهائن ، والاختطافات تتكاثر . وإذا وضعنا جانباً مـا يتصل بالحق العام ، يشاهد حادث جديد يخص صعيدنا ، تاريخ العلاقات الدولية . إن مجلة (الدراسات الحربيـة) ، حسبت ، في ١٩٧٦/٦٠٨ (خلافـات صغيرة) منهـا ٤٥ ٪ ذات ظرف إرهابي ، وفي الأشهر التسعة الأولى من عام ١٩٧٧ ، ٤٣٣/ منهـا ٣٦ ٪ ذات ظرف إرهابي . وإذا وجد اتفاق واسع لقمعها ، ولتسليم الإرهـابيين إلى دولهم الأجنبية ، في البلاد الغربيـة ، فـإن بعضاً ، على مـا يبـدو ، يعـذرهم : إن الجزائر تعتبر ، كتبرير لأخـذ الرهـائن ، الـواقـع في أن هـؤلاء ينتسبـون إلى دول لاتقـوم بكل واجبهـا في مـوضـوع تحرير الشعـوب : ويبـدو أن رئيس أوغنــدا ، المـاريشـال عيـدي أمين دادا ، قـد وافق على أخـذ رهـائن يهوديـة . ولكن هؤلاء تحرروا بشكل مسرحي على يـد كـومـانــدو إسرائيلي محمـول جـواً في ٣ و ٤ تمـوز ١٩٧٦ .

وإذا كانت الأمم المتحدة عاجزة عن حفظ السلام ، فأي دور أظلم منه يمكن أن تلعب ؟ من الممكن أن يرى فيهـا منبر للرأي الـدولي . ويمكن أن يكون هـذا حقيقياً إذا شكلت هيئة محايدة . إن موقفها المنظم المعادي لأوربة وأمريكا يمنعها من أن تمسك بهذا الدور . لذا يقتصر على اعتبـارهـا مكان لقـاء تبقى الاتصـالات فيه ، بأصول معقد ، بين بلاد مختلفة عقائدياً ومتعارضة سياسياً .

---

(١) بادر : Baader .

(٢) الألوية الحمراء : Brigades Rouges .

وحالياً يعتمد السلام على الخوف المتقابل من أعمال الثأر الذرية ، مقابلة بالمثل ، وأوربة الغربية لا يمكنها أن تعتمد إلا على حماية الولايات المتحدة . وماذا سيحدث إذا كانت هذه ، خشية التدمير ، تفقد شجاعتها ولا تلعب دور الحماة عن أوربة ؟ إن منظمة الأمم المتحدة تبقى عاجزة ، وأوربة غير متحدة . وسلطة الصين تزداد . ومن التوازن (الثنائي القطب) يتطور العالم نحو أشكال جديدة يبقى رسمها مظلماً .

أسماء الأشهر في البلاد العربية

كانون الثاني	يناير
شباط	فبراير
آذار	مارس
نيسان	ابريل
أيار	مايو
حزيران	يونيو
تموز	يوليو
آب	اغسطوس
أيلول	سبتمبر
تشرين الأول	أكتوبر
تشرين الثاني	نوفمبر
كانون الأول	ديسمبر

المسارد

١ - مسرد الأعلام

ت = T,C

ث = TH

ج = J,G

- ح -

خ = KH

D = د

R = ر

Z, S = ز

S = س

SH, S, CH = ش

- ع -

GH, G = غ

PH, F = ف

W, V = ڤ

ـ ق ـ

X, K, C = ك

ل = L

م = M

٢ ـ مسرد الأماكن

ت

ث

ج

ح

خ

د

ش

ق

ك

ل

ن

هـ

و

ي

٣ ـ مسرد المعارك

٤ ـ مسرد المعاهدات

٥ ـ مسرد الكتب والمراجع

المراجع العربية	**الصفحة**
التاريخ الدبلوماسي ـ الجزء الأول	١٢ ، ٤٩ ، ٦٨ ، ٨٣
قضايا العالم الثالث	٢١١

المراجع الأجنبية المختارة :

هدف المراجع التالية أن تساعد الدارس والباحث ، اللذين يرغبان بالتعمق في قضية معينة ، على التوجه بسرعة في متاهة المراجع المنهكة . أما المبادئ الموجهة لوضعها فهي كما يلي :

١ ـ نظراً للنشر المستمر لوثائق المحفوظات ، التي تجدد القضايا دون انقطاع ، نورد على وجه التفضيل أكثر الأعمال حداثة .

٢ ـ أن نعطي أولاً ، لكل قضية هامة ، عناوين الأعمال الأساسية ، مع الدلالة بسرعة ما إذا كانت ذات قيمة كبرى أو لا ؛ ومن ثم عناوين بعض الأعمال التي يمكن أن تفيد كتتمات .

٣ ـ تصنيف المراجع ثلاثة أقسام :

أ ـ الوثائق الهامة
٢ ـ الأعمال العامة والسياسة الأوربية
٣ ـ القضايا خارج أوربة

ويمكن أن يبدو هذا التصنيف اصطناعياً ، ولكن فائدته تسمح للقارئ بأن يجد بسهولة جداً نوع العمل الذي يبحث عنه . وعلى العموم ، لم نميز ، في قوائم الأعمال ، المصادر وكتب التراكيب (المؤلفات) .

دور ١٩٤٥ - ١٩٧٨ م

المؤلفات الجامعة نادرة وإغلاق المحفوظات يجعل نتائج أحكامها غير أكيدة . وأهم الدراسات الجامعة هي :

Le Roy (F.). — *Les relations internationales depuis* 1945. Cours professé à l'Institut d'Etudes politiques de Paris, Paris, publié plusieurs fois entre 1951 et 1965 (Les Cours de droit).

Robertson (Charles L.). — *International politics since World War II. A Short history*, New York (J. Willey), 1966, 385 p.

Calvocoressi (Peter). — *World politics since 1945*, London (Longmans), 1968, 480 p.

Laloy (Jean). — *Entre guerres et paix*, Paris (Plon), 1966, 380 p.

Fontaine (André). — *Histoire de la guerre froide*, Paris (Fayard).
T. I. 1917-1950, 1965, 501 p.
T. II. 1950-1967, 1967, 579 p.

Knapp (Wilfrid). — *A History of War and Peace, 1939-1965*, London (Oxford University Press), 1967, XII-639 p.

Duroselle (J. B.). — *Le monde déchiré 1945-1970*, Paris (Editions Richelieu), 1970, 2 vol.

Grosser (Alfred). — *Les occidentaux, Les pays d'Europe et les Etats-Unis depuis la guerre*, Paris (Fayard), 438 p.

عن ألمانيا بعد الحرب يمكن الانطلاق من الكتاب التالي :

Grosser (Alfred). — *L'Allemagne de notre temps, 1945-1970*, Paris (Fayard), 1970, 640 p.

والانتهاء بـ :

Sowden (John Kenneth). — *The German Question 1945-1973*, Bradford (University Press), 1975, 404 p.

وأهم إنتاج للمذكرات هو :

Adenauer (Konrad). — *Mémoires* (Erinnerungen), Paris (Hachette), 1965-1969, 3 vol.

Schmidt (Paul). — *Der Statist auf die Galerie, 1945-1950, Erlebnisse, Kommentare, Vergleiche*, Bonn, 1951.

Virally (Michel). — *L'administration internationale de l'Allemagne du 8 mai 1945 au 24 avril 1947*, Paris (A. Pedone), 1948 180 p.

Grosser (Alfred) éd. — *Les relations internationales de l'Allemagne occidentale*, Paris (Colin) (cahier de la Fondation nationale des Sciences politiques n° 78), 1956, XXIV-200 p.

وكذلك عمل أستاذ أصبح سفيراً :

Grewe (Wilhelm). — *Deutsche Aussenpolitik der Nachkriegszeit*, Stuttgart, 1960, 540 p.

ومقالان هامان لموسلي الذي كان يعمل في المصالح الحكومية الأميركية :

MOSELY (Philip E.). — *Dismemberment of Germany, Foreign Affairs*, April 1950, p. 487-498.

MOSELY (Philip E.). — *The Occupation of Germany. New light on how the zones were drawn, Foreign Affairs*, July 1950, p. 580-604.

انظر أيضاً عمل الزعيم القائد الأميركي :

CLAY (Lucius D.). — *Decision in Germany*, Garden City (Doubleday), 1950, 522 p.

WISKEMANN (Elizabeh). — *Germany's Eastern neighbours. Problems relating to the Oder-Neisse line and the Czech frontier regions*, London (Oxford University Press). 1956, X-309 p. (Royal Institute of International Affairs).

وعن قضية السار بعد ١٩٤٥ م ، انظر :

DISCHLER (Ludwig). — *Das Saarland 1945-1956*. Hamburg, 1956, 2 vol., 172 et 404 p. (avec de nombreux documents).

Documents on the Saar, Vol. II. *Chronology July 1951-1953*, Bad Godesberg (Office of the U. S. High Commissionner), 1953, 266 p. (Le vol. I est inaccessible).

Internationales Jahrbuch der Politik 1956. Die Saar Grenzland und Brücke (éd. F. A. VON DER HEYDTE) München (Isar), 1956, 274 p.

وبخاصة :

FREYMOND (Jacques). — *La Sarre 1945-1955*, Bruxelles (Institut de Sociologie Solvay, pour le Centre européen de la Dotation Carnegie), 1959, 439 p.

وعن العلاقات الفرنسية-الألمانية ، عدا عن المذكرات المذكورة أعلاه ، انظر الكتاب الهام لـ :

SEYDOUX (François). — *Mémoires d'Outre-Rhin*, Paris (Grasset), 1975, 308 p.

وعن الحوادث الحالية ، انظر :

MÉNUDIER (Henri). — *L'Allemagne selon Willy Brandt*, Paris (Stock) 1976 464 p.

وعن الدمج الأوربي وصلته بالولايات المتحدة :

MAAS (G. B.). — *The uniting of Europe. Political, social and economic forces 1950-1957*, London (Stevens and sons), 1958, XX-552 p. (pour le London Institute of World Affairs).

DIEBOLD (William). — *The Schuman plan. A study in economic cooperation, 1950-1959*, New York (Praeger), 1959, XX-750 p. (pour le Council on Foreign Relations), à compléter par des livres plus proches des événements et plus rapides.

LEGARET (Jean). — *La Communauté européenne de défense*, Paris, 1953, 276 p.

ARON (Raymond) et LERNER (Daniel), éd. — *La querelle de la C.E.D.*, Paris (cahier de la Fondation nationale des Sciences politiques, n° 80), 1956, 216 p.

ويضاف لها كتب هامة حديثة :

MONNET (Jean). — *Mémoires*, Paris (Fayard), 1976, 642 p.

MASSIGLI (René). — *Une comédie des erreurs 1943-1956, Souvenirs et réflexions sur une étape de la construction européenne*, Paris (Plon), 1978, 540 p.

MELANDRI (Pierre). — *Les Etats-Unis face à l'Europe de 1945 à 1954*, Paris, thèse de doctorat d'Etat sous presse, 1976.

MELANDRI (Pierre). — *Les Etats-Unis et le « Défi » européen 1955-1958*, Paris (Publications de la Sorbonne, Presses Universitaires de France), 1975, 220 p.

FONTAINE (Pascal). — *Le Comité d'Action pour les Etats-Unis d'Europe de Jean Monnet*, Lausanne (Centre de recherches européennes), 1974, 242 p.

وهذه المؤلفات الأخيرة هي أطروحات دكتوراه فرنسية

GROSSER (Alfred), éd. — *Les politiques extérieures européennes dans la crise*, Paris (Presses de la Fondation nationale des Sciences politiques), 1976, 198 p.

انظر أيضاً :

LAQUEUR (Walter). — *Europe Since Hitler*, London (Weidenfeld and Nicolson), 1970, 440 p.

وعن سياسة فرنسا الخارجية ، الأعمال المختارة الآتية :

GROSSER (Alfred). — *La Quatrième République et sa politique extérieure*, Paris (Colin), 1961, 440 p

DE CARMOY (Guy). — *Les politiques étrangères de la France, 1944-1966*, Paris (Table Ronde), 1967, 519 p.

انظر أيضاً :

BIDAULT (Georges). — *D'une résistance à l'autre*, Paris (Presses du Siècle), 1965, 383 p.

وعن الجمهورية الخامسة بخاصة لا يوجد بعد أي مؤلف علمي بحق .

انظر :

COUVE DE MURVILLE (Maurice). — *Une politique étrangère, 1958-1969*, Paris (Plon), 1971, 505 p.

وعن دور إسبانيا الخاص انظر كتاب وزير الشؤون الخارجية :

SUNER (Serrano). — *Entre les Pyrénées et Gibraltar. Dix ans de politique espagnole*, (traduit de l'espagnol), Genève (Constant Bourquin), 1947, 343 p.

ولا سيا :

FEIS (Herbert). — *The Spanish Story : Franco and the Nations at War*, New York (Knopf), 1948, 282 p.

Del Rio Cisneros (Augustin). — *Politica Internacional de España*, Madrid (Aguado), 1946, 174 p.

وعن سياسة إيطاليا ، انظر :

Vedovato (Giuseppe). — *Il trattato di Pace con l'Italia*, Roma (Leonardo), 1947, 624 p.

Sforza (Carlo). — *Cinque anni a Palazzo Chigi. La politica estera italiana dal 1947 al 1951*, Roma (Atlante), 1952, 586 p.

Tarchiani (Alberto). — *Dieci anni tra Roma e Washington*, Verona (Mondadori), 1955, 356 p.

وعن اسكانديناڤيا بعد الحرب :

Kenney (Rowland). — *The Northern Tangle : Scandivania and the Post-War World*, London (Dent), 1946, 255 p.

Jakobson (Max). — *Finnish Neutrality. A study of Finnish Foreign Policy since the Second World War*, London (Hugh Evelyn), 1968, 116 p.

وعن البلاد البالطية راجع الدراسة العامة لـ : ستورات ر . شرام في :

Duroselle (J. B.) éd. — *Les frontières européennes de l'U.R.S.S.*, Paris (cahier de la Fondation nationale des Sciences politiques, n° 85), 1957, 364 p., cartes.

وأكثر وفرة بكثير الشواهد والمؤلفات عن أوربة الشرقية وعن النفوذ الشيوعي :

Seton-Watson (Hugh). — *The East European Revolution*, New York (Praeger), 1951, 406 p.

Seton-Watson (Hugh). — *Neither War nor Peace*, New York (Praeger), 1960, 504 p.

Kertesz (Stephan), éd — *The Fate of East Central Europe*, Notre-Dame (University of Notre-Dame Press), 1956, XII-464 p.

Kertesz (Stephan), éd. — *East Central Europe and the World : Developments in the post-Stalin Era*, Notre-Dame (University of Notre-Dame Press), 1962, X-386 p.

Fejto (François). — *Histoire des Démocraties populaires.*

T. I. *L'ère de Staline.*

T. II. *Après Staline.*

Paris (Seuil), 1962 et 1969, 2 vol., (ouvrage excellent).

وتتمم بـ :

Wolff (Robert Lee). — *The Balkans in our time*, Cambridge (Harvard University Press), 1956, 618 p.

وعن بولونيا ، الشاهد الهام لمحاولة إنشاء حكم وحيد وإخفاقه كتب قصة هذه الحوادث :

Mikolajczyk (Stanislaw). — *Le viol de la Pologne* (traduit du polonais), Paris (Plon), 1949, 371 p.

وكذلك الزعيم قائد الجيش البولوني في المنفى :

Anders (général Wladislaw). — *Mémoires* (traduit du polonais), Paris (La jeune Parque), 1948, 480 p.

وعن هونغاريا أثناء الحرب وبعدها ، الأعمال عديدة ، للوزير الأول سابقاً ، من حزب صغار الملاكين :

NAGY (Ferenc). — *The Struggle behind the Iron Curtain*, New York (Macmillan), 1948, 471 p.

ولكن يستخدم بخاصة أعمال كرتز (ستيفان) الأمين العام السابق للوفد الهونغاري إلى مؤتمر باريس (١٩٤٦ م) ، ووزير هونغاريا في روما سابقاً ، لاسيا عن دور الحرب :

KERTESZ (Stephan). — *Diplomacy in a Whirlpool, Hungary between Nazi Germany and Soviet Russia*, Note-Dame (University of Notre-Dame Press), 1953, XVI-273 p.

وعن بدايات النفوذ السوفياتي :

KERTESZ (Stephan). — *Soviet and Western Politics in Hungary 1944-1947*, *Review of Politics*, janvier 1952, p. 47-74.

عن تشيكوسلوفاكيا ، انظر بخاصة :

LOCKHART (Sir Robert Bruce). — *The Czechoslovak revolution*, *Foreign Affairs*, juillet 1948, p. 632-644.

RIPKA (Hubert). — *Le Coup de Prague*, Paris (Plon), 1949, 372 p.

عن الثورة الهونغارية في ١٩٥٦ م ، انظر :

MOLNAR (Miklós). — *Victoire d'une défaite, Budapest 1956*, Paris (Fayard), 1968, 363 p.

وموقف بينيش المناصر للروس ، أثناء الحرب . وخيبته فيما بعد ، تجدها موضحة في مقال لأمين سره :

RABORSKY (Edward). — *Benes and the Soviets*, *Foreign Affairs*, janvier 1949, p. 302-314.

BENÈS (Edward). — *Memoirs from Munich to new war and new victory*, London (Allen and Unwin), 1954, XI-346 p.

TAPIÉ (Victor). — *Les Mémoires (Pamèti) du Président Ed. Benès sur la seconde gu re mondiale*, *Revue historique*, janvier-mars 1952, p. 25-48.

عن يوغوسلافيا ، يوجد أولاً أعمال ترجع إلى الفتح الشيوعي :

MARTIN (David). — *Ally betrayed, the uncensored story of Tito and Mihailovich*, préface de Rebecca WEST, New York (Prentice Hall), 1946, 372 p.

ـ عمل صحافي ، ولكن من الصعب الاستعاضة عنه حالياً .

ويتمم بكتاب لاجئ :

FOTITCH (Constantin). — *The War we lost*, New York (Viking), 1948, 344 p.

ووافق الماريشال تيتو على نص :

DEDIJER (Vladimir). — *Tito parle*, Paris, 9e éd., 1953, 480 p.

عن خلاف تريستا ، انظر :

DUROSELLE (J. B.). — *Le conflit de Trieste, 1943-1954*, Bruxelles (Institut de Sociologie de l'ULB), 1966, 647 p.

المراسلة بين تيتو والكومنفورم ، بمناسبة القطيعة ، كانت تستعمل في العمل الصلب لـ :

ULAM (Adam B.). — *Titoism and the Cominform*, Cambridge (Mass.) (Harvard University Press), 1952, XI-243 p.

الحرب الأهلية في اليونان يمكن أن تدرس في :

WOODHOUSE (Colonel C. M.). — *Apple of Discord*, London (Hutchinson), 1948, 320 p.

ويستخدم أيضاً :

White Book : May 1944-March 1945. National Liberation Front, E.A.M., New York (Greek American Council), 1945, 137 p.

عن أسبابها ، راجع :

KEDROS (André). — *La résistance grecque (1940-1944)*, Paris (Laffont), 1966, 544 p.

البلاد خارج أوربة

إن دورها لم يصبح رئيسياً في السياسة العالمية إلا حوالي ١٩٣٩ ـ ١٩٤٠ م

١) الولايات المتحدة

أعمال عديدة من المؤلفات خصصت للسياسة الخارجية الأميركية :

DUROSELLE (J. B.). — *De Wilson à Roosevelt. Politique extérieure des Etats-Unis*, 1931-1945, Paris (Colin), 1961, 495 p., avec une abondante bibliographie critique qui nous dispensera ici de citer) de nombreux ouvrages antérieurs à 1961.

BAILEY (Thomas A.). — *A diplomatic History of the American People*, New York (Appleton Century Crofts), 8e éd., 1969, XL-1015 p.

BEMIS (Samuel Flagg). — *The United States as a World Power. A diplomatic history, 1900-1955*, New York (Holt), 1955, XII-516 p.

FERRELL (Robert H.). — *American Diplomacy. A history*, New York, 1959, XII-576 p.

DULLES (Foster Rhea). — *America's Rise to World Power, 1898-1954*, New York (Harper), 1954, 276 p.

PRATT (Julius W.). — *A History of U.S. Foreign Policy*, New York (Prentice Hall), 2e éd., 1965, XXII, 573 p.

RAPPAPORT (Armin). — *A History of American Diplomacy*, New York (Macmillan), 1975, 496 p.

NEVINS (Allan). — *The New Deal and World Affairs. A chronicle of International Affairs, 1933-1945*, New Haven (Yale University Press), 1950, 332 p.

FERRELL (Robert H.). — *Peace in their times. The origins of the Kellogg-Briand Pact*, New Haven (Yale University Press, 1952, 293 p.

FERRELL (Robert H.). — *American Diplomacy in the great depression : Hoover-Stimson foreign policy, 1920-1933*, New Haven (Yale University Press), 1957, 319 p.

COLE (Wayne S.). — *Senator Gerald P. Nye and American foreign relations*, Minneapolis (University of Minnesota Press), 1962, 293 p.

ARON (Raymond). — *Les Etats-Unis dans le monde 1945-1972*, Paris (Calmann-Lévy), 1973, 338 p.

و « ذكريات » عديدة تأتي بتوثيق ثمين عن أسباب وسير الحرب :

The public papers and Addresses of Franklin D. Roosevelt, edited by Samuel I. ROSENMAN, New York (Harper), 1928-1950, 17 volumes.

SHERWOOD (Robert E.). — *Roosevelt and Hopkins : an intimate history*, New York (Harper), 1948, 981 p. (traduction française).

ـ المؤلف الرئيسي ، الذي كتب حسب أوراق هوبكنز ، أهم خدين ومشاور لروزفلت (ترجمة فرنسية) بمجلدين ، نشرته دار بلون PLON تحت العنوان : *Le Mémorial de Roosevelt*).

ويجب أيضاً تعليق بعض الأهمية على شواهد :

ROOSEVELT (Eleanor). — *This I remember*, New York (Harper), 1949, 387 p.

ROOSEVELT (Elliot). — *Mon père m'a dit* (traduit de l'anglais), Paris (Flammarion), 1947, 309 p.

على مذكرات وزراء الخارجية الأميركية :

HULL (Cordell). — *The Memoirs of Cordell Hull*, New York (Macmillan), 1948, 2 vol.

STETTINIUS (Edward). — *Roosevelt and the Russians : The Yalta Conference*, Garden City (Doubleday), 1949, 367 p. (traduction française).

ـ ولهذا هدف تمجيدي بوضوح ، ولكنه يعطي عن يالتا تقريراً عظيم الوضوح :

BYRNES (James F.). — *Cartes sur table*, Paris (Morgan), 1947, 621 p.

ـ هام جداً عن يالتا ، بوتسدام ومؤتمرات ١٩٤٥ م و ١٩٤٦ م (مترجم عن الإنكليزية) :
Speaking frankly).

انظر أيضاً ستيتينيوس :

STETTINIUS (Edward). — *Le prêt-bail, arme de victoire* (traduit de l'anglais), New York (La Maison française), 1944, 419 p.

انظر أيضاً :

Kimball (Warren F.). — *The most unsordid act : Lend-Lease 1939-1941*, Baltimore (Johns Hopkins Press), 1969, X-282 p.

وزير الخارجية الجمهوري السابق ، خصم الانعزالية ، أصبح وزير الدفاع لروزفلت ، هنري ل ستيمسون ، ترك أيضاً أثراً هاماً :

Stimson (Henry L.) and Bundy (Mc George). — *On active service in Peace and War*, New York (Harper), 1948, 698 p.

وعن ستيمسون انظر المؤلف الأساسي التالي :

Morison (Elting). — *Turmoil and tradition. A study of the life and times of Henry Stimson*, Cambridge (Mass.) (Houghton Mifflin), 1960, XII-686 p.

ولنشر بين السفراء والمرسلين إلى :

Grew (Joseph C.). — *Ten years in Japan, 1931-1942*, New York (Simon and Schuster), 1944, 556 p. (traduction française).

Stillwell (Général J. W.). — *L'Aventure chinoise, 1941-1944* (traduit de l'anglais), Paris (O. Zeluck), 1948, 332 p.

ويتم بـ :

Wedemeyer (Général Albert C.). — *Wedemeyer reports !*, New York (Holt), 1959, XIV-497 p.

و :

Hayes (Carlton J. H.). — *Wartime Mission in Spain 1942-1945*, New York (Macmillan), 1945, 313 p.

Brogan (Dennis W.). — *The Era of Franklin D. Roosevelt*, New Haven (Yale University Press), 1950, 380 p.

وتطور روزفلت من انعزالية معتدلة نحو سياسة تدخل درس بصورة خاصة . والأعمال الرئيسية هي :

Langer (William L.) and Gleason (S. Everett). — T. I, *The Challenge to Isolation, 1937-1940*; T. II, *The Undeclared War, 1940-1941*, New York (Harper) (for the Council on Foreign Relations), 1952, 794 et 963 p.

و :

Feis (Herbert). — *The Road to Pearl Harbor*, Princeton (Princeton University Press), 1950, 356 p.

ـ اللذين درسا كتلة واسعة من المخطوطات ، ولاسيا في دائرة الدولة ، وبين خصوم روزفلت يجب أيضاً استشارة مؤرخ ذي قيمة عظيمة جداً ، شارل أ . برد :

Beard (Charles A.). — *American foreign policy in the making 1932-1940*, New Haven (Yale University Press), 1946, 336 p.

Beard (Charles A.). — *President Roosevelt and the coming of the War, 1941*, New Haven (Yale University Press), 1948, 614 p.

ـ عن اتجاهات برد انظر :

Fox (William T.). — *Interwar International Relations research. The American experience*, *World Politics*, oct. 1949.

و :

Harrington (Fred Harvey). — *Beard's Idea of National Interest and new Interpretations*, *American Perspective*, Fall 1950, p. 335-345.

ونظرية إعادة النظرة عند برد وعدد عظيم من المؤرخين يعارضها الكتاب المناصرون لروزفلت . ويرى تاريخ هذا الجدل في :

Cole (Wayne S.). — *American entry into World War II : a historiographical appraisal*, *Mississipi Valley Historical Review*, vol. 43 (1956-57), p. 595-617.

وعن الحرب :

Russel Buchanan (A.). — *The United States and World War II*, New York (Harper and Row), 1963, 2 vol., XX-635 p.

وبين الأعمال التي لاعد لها عن السياسة الخارجية الأميركية منذ ١٩٤٥ م ، بعضها مفيدة للمؤرخين :

Perkins (Dexter). — *The Evolution of American foreign Policy*, New York (Oxford University Press), 1948, 187 p.

Nevins (Allan). — *The United States in a chaotic World*, New Haven (Yale University Press), 1950, 252 p.

Allen (H. C.). — *Great Britain and the United States*, New, York (St Martin's Press), 1955, 1024 p.

Truman (Harry S.). — *Years of Trial and Hope*, Garden City (Doubleday), 1956, 594 p.
et : *Years of decision*, *ibid.*, 1956, 596 p. (traduction française Plon, 1955 et 1956).

Jones (Joseph M.). — *The Fifteen weeks*, New York (Viking), 1955, 296 p.

Epstein (Léon D.). — *Britain, uneasy ally*, Chicago (University of Chicago Press), 1954, 279 p.

يوجد شاهدان من الطبقة الأولى عن جون ف . كينيدي :

Schlesinger (Arthur M.) Jr. — *A thousand days, John Kennedy in the White House*, Boston (Houghton Mifflin), 1965 (traduction française).

Sorensen (Theodore). — *Kennedy*, New York (Harper and Row), 1965, X-785 p. (traduction française).

وأخيراً ، لاغنى بوضوح عن دراسة النفوذ الاقتصادي للولايات المتحدة ، باستعمال بصورة أساسية :

Lewis (Cleona). — *The United States and foreign investment problems*, Washington (Brookings Institution), 1948, 369 p.

Feis (Herbert). — *The Diplomacy of the Dollar, First Era 1919-1932*, Baltimore (Johns Hopkins Press), 1950, VII-81 p.

The Economic history of the United States, New York (Rinehart).

T. VIII. by Soule (G.). — *Prosperity decade : from War to Depression, 1917-1929*, 1947, 366 p.

T. IX. by Mitchell (Broadus). — *Depression Decade : from New Era through New Deal, 1929-1941*, 1947, 462 p.

ولعهد جونسون مذكرات مساعد وزير الخارجية :

Ball (George). — *Les Etats-Unis face à leur puissance* (traduit de l'anglais), Paris (Laffont), 1968, 369 p.

وعدا مورفي ، بين المذكرات الحديثة :

Kennan (George). — *Memoirs*, London (Hutchison), T. 1, *1925-1950*, 1968, 583 p. T. 2, *1950-1963*, 1972, X-368 p.

Harriman (Averell). — *America and Russia in a changing World. A half Century of personal observation*, London (Allen and Unwin), 1971, 218 p.

٢)الاتحاد السوفياتي

نشرت عن الاتحاد السوفياتي في الغرب الكتب :

Fisher (John). — *The Soviets in World Affairs*, New York, 1952, 2 vol.

الذي يصل حتى ١٩٢٩ ، وقد عرف المؤلف شخصياً تشيتشيرين خلف تروتسكي في وزارة الخارجية .

Carr (Edward H.). — *History of Soviet Russia*, New York (Macmillan), 5 volumes (allant de 1917 à 1926). Ouvrage fondamental et irremplaçable.

Beloff (Max). — *The foreign policy of Soviet Russia, 1929-1941*, London (Oxford University Press, for the Royal Institute of International affairs).

T. I. *1929-1936*, 1947, 262 p.

T. II. *1936-1941*, 1947, 434 p.

ـ دقيق كثيراً وموثق :

Lemberg (Eugen). — *Osteuropa und die Sowjetunion, Geschichte und Probleme*, Stuttgart (Schwab), 1950, 256 p.

عن العلاقات الأنغلو ـ روسية :

Beloff (Max). — *Some aspects of Anglo-Russian Relations. International Affairs*, April 1945, p. 168-179.

Middleton (K. W. B.). — *Britain and Russia. An historical essay*, London, 1947, 238 p.

Coates (W. P. et Zelda K.). — *A history of Anglo-Soviet Relations*, London, 1944, 815 p.

عن العلاقات البولونية ـ الروسية :

Shotwell (James T.) et Laserson (Max M.). — *Poland and Russia, 1919-1945*, New York (Carnegie Endowment for International peace), 1945, 114 p.

ولاسيا أكثر وضوحاً بكثير :

UNIATOWSKI (Roman). — *Poland, Russia and Great-Britain 1941-1945*, London, 1946, 544 p.

LÉVESQUE (Jacques). — *Le conflit soviétique et l'Europe de l'Est, ses incidences sur les conflits soviéto-polonais et soviéto-roumain*, Montréal (presses de l'Université), 1970, XII-388 p.

عن السياسة السوفياتية تجاه ألمانيا :

WEINGARTNER (Thomas). — *Stalin und der Aufstieg Hitlers. Die Deutschlandpolitik der Sowjetunion und der Kommunistischen Internationale, 1929-1934*, Berlin (de Gruyter), 1970, XII-302 p.

من الجانب السوفياتي لنشر أيضاً إلى :

BORISOV (Ju.V.). — *Sovestko-francuzskie otnošenija i bezopasnost' Evropy* (les relations franco-soviétiques et la sécurité de l'Europe), Moskva (Institut Mezdunarodnyh otnosenij), 1960 (nouvelle édition), 196 p.

عن الموضوع نفسه انظر مختاراً من الوثائق المنشورة بالفرنسية ، عن العلاقات الفرنسية ـ السوفياتية ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ ، في بحوث دولية على ضوء الماركسية (رقم ١٢ ، آذار ـ نيسان ١٩٥٩ ، ٢٢٤ ص) .

GROSSMAN (Vassili). — *The Years of War, 1941-1945* (traduit du russe), Moscou, 1944, 451 p.

دراسة دقيقة عن تغيرات الحدود :

EAST (W. Gordon). — *The new frontiers of the Soviet Union*, *Foreign Affairs*, juillet 1951, p. 591-607.

كثير من السفراء في موسكو تركوا ذكريات :

CATROUX (Général). — *J'ai vu tomber le Rideau de fer, Moscou 1945-1948*, Paris (Hachette), 1952, 318 p.

DAVIES (Joseph E.). — *Mission à Moscou* (traduit de l'anglais), Montréal (L'Arbre), 1944, 570 p.

BEDELL SMITH (Walter). — *My three years in Moscow*, Philadelphia (Lippincott), 1950, 346 p.

عن المفاوضات مع الروس والتوتر بين الدولتين العملاقتين لنشر إلى مجموعة ذات أهمية عظيمة :

MOSELY (Philip E.). — *The Kremlin and World Politics. Studies in Soviet Policy and action*, New York (Vintage books), 1960, VIII-558-X p.

Negociating with the Russians, edited by Raymond DENNETT and Joseph E. JOHNSON, Boston (World Peace Foundation) 1951, 310 p.

PETERSON (Maurice). — *Both sides of the curtain*, New York (Macmillan), 1951, 314 p.

DULLES (John Foster). — *War or Peace*, New York (Macmillan), 1950, 249 p.

GURIAN (Waldemar). — *Bolschevism. An Introduction to Soviet Communism*, Notre Dame (University of Notre Dame Press), 1952, XII-190 p.

وتحت إدارة المؤلف نفسه الاختصاصي الشهير بالمسائل السوفياتية :

The Soviet Union. Background, Ideology, Reality, Notre Dame (University of Notre-Dame Press), 1951, VIII-216 p.

وأخيراً ، من المفيد استشارة ترجمة حياة ستالين ، والأفضل حالياً وإن كان قابلاً للنقاش ، كتاب :

DEUTSCHER (Isaac). — *Stalin : a political biography*, New York (Oxford University Press), 1949, 600 p. (traduction française).

وعن العلاقات غرب ـ شرق بعد ١٩٥٣ م ، لن نشير إلا إلى بعض الآثار الأساسية :

LEFEBER (Walter). — *America, Russia and the Cold war 1945-1966*, New York, (J. Willey), 1967, 295 p.

ABEL (Elie). — *The missile crisis*, Philadelphia, (Lippincott), nouvelle édition 1969, 222 p. (1re éd. traduite en français chez Arthaud, 1966).

CONQUEST (Robert). — *Russia after Khrutchev*, New York (Praeger), 1965, 267 p.

وعن تاريخ الاتحاد السوفياتي راجع :

ELLENSTEIN (Jean). — *Histoire de l'U.R.S.S.*, Paris (Editions sociales, 1974-1975, 4 volumes.

و :

MARCOU (Lily). — *L'Union Soviétique*, Paris (Collection de guides de recherches dirigée par MEYRIAT Jean), 1971, 171 p.

٣) رابطة الشعوب البريطانية (باستثناء جنوب شرقي آسيا)

كمؤلفات عامة لنشر بصورة أساسية إلى

MANSERGH (Nicolas). — *Survey of British Commonwealth affairs. Problems of external policy, 1931-1939*, London (Oxford University Press), 1952, 482 p.

RONZE (Raymond). — *Le Commonwealth britannique et le monde anglo-saxon*, Monaco (Editions du Rocher), 1947, 309 p.

عن كندا :

LOWER (Arthur R. M.). — *Colony to Nation : A History of Canada*, New York (Longmans), 1947, 600 p.

EASTMAN (S. M.). — *Canada at Geneva : an historical survey and its lessons*, Toronto (Ryerson), 1946, 117 p.

SKILLING (H. Gordon). — *Canadian representation abroad*, Toronto (Ryerson, Canadian Institute of International Affairs), 1946, 359 p.

LACOUR-GAYET (Robert). — *Histoire du Canada*, Paris (Fayard), 1966, 607 p.

عن أوستراليا :

GREENWOOD (Gordon), éd. — *Australia, a social and political History*, London, Melbourne (Angus and Robertson), 1955, nouv. éd. 1969, 445 p.

SPENCER (William). — *Political Ecolution in the Middle East* Philadelphia (Lippincott), 1962, XIV-440 p.

RONDOT (Pierre). — *Destin du Proche-Orient*, Paris (Centurion), 1959, 272 p.

KOHN (Hans). — *A history of Nationalism in the East*, London (Routledge), 1929, XII-476 p.

SETON-WILLIAMS (W. V.). — *Britain and the Arab States : a Survey of Anglo-Arab Relations, 1920-1948*, London (Luzac), 1948, 330 p.

عرض موجز جداً ولكن جاف قليلاً بالحوادث ، انظر أيضاً :

The Middle East : A political and economic survey, New York (Royal Institute of International Affairs), 2ᵉ éd, révisée 1954, 496 p.

KIRK (Georges). — *The Middle East*, New York (Oxford University press, Royal Institute of International Affairs), 1954, 338 p.

KIRK (George). — *The Middle East in the war* (Survey of International Affairs), London (Oxford University Press), 1952, XIV-512 p.

عن قضية فلسطين تجب أولاً مشاورة مذكرات المؤسس الرئيسي للدولة الاسرائيلية :

WEIZMANN (Chaim). — *Trial and error. The autobiography of Chaim Weizmann*, New York (Harper), 1949, 498 p.

ـ قابل للنقاش جداً ، معاد جداً لـ : بن غوريون

عن الصهيونية :

COHEN (Israël). — *Le Mouvement sioniste* (traduit de l'anglais), Paris (Editions de la Terre retrouvée), 1946, 380 p.

والعنوان الانكليزي هو : *A short history of Zionism, 1860-1944*).

PARKERS (James). — *The emergence of the Jewish problem, 1878-1931*, London (Oxford University Press), 1946, 260 p.

RABINOWICZ (Oskar K.). — *Fifty years of Zionism. A historical analysis of Dʳ Weizman's « Trial and Error »*, London, 2ᵉ éd.

أفضل تاريخ لفلسطين هو :

HYAMSON (Albert M.). — *Palestine under the Mandate, 1920 1948*, London (Methuen and Cº), 1950, 212 p.

عن حرب ١٩٤٨ ـ ١٩٤٩ م :

HUREWITZ (J. C.). — *The struggle for Palestine*, New York (Norton 1950, 404 p.

PLESSIER (François). — *Etat juif et Monde arabe*, Paris (Gaucher), 1949, 420 p.

EYTAN (Walter). — *The first ten years : A diplomatic History of Israel*, New York (Simon and Schuster), 1958, 239 p.

عن السياسة البريطانية :

LONGRIGG (Stephen Hemsley) et STOAKOS (Frank). — *Irak*, New York (Praeger), 1958, 264 p.

Great Britain and Palestine, 1915-1945, London (Royal Institute of International Affairs), Information Department Papers, n° 20, 1946, 178 p.

MARLOWE (John). — *A history of modern Egypt and Anglo-Egyptian Relations 1800-1953*, New York (Praeger), 1954, 440 p.

عن سياسة الدول عموماً الأطروحة الممتازة :

COLOMBE (Marcel). — *L'orient arabe et les grandes puissances de la fin de la seconde guerre mondiale à la première conférence des Etats non engagés (1945-1961)*, 1972 publiée sous le titre *Moyen Orient arabe et non engagement*, Paris (Publications orientalistes de France), 1973, 2 vol.

عن سياسة الاتحاد السوفياتي :

LACQUEUR (Walter L.). — *The Soviet Union and the Middle East*, London (Routledge and Kegan), 1959, XIV-366 p.

LACQUEUR (Walter L.). — *The Soviet Union and the Middle East 1958-1968* London (Routledge and Kegan), 1969, VIII-360 p.

CARRÈRE D'ENCAUSSE (Hélène). — *La politique soviétique au Moyen-Orient, 1955-1975*, Paris (Presses de la Fondation Nationale des Sciences politiques), 1975, 328 p.

CARRÈRE D'ENCAUSSE (Hélène). — *L'Empire éclaté*, Paris (Flammarion), 1978, 314 p.

عن الجامعة العربية وحوادثها السابقة :

KHALIL (Muhammad). — *The Arab States and the Arab League. A documentary record.* Beirut (Khayats), 1962, 2 vol. I. *Constitutional developments*, 705 p. II. *International affairs*, 1019 p.

عن سورية ولبنان :

LIPSCHITS (Isaac). — *La politique de la France au Levant*, Amsterdam (Keesing), 1963, 240 p.

LONGRIGG (Stephen Hemsley). — *Syria and Lebanon under French Mandate*, London (Oxford University Press) (Royal Institute of International Affairs), 1958, XII-404 p.

يتمان بذكرات مفوضين ساميين فرنسيين :

PUAUX (Gabriel). — *Deux années au Levant, Souvenirs de Syrie et du Liban, 1939-1940*, Paris (Hachette), 1952, 248 p.

و :

CATROUX (Général). — *Dans la bataille de Méditerranée*, Paris (Julliard), 1949, 446 p.

ـ هام عن حوادث حزيران ـ تموز ١٩٤١ م

يوجد أيضاً معلومات تنهل عن الأردن في :

Memoirs of King Abdullah of Transjordan, New York (Philosophical Library), 1950, 278 p. La 2ᵉ édition présente de singulières différences avec la première.

وليست أقل منها لفتاً للنظر مذكرات تنظيم الجوقة الأردنية :

GLUBB (Sir John Bagot). — *Britain and the Arabs. A study of fifty years, 1908 to 1958*, London (Hodder and Stoughton), 1959, 491 p.

عن القضية الأرمنية :

MISSAKIAN (J.). — *A Searchlight on the Armenian question, 1878-1950*, Boston (Hairenik, American Committee for the Independance of Armenia), 1950, 154 p.

عن إيران يوجد كتاب من الطبقة الأولى :

LENCZOWSKI (George). — *Russia and the West in Iran, 1918-1948*, Ithaca (Cornell University Press), 1949, 284 p.

يجب إتمامه بـ :

THOMAS (Lewis V.), and FRYE (Richard N.). — *The United States and Turkey and Iran*, Cambridge (Harvard University Press), 1951, 291 p. (American Foreign Policy Library).

و :

STEPPAT (Fritz). — *Iran zwischen den Grossmächten, 1941-1948, Europa-Archiv*, 1948, 79 p.

وعن حوادث ١٩٥٠ ـ ١٩٥١ :

BAYNE (Edward Ashley). — *Crisis of Confidence in Iran Foreign Affairs*, July 1951, p. 578-590.

عن أفغانستان :

FRASER-TYLOR (W. K. I.). — *Afghanistan : a study of political developments in Central Asia*, New York (Oxford University Press), 1950, 330 p.

عن قضية السويس والنزاع العربي ـ الإسرائيلي الثاني :

LAUTERPACH (E.), éd. — *The Suez canal settlement. A selection of documents. October 1956-March 1959*, London (Stevens), 1960, VI-82 p. (pour le British institute of international and comparative law).

STOCK (Ernest). — *Israel on the road to Sinai, 1949-1956, With a sequel on the six-day war*, 1967, Ithaca (N. Y.) (Cornell University Press), 1967, 284 p.

BERGER (Earl). — *The Covenant and the Sword. Arab-Israël : relations 1948-1956*, London (Routledge and Kegan Paul), Toronto (University of Toronto Press), 1965, 245 p.

FINER (Herman). — *Dulles over Suez. The theory and practice of his diplomacy*, London (Heinemann), 1964, 538 p.

BEAUFRE (Général). — *L'expédition de Suez*, Paris (Grasset), 1967, 251 p.

ولكن أفضل تركيب هو :

THOMAS (Hugh). — *The Suez Affair*, London (Weidenfeld and Nicolson), 1967, 384 p., 2e éd., 1970.

وعن النزاع العربي - الإسرائيلي الثالث (١٩٦٧ م) :

LAQUEUR (Walter). — *The Road to war 1967. The origins of the Arab-Israel Conflict*, London (Weidenfeld and Nicolson), 1968, 399 p.

KIMCHE (David), BAWLY (Dan). — *Israël face aux Arabes. Hier, demain, aujourd'hui*, Paris (Arthaud), 1968, 311 p. (traduit de l'anglais).

انظر أيضاً كتاباً جيداً جداً لصحافي :

CUAU (Yves). — *Israël attaque (5 juin 1967)*, Paris (Laffont), 1968, 349 p.

WATIKIOTIS (P. J.). — *Conflict in the Middle East*, London (Allen and Unwin), 1971, 244 p.

وعن النزاع العربي - الإسرائيلي الرابع (١٩٧٤ م) :

LACQUEUR (Walter L.). — *La vraie guerre du Kippour* (traduit de l'anglais), Paris (Calmann-Lévy), 1974, 301 p.

عن البترول ، بين الأعمال التي لا عد لها . بعض الكتب الحديثة :

NOUSCHI (André). — *Luttes pétrolières au Proche-Orient*, Paris (Flammarion), 1970, 144 p.

MIKDASHI (Zuhayr). — *The Community of Oil Exporting Countries*, London (Allen and Unwin), 1972, 240 p.

MADELIN (Henri). — *Pétrole et politique en Méditerranée occidentale*, Paris (Armand Colin, Cahiers de la Fondation nationale des Sciences politiques, n° 188), 1973, 336 p.

ولاحقاً لأزمة ١٩٧٤ م :

VERNON (Raymond), éd. — *The Oil Crisis*, New York (W. W. Norton), 1976, 301 p.

٥) جنوب - شرقي آسيا

توجد بعض التراكيب الجيدة :

RICHER (Philippe). — *L'Asie du Sud-Est, Indépendance et communisme*, Paris (Imprimerie Nationale, coll. « Notre Siècle »), 1981, 430 p.

DEVILLERS (Philippe), FISCHER (Georges), FISTIÉ (Pierre), etc. — *L'Asie du Sud-Est*, Paris (Sirey), 1971, 2 vol., 1010 p.

FIFIELD (Russel H.). — *The diplomacy of South-East Asia, 1945-1958*, New York (Harper), 1958, XVIII-584 p., à compléter par :

MILLS (Lennox A.) and Associates. — *The New World of South-East Asia*, Minneapolis (University of Minnesota Press), 1949, 445 p.

و :

ZINKIN (Maurice). — *Asia and the West*, London (Chatto et Windus), 1951, XII-300 p.

عن الهند ، يمكن استشارة كتاب نهرو :

NEHRU (Jawaharlal). — *Glimpses of World History*, London (Drummond), 1949, 992 p.

انظر أيضاً الأعمال التالية السابقة للاستقلال :

PANIKKAR (K. M.). — *India and the Indian Ocean*, New York (Macmillan), 1945, 109 p.

PRASAD (Rajendra). — *India divided*, Bombay (Hind Kitabs), 1947, 427 p.

أو لاحقاً مباشرة :

PUNTAMBEKAR (S. V.). — *The foreign policy of the Indian Union* Baroda (Padmaja), 1948, 80 p.

لا يوجد بعد أعمال جامعة عن حوادث ١٩٤٥ ـ ١٩٤٧ م ومع ذلك انظر :

ROSINGER (Lawrence K.). — *India and the U.S. Political and economic relations*, New York (American Institute of Pacific Relations), 1950, 149 p.

ولاسيا :

ROWLAND (John). — *A History of Sino-Indian relations. Hostile co-existence*, Princeton (N. J.) (D. Van Nostrand), 1967, 248 p.

STEIN (Arthur). — *India and the Soviet Union. The Nehru era*, Chicago (University Press), 1969, XIV-320 p.

عن الباكستان :

SYMONDS (Richard). — *The Making of Pakistan*, London (Faber), 1950, 227 p.

عن الفيتنام توجد أعمال صلبة ، هامة من أجل الدور ١٩٤٦ ـ ١٩٥٤ م (الحرب « الفرنسية ») :

DEVILLERS (Philippe). — *Histoire du Viet Nam de 1940 à 1952*, Paris (Seuil), 1952, 3ᵉ éd., 480 p.

DEVILLERS (Philippe) et LACOUTURE (Jean). — *La fin d'une guerre. Indochine 1954*, Paris (Seuil), 1960, 382 p.

RANDLE (Robert F.). — *Geneva 1954. The settlement of the Indochinese war*, Princeton (Princeton University Press), 1969 XVIII-369 p.

ولاسيا :

JOYAUX (François). — *Le règlement du premier conflit d'Indochine. La République populaire de Chine face aux puissances occidentales, Genève, 1954*, Paris (Publication de la Sorbonne), 1979.

ولبداية الحرب « الأميركية » :

FALL (Bernard). — *Indochine 1946-1962. Chronique d'une guerre, révolutionnaire*, Paris (Laffont), 1962, 379 p.

KAHIN (G. Mc Turnan), LEWIS (John W.). — *The United States in Vietnam*, New York (Dial Press), 1967, 465 p.

GREENE (Fred). — *U.S. policy and the Security of Asia*, New York (Mc Graw Hill, Council on Foreign Relations), 1968, 429 p.

عن أندونيسيا :

KAHIN (George McT.). — *Nationalism und Revolution in Indonesia*, New York, Cornell (Univ. press.), 1952.

VLEKKE (B. H. M.). — *Nusantara, a history of Indonesia*, La Haye et Bandoeng (W. van Hoeve), 2e éd., 1959.

JAMES (Harold) et SHEIL-SMALL (Denis). — *The undeclared war, The story of the Indonesian confrontation, 1962-1966*, London (Cooper), 1971, XVIII-201 p.

عن تايلاند :

FISTIÉ (Pierre). — *L'évolution de la Thaïlande contemporaine*, Paris (Colin, Cahiers de la Fondation nationale des Sciences politiques, n° 156), 1967, 392 p.

عن ماليزيا :

FISTIÉ (Pierre). — *La rupture entre Singapour et la Malaysia*, *Revue française de Science politique*, avril 1967, p. 237-262.

عن الفيليبين ، كتاب هام لمؤرخين فيليبينيين :

AGONCILLO (Teodoro A.) et ALFONSO (Oscar M.). — *History of the Filipino People*, Quezon City (Malaya Book), 1967, XVIII, 725 p..

٦) الشرق الأقصى

عملان كلاسيكيان :

RENOUVIN (Pierre). — *La question d'Extrême-Orient, 1840-1940*, Paris (Hachette), 1946, 443 p.

و :

POLLARD. — *China's foreign relations (1917-1931)*, New York (Macmillan), 1933, X-416 p.

عن الدور السابق لـ ١٩٢٢ م ، عمل صلب جداً ، مع مصادر كثيرة :

TOSCANO (Mario). — *Guerra diplomatica in Estremo Oriente*, T. II (s. d.) (Einaudi), 508 p.

عن دور ١٩٤٢ ـ ١٩٤٦ م :

JONES (F. C.), BORTON (Hugh) et PEARN (B. R.). — *The Far East, 1942-46*, New York (Oxford University Press), 1955, 589 p.

انظر أيضاً عن مختلف القضايا الخاصة :

UNTERBERGER (Betty Miller). — *America's Siberian expedition*,

1918-1920, Durham (Duke University Press), 1956, vi-272 p.

WILLOUGHBY (Westel W.). — *The Sino-Japanese controversy and the League of Nations*, Baltimore (Johns Hopkins Press), 1935, 733 p.

BORG (Dorothy). — *American policy and the Chinese Revolution, 1925-1938*, New York (Macmillan) (Institute of Pacific Relations), 1947, 440 p.

CHRISTOPHER (James Williams). — *Conflict in the Far East, American Diplomacy in China from 1928-1933*, Leyde (Brill), 1950, 335 p.

SMITH (Sara S.). — *The Manchurian crisis, 1931-1932. A tragedy in international relations*, New York (Columbia University Press), 1948, 281 p.

JONES (F. C.). — *Manchuria since 1931*, New York (Oxford University Press, Royal Institute of International Affairs and Institute of Pacific Relations), 1949, 256 p.

عن مونغوليا الخارجية ، العمل الصلب :

FRITERS (Gerard M.). — *Outer Mongolia and its internationa position*, Baltimo (Johns Hopkins Press, for the Institue o Pacific Relations), 1949, 358 p.

PAVLOVSKY (Michel). — *Chinese-Russian Relations*, New York (Philosophical library), 1949, 194 p.

الذي استعمل المصادر الصينية عن هذه القضية .

عن الصين أثناء الحرب ضد اليابان :

ROSINGER (Lawrence K.). — *China's Wartime politics, 1937-1944*, Princeton (Princeton University Press), 1945, 133 p.

ويتم بعملين عامين جداً :

FAIRBANK (John King). — *The United States and China*, Cambridge (Mass.) (Harvard University Press), 1948, 384 p. (American Foreign Policy Library).

و :

DULLES (Foster Rhea). — *China and America*, Princeton (Princeton University Press), 1946, 277 p.

السياسة الأميركية معروضة جيداً في :

FEIS (Herbert). — *The China tangle : the American effort in China from Pearl Harbor to the Marshall mission*, Princeton (Princeton University Press), 1953, X-445 p.

VINACKE (Harold M.). — *The United States and the Far East, 1945-1951*, Stanford (Stanford University Press), 1952, 144 p.

VINACKE (Harold M.). — *Far Eastern politics in the postwar period*, New York (Appleton), 1956, 497 p.

عن حرب كوريا :

GOODRICH (Leland M.). — *Korea. A study of U.S. Policy in the United Nations*, New York (Council on Foreign Relations), 1956, XII-235 p.

عن اليابان :

YOSHIDA. — *The Yoshida memoirs : the story of Japan in crisis*, Boston (Houghton), 1962, 905 p.

TREAT (Payson Jackson). — *Japan and the United States, 1853-1921, revised and continued to 1928*, Stanford (Stanford University Press), 1928.

انظر العمل التالي لضابط بريطاني أخذ أسيراً في سنغافورة :

JAMES (David H.). — *Rise and Fall of the Japanese Empire*, London (Allen and Unwin), 1951, 409 p.

MARTIN (Bernd). — *Deutschland und Japan im Zweiten Weltkrieg, Vom Angriff auf Pearl Harbor bis zur deutschen Kapitulation*, Göttingen (Musterschmidt), 1969, 326 p.

توجد معلومات هامة في :

BORTON (Hugh). — *Japan since 1931. Its political and social developments*, New York (Institute of Pacific relations), 1940, 150 p.

BUTOW (Robert J. C.). — *Japan's decision to surrender*, Stanford (Stanford University Press), 1954, 259 p.

ـ لكنهما لايعوضان عمل فيس (Feis) العظيم المذكور أعلاه :

YORMAGA (Chitoschi). — *Japan since Perry*, New York (McGraw-Hill), 1949, 723 p.

وبخاصة :

LEQUILLER (Jean). — *Le Japon*, Paris (Sirey), 1966, 621 p.

FEIS (Herbert). — *Contest over Japan*, New York (W. W. Norton) 1967, 187 p.

وعاماً أكثر عمل :

REISCHAUER (Edwin O.). — *The United States and Japan*, Cambridge (Mass.) (Harvard University Press), 1950, 357 p.

عن الاحتلال الأميركي :

MARTIN (Edwin M.). — *The Allied Occupation of Japan*, New York (Macmillan), 1948 (Publication de l'Institute of Pacific Relations).

والعمل الملحق به :

FEAREY (Robert A.). — *The Occupation of Japan. Second Phase*, New York (Macmillan), 1950, XII-239 p. (Publication de l'Institute of Pacific Relations).

TOMPKINS (Pauline). — *American Russian Relations in the Far East*, New York (Macmillan), 1949, 426 p.

عن معاهدة السلام :

COHEN (Bernard C.). — *The political process and Foreign Policy. The making of the Japanese Settlement*, Princeton (Princeton University Press), 1957, XII-293 p.

DUNN (Frederick S.) et al. — *Peace-making and the settlement with Japan*, Princeton (Princeton University press), 1963, 210 p.

خلاصة جيدة عن السياسة اليابانية الحديثة في :

FISTIÉ (Pierre). — *La rentrée en Scène du Japon. La politique japonaise face aux Etats-Unis depuis 1945*, Paris (Armand Colin, Trav. et rech. de Sc. pol.), 1972, 168 p.

عن السياسة السوفياتية عدة أعمال جيدة :

MOORE (Harriet L.). — *Soviet far eastern policy, 1931-1945*, Princeton (Princeton University Press), 1945, 284 p.

DALLIN (David J.). — *Soviet Russia and the Far East*, New Haven (Yale University Press), 1948, 398 p.

BRANDT (Conrad). — *Stalin's failure in China, 1924-1927*, Cambridge (Mass.) (Harvard University Press), 1958, 226 p.

GRIFFITH (William E.). — *Sino-Soviet relations, 1961-1966*, Cambridge (Mass.) (M.I.T. press), 1967, XII-504 p.

عن الصين الشيوعية :

BIANCO (Lucien). — *Les origines de la révolution chinoise, 1915-1949*, Paris (Gallimard), 1967, 383 p.

DEVILLERS (Philippe). — *Ce que Mao a vraiment dit*, Paris (Stock), 1968, 293 p.

PORTER (Biran). — *Britain and the rise of communist China. A study of British attitudes, 1945-1954*, London (Oxford University Press), 1967, 195 p.

RICHER (Philippe). — *La Chine et le Tiers Monde (1949-1969)*, Paris (Payot), 1971, 447 p.

BIANCO (Alain). — *La révolution culturelle en Chine*, Paris (Presses Universitaires de France), 1976, 168 p.

٧) العلاقات الدولية

نظرة جامعة جيدة في :

LIEUWEN (Edwin). — *Arms and Politics im Latin America* New York (Praeger), 1960, 296 p.

وللدور السابق لـ ١٩٣٠ م :

MANIGAT (Leslie). — *L'Amérique latine au XXᵉ siècle (1889-1929)*, Paris (Editions Richelieu), 1973, 414 p.

PERKINS (Dexter). — *The United States and Latin America*, Baton Rouge (Lousiana University Press), 1961, 124 p.

ROGERS (William D.). — *The Twilight Struggle. The Alliance for progress and the politics of development in Latin America*, New York (Random House), 1967, 303 p.

عملان لمكتبة السياسة الخارجية الأميركية يعطيان نظرات تاريخية عامة جداً :

PERKINS (Dexter). — *The United States and the Caribbean*, Cambridge (Mass.) (Harvard University Press), 1947, 252 p.

و :

WHITAKER (Arthur P.). — *The United States and South America. The Northern Republics*, Cambridge (Mass.) (Harvard University Press), 1948, 280 p.

عرض مختصر أكثر بكثير في :

BEMIS (Samuel Flagg). — *The Latin American policy of the United States : An historical interpretation*, New Haven (Yale University Press), 1943, 470 p.

عن قضايا مختلفة خاصة ، انظر :

ESTIGARRIBIA. — *The epic of Chaco : Marshal Estigarribia's memoirs of the Chaco War, 1932-1935*, édité et annoté par Pablo Max YUSFRAM, Austin (University of Texas Press), 1950, 221 p.

WOOD (Bryce). — *The making of the Good Neighbor Policy*, New York (Columbia University Press), 1961, XII-438 p.

ALEXANDER (Robert J.). — *The Peron Era*, New York (Columbia University Press), 1951, 239 p.

عن كوبا انظر بخاصة الكتاب الممتاز لـ :

SÉMIDÉI (Manuela). — *Les Etats-Unis et la révolution cubaine*, Paris (Armand Colin, Cahiers de la Fondation nationale des Sciences politiques, n° 166), 1968, 208 p.

SHENG (Ying-hsiang). — *Idylle sino-cubaine, brouille sino-soviétique*, Paris (Armand Colin, Trav. et rech. de Sc. pol.), 1973, 312 p.

LEVESQUE (Jacques). — *L'U.R.S.S. et la révolution cubaine*, Paris (Presses de la Fondation nationale des Sciences politiques), Québec (Presses de l'Université de Montréal), 1976, IV-221 p.

عن المكسيك ، العدد الخاص لمجلة :

Foro Internacional (n° 50, oct.-déc. 1972) :

La politica exterior de México : Realidad y perspectivas.

٨) إفريقية

الصفة الحديثة جداً لاستقلال إفريقية توضح أن الأعمال العلمية ، الموفورة عن القضايا العرقية ، الاجتماعية ، الاقتصادية الخ ... تبقى نادرة عن السياسة الخارجية . والعنوان :

« Conflits internationaux » de la *Revue française de Sciences politiques*

يعطي مكاناً وجيهاً للمنازعات الإفريقية . وعلى العموم استعملنا لهذا الكتاب مقالات عديدة جداً ومؤقتة جداً جداً من مجلة لا مجال لذكرها هنا .

يستعمل لتفصيلات أكثر :

MARTIN (Denis) et YANNOPOULOS (Tatiana). — *L'Afrique Noire* Paris (Guides de recherches sous la direction de Meyriat Jean), 1973, 194 p.

HELLETT (Robin). — *Africa since 1879*, Ann. Arbor (Univ. of Michigan press), 1974, 808, LX p.

لنشر هنا إلى كتاب يدوي عام :

GANIAGE (Jean), DESCHAMPS (Hubert), GUITARD (Odette). — *L'Afrique*, Paris (Sirey), 1967, 908 p.

وبعض أعمال هامة :

PELT (Adrian). — *Libyan independence and the United Nations, a case of planned decolonization*, New Haven (Yale University Press), 1970, XXVIII- 1016 p.

LEFEVER (Ernest W.). — *Crisis in the Congo. A.U.N. Force in Action*, London (Allen and Unwin), 1965, 215 p.

HIPPOLYTE (Mirlande). — *Les Etats du groupe de Brazzaville ux Nations Unies* (Jean Touzot, Trav. et rech. de Sc. pol.), 1970, 336 p.

KIRK-GREENE (Anthony H. M.). — *Crisis and Conflict in Nigeria. A documentary servicebook 1966-1970*, London (Oxford University Press), 1971, 2 vol.

٩) تحرير العالم الثالث من الاستعمار بوجه عام

نكتفي بالإشارة إلى :

DUROSELLE (J. B.) et MEYRIAT (Jean) éd. — *Les nouveaux Etats dans les relations internationales*, Paris (Colin, Cahiers de la Fondation Nationale des Sciences politiques n° 121), 1962, 495 p.

DUROSELLE (J. B.) et MEYRIAT (Jean), éd. — *La Communauté internationale face aux jeunes Etats*, Paris (Colin, Cahiers de la Fondation nationale des Sciences politiques, n° 126), 1964, 417 p.

DUROSELLE (J. B.) et MEYRIAT (Jean), éd. — *Politiques nationales envers les jeunes Etats*, Paris (Colin, Cahiers de la Fondation nationale des Sciences politiques), 1964, 347 p.

عن حادث التحرير من الاستعمار في :

GRIMAL (Henri). — *La décolonisation, 1919-1963*, Paris (Colin) 1965, 408 p.

انظر أيضاً :

FARAJALLAH (Samaan Boutros). — *Le groupe afro-asiatique dans le cadre des Nations Unies*, Genève (Droz), 1963, XII-513 p.

ملاحظة ـ لبقاء هذه المصادر مزيدة ، متجددة تستعمل المجلتان التاليتان :

Foreign Affairs, *Revue d'histoire de la deuxième guerre mondiale*

اللتان تنشران ، في كل عدد ، مصادر ممتازة تحليلية . وللحصول على مصادر نقدية سهلة عن موضوعات عديدة جداً ، يجب استعمال المجلة :

la *Revue française de Science politique*

التي تنشر مراراً في العام « أحوال الأعمال » . وتتناول هذه البلاد أو القضايا . وتهتم عموماً بالدور الأكثر حداثة .

٦ ـ مسرد التاريخ الدبلوماســـي

الجزء الثاني

من ١٩٥٧ إلى ١٩٧٨

الفصل الأول

عصر الأزمات

١٩٥٧ ـ ١٩٦٢

نحو عالم جديد

١٩٦٢ ـ ١٩٧٨

الفصل الثاني
مشاكل الكتلتين

١٩٦٢ ـ ١٩٦٩

وتشاور أعمال رجل دولة ، وإن كانت لاتحتوي منظورات تاريخية :

EVATT (Herbert V.). — *Foreign policy of Australia*, Sydney (Angus and Robertson), 1945, 266 p.

EVATT (Herbert V.). — *Australia in World Affairs*, Sydney (Angus and Robertson), 1946, 213 p.

وكذلك :

GRENFELL-PRICE (A.). — *Australia comes of age*, Melbourne (Georgian House), 1945, 194 p.

Australia and the Pacific, by members of the Australian Institute of International Affairs, Princeton (Princeton University press), 1944, 203 p.

ـ دراسة ميدانية ممتازة :

GREENWOOD (Gordon) et HARPER (Norman), éd. — *Australia in World Affairs (1961-1965)*, Melbourne (Cheshire), 1968, VIII-503 p.

BARCLAY (G. St.). — *Commonwealth or Europe*, St-Lucia (Univ. of Queensland Press), 1970, XII-210 p.

عن زيلاندة ـ الجديدة :

BEAGLEHOLE (J. C.), WOOD (F. L. V.), LIPSON (Leslie), McGECHAN (R. O.). — *New Zealand and the Statute of Westminster*, Wellington (N. Z.) (Victoria University College), 1944, 195 p.

عن جنوبي أفريقية :

GREEN (M. S.). — *The Making of the Union of South Africa*, New York (Longmans), 1947, 227 p.

و :

LESOURD (Jean-Alain). — *L'Union Sud-Africaine*, Paris (Presses universitaires de France, Collection « Que sais-je ? »), 1951.

عن إيرلاندة وانفصالها عن رابطة الشعوب البريطانية :

GWYNN (Denis). — *The history of partition, 1919-1925*, Dublin (Browne, 1950, 244 p.

SHEARMAN (Hugh). — *Anglo-Irish Relations*, London (Faber), 1948, 288 p.

٤) الشرق الأوسط

ينطلق من الدليل الصغير الممتاز التالي :

FEVER (Guy), avec CHAUVIN (Serge) et POURCELET (François). — *Le Moyen-Orient contemporain*, Paris (Collection de guides de recherches dirigée par MEYRIAT Jean, Presses de la Fondation Nationale des Sciences politiques), 1975, 24. p.

الأعمال الأساسية عن دور الانتدابات هي :

LENCZOWSKI (Georges). — *The Middle East in World Affairs*, Ithaca, New York (Cornell University Press), 1952, 3e éd., 1962, 723 p.

الفصل الثالث
العالم الثالث
في العلاقات الدولية
من ١٩٦٢ إلى ١٩٧٣

الفصل الرابع
الانفراج
الآمال وتبدد الأوهام
(١٩٦٩ ـ ١٩٧٣)

الفصل الخامس
عالم جديد
أزمة واضطراب
تشرين الأول ١٩٧٣ ـ آذار ١٩٧٨

المسارد

تاريخ العصر الوسيط

من أواخر العصر الروماني إلى القرن الثاني عشر

تاريخ العصر الوسيط

من القرن الثاني عشر إلى عصر النهضة

تاريخ عصر النهضة

تاريخ القرن السابع عشر

تاريخ القرن الثامن عشر

تاريخ النصف الأول من القرن التاسع عشر

تاريخ النصف الثاني من القرن التاسع عشر

تاريخ القرن العشرين

١٩٠٠ ـ ١٩٤٥

التاريخ الدبلوماسي

١٩٤٠ ـ ١٩٥٨

التاريخ الدبلوماسي

١٩٥٧ ـ ١٩٧٨

تاريخ عصرنا

منذ ١٩٤٥

قضايا عصرنا

منذ ١٩٤٥

تاريخ الحركات القومية في أوربة (١ ـ ٥)


الموزعون المعتمدون
دار الفكر المعاصر للطباعة والنشر والتوزيع
لبنان ـ بيروت ـ ساقية الجنزير ـ خلف الكارلتون
ص.ب ١٣٦٠٦٤ هاتف ٨٦٠٧٣٩ تلكس FIKR 44316 LE